الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة د. الطاهر مولاي سعيدة
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة الفلسفة

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه L.M.D في الفلسفة

موسومة بـــ

أخلاقيات البيئـــــة

هانس يوناس " أنموذجا "

من إعداد الطالبة :
بن شنة لمياء

تحت إشراف:
أ.د. عبد الله موسى

تشكيلة لجنة المناقشة:

إسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الإنتماء
أ.د بكري عبد الحميد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة سعيدة
أ.د عبد الله موسى	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة سعيدة
أ.د دراس شهرزاد	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة وهران 02
أ.د حفيان محمد	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة سعيدة
أ.د نابي بوعلي	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة معسكر
أ.مغربي زين العابدين	محاضر. أ	عضوا	جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية 2018/2017

إهداء

أرفع هذا البحث المتواضع إلى :

- **الوالدين الذي أطال الله في عمرهما.**
- **زوجي الذي رافقني وتحملني في كل مراحل إنجاز البحث، وحرك داخلي الحوافز، وحرص على مستقبلي العلمي بكثير من العناية والحب .**
- **إلى أبنائي " محسن و آلاء" رمز البراءة والصفاء.**
- **إلى إخوتي وأخواتي حفظهم الله.**

شكر

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف أ.د عبد الله موسى الذي تفضل بإشراف على هذا البحث، فلم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام البحث، فجزاه الله عنا كل خير وله منا كل التقدير والاحترام.

كما نتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة لقبولها قراءة ومناقشة هذا البحث بنصائحهم القيمة.

ولا يفوتني أن أشكر د. بن يمينة كريم محمد الذي ساعدني كثيرا وإلى كل أساتذة قسم الفلسفة بجامعة د .الطاهر مولاي – سعيدة– .

مقدمـــــــة

تعرف الفلسفة المعاصرة أنها دراسة نقدية لنتائج العلم التكنولوجي الراهنة في سياق فلسفة العلوم (إبستيمولوجيا)، التي تنفي السبل المشجعة على قوة المركزية البشرية المدعَّمة كموقف فلسفي وعلمي في العصور الحديثة، متجاوزة فكر العصر الوسيط بتركيزها على ما يخدم الإنسانية دون التفكير أو التنبؤ بما قد يحدث في المستقبل، فكانت مهمة الفلسفة المعاصرة إعادة هيكلة مجموعة الأفكار، والمصطلحات الفلسفية من جديد وإدراجها ضمن مواضيع لم يتم مناقشتها من قبل مثل: قضايا أخلاقيات الطب ومستقبل البيئة.

فطالبت بنفي الخطاب حول المنهج لأن العالَم كمادة لم تفهم قيمته المستنبطة من البيئة بمكوناتها الحية وغير الحية، لتصبح الحاجة إلى خطابات حول مستقبل الإنسان في ظل التّحولات الإيديولوجية، التكنولوجية، الإتيقية التي يشهدها الإنسان المعاصر نظرا للتحولات التي استدعت الانشغال اليوم بالظرف الاجتماعي، البيئي، كون علاقة الإنسان بالبيئة لا يسايرها التطور الفلسفي منذ بواكر استيطان الحضارة التكنولوجية على محيطنا الطبيعي.

لقد قدمت الفلسفة المعاصرة طرحا جديدا يعرف بالفلسفة التطبيقية المهتم بمخلفات العصر العلمي، نظرا لطغيانه غير الأخلاقي على الواقع والمستقبل البيئي تحديدا المتنبئ له بحضور الخطر كجزء أساسي في سياق ظرفه الزماني والمكاني، نتيجة تجاوزات فاقت حدود منطلقات البحوث العلمية في منتصف القرن العشرين، لجعل البيئة مجرد ثروة ينبغي الاستفادة منها بشتى الطرق، بدءاً بترويضها وفق رغباتها، مستندا على المنهج التجريبي للوصول إلى كل معرفة نفعية خاصة بالإنسان لا غير.

حيث كان البحث عن التحول الأخلاقي من النظري الكلاسيكي إلى التطبيقي الإتيقي ضد التقدّم العلمي السريع، جاعلا البيئة نسقًا هندسيًا أو بنية رقمية تخضع للعلة

والتنبؤ وسط المستجدات المختلفة أصبح الانعكاس البيئي يمس الإنسانية ومستقبلها الذي ناقشه **يوناس**، فإن كانت مُثُل **أفلاطون** ظلّاً للعالم الأرضي فإن ظلال البيئة عند الإنسان في فلسفة **يوناس**، ينبغي إذًا أَنْسَنَة علاقة الإنسان بالبيئة في إتيقا وأخلاقيات جديدة يمارسها **يوناس** في حثه عن الأسس الفلسفية لأخلاقيات الإيكولوجيا الجديدة، وما يعكس تحول الفكر الفلسفي المعاصر من النّظري إلى المخبر، أين تصبح نتائج مخبر الآلة والتقنية موجهة نحو الكوارث الطبيعية والتلوث كالمصانع، التي أضحت مراجع ومصادر للبحث الاقتصادي البعيد عمّا هو أخلاقي، لأنها تمس كل جوانب الحياة والتاريخ البشري مستقبلا فلابد من أخلقة جديدة للبيئة لا تتحقق إلا بتوفر الوعي كشرط للمسؤولية بمستوياتها الأبوية و السياسية، أي في صورة واسعة هي الدولة وصورة مصغرة هي الأسرة في مختلف المجالات، الأمر الذي بلوره **يوناس** في بناء أخلاقيات جديدة تجعلنا نقف عند إشكالية متنوعة تمس أخلاقيات البيئة عند **يوناس**.

الإشكالية: تتعلق إشكالية البحث في علاقة الإنسان بالبيئة، والإتيقا الجديدة داخل البحث العلمي، ضمن موضوع أخلاقيات البيئة **لهانس يوناس** لأنه يمس مستقبل الإنسان الذي بحث عنه **يوناس** من منظور السلام الإيكولوجي، كون **يوناس** يسأل عن سلام الإنسان مع البيئة الذي يضمن كرامته وهويته البشرية، ويساهم في بناء فلسفة يومية توازي بين الفلسفة العلمية والواقع المعاصر للبيئة وجمالياتها الفنية والنفعية على حدٍ سواء.

فما هي مبادئ التحّولات الإتيقية والسياسية والتكنولوجية المساهمة في بناء فلسفة لأخلاقيات البيئة عند يوناس؟

وتبعا للإشكالية التي تملي علينا تساؤلات حول طبيعة نتائج العلم التكنولوجية التي وجدت من أجل مستقبل أفضل للبيئة والإنسان، لكن نتائجه لم تحترم المستقبل الإتيقي للبيئة الذي انعكس سلبا على الإنسان، ولفهم ذلك يتفرع عن الإشكالية أسئلة منها:

1.كيف وضح **يوناس** حقيقة أخلاقيات البيئة ومبادئها في ظل التحول الإتيقي المعاصر؟

2. وما هي المعايير الفلسفية التي سنَّها بنودا لأخلاقيات البيئة الجديدة؟

3 .فهل الدور الوسيط هو الوعي البيئي أم المسؤولية أم السياسية؟

وطبيعة الإشكالية تطلبت منا المنهج التالي لتوضيح وتحليل إشكالية البحث البيئي:

المنهج: الذي استخدمناه هو التحليلي لأن أخلاقيات البيئة كانت مادة خصبة عند **يوناس** من خلال العديد من مؤلفاته أهمها مبدأ المسؤولية التي اخترت منها :بعدها الإتيقي، لتحليل خطاب **يوناس** البيئي واستئناسه بتاريخ الفلسفة منذ العهود القديمة إضافة إلى بعض المقاربات في المنهجية، بين المسؤولية الأبوية ورجل الدولة في مستواها الطبي والتكنولوجي، كلها مفاهيم مرتبطة بأطروحتي حول أخلاقيات البيئة من منظور **يوناس** وهذا التحليل، لرؤية فكر **يوناس** البيئي وللحديث عن مستقبل الأخلاقيات البيئة في ظل الراهن الفلسفي، وقد ساهمنا في إدراج فلسفة **يوناس** لبناء الأطروحة من ناحية المحتوى على الهيكلة التالية:

هيكلة البحث: تضمنت خطة البحث ثلاثة فصول كل فصل يحتوي على ثلاثة مباحث، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة على النحو التالي:

ـ الفصل الأول: بعنوان إتيقا البيئة والإيكولوجيا، حيث يعالج هذا الفصل :

ـ المبحث الأول: تحت عنوان مدخل مفاهيمي طرحنا فيه، مفهوم البيئة كمبحث جديد في الفلسفة التطبيقية، ثم الفرق بين البيئة والإيكولوجيا من حيث الآثار السلبية للممارسة العلمية، يتبعه علاقة البيئة بالإتيقا للبحث عن أخلاقياتها المعاصرة، ثم البيئة والمسؤولية الجديدة للحفاظ على مستقبل البيئي.

ـ يتعلق المبحث الثاني: بتطور كرونولوجيا أخلاقيات البيئة، أي يطرح فيه التصور الشرقي للبيئة حيث كان الوفاق البيئي مع الإنسان، إلى العصر اليوناني (الإغريقي) المنقسم لموقف فلاسفة الطبيعة وفلاسفة العقل الذين أدركوا أهمية البيئة كمقدس، والعصر الوسيط الذي بدوره انقسم إلى موقف مسيحي ضد البيئة وموقف إسلامي مع البيئة، ضف إلى ذلك العصر الحديث الذي دّمر وغّرب علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية، وشجع فكرة المركزية البشرية وسيطرة التكنولوجيا، وأخيرا في العصر المعاصر أي القرن 21م المصنف ضمن عصر الرقي الأخلاقي لبداية التفكير فيه بأخلاقيات البيئة ومستقبلها.

ـ يتعلق المبحث الثالث: بعنوان نتائج التكنولوجيا المعاصرة بالأبعاد الإيكولوجية والأزمة البيئية المعاصرة نتيجة عدة أسباب ضارة للمستقبل غير نافعة، والبعد الطبي والاستنساخ المخالف للنظام الطبيعي للبيئة نتيجة اختلال التوازن البيولوجي، أما البعد التقني وهيمنة الآلة التي أضحت المستعمر المباشر للعقل البشري.

الفصل الثاني :يبقى خاصًا بأنموذج البحث **هانس يوناس** من خلال مستقبل البيئة عند **يوناس** وتضمن أيضا ثلاثة مباحث من بينها:

ـ يتعلق المبحث الأول: بالتفكير البيئي عند **يوناس** لنطرح فيه قضية الفلسفة والعلم عند **يوناس** كي نستطيع معالجة الأزمة البيئية للحد من سرعة العلم المفرطة، ثم رفض **يوناس** للأخلاق الكلاسيكية القاتلة لعلاقة الإنسان المتمرد على البيئة، وأيضا الإنسان والطبيعة عند **يوناس** نتيجة انفصاله عنها فتولد اغتراب بينهما، وانتقلنا إلى أخلاقيات

الإنسان المستقبلي عند **يوناس** بهدف استمرار البيئة والأجيال المستقبلية داخل هذا الكوكب الحي.

ـ يتعلق المبحث الثاني: بعنوان مبدأ المسؤولية عند **يوناس**، والذي يمثل ركيزة البحث من خلال الوعي بمسؤولية **يوناس** الجديدة بقلبها من المفهوم الكلاسيكي الآني إلى المفهوم المعاصر والمستقبلي معا للبيئة والإنسان، ثم المسؤولية الأبوية التي تصنف كالتزام أخلاقي ينتقل من الأسرة إلى الدولة، ومسؤولية رجل الدولة التي تمثل نموذج الأمثل لمبدأ مسؤولية تفكر، في مستقبل البيئة المستنبط من المسؤولية الأبوية، إضافة إلى تماثلات المسؤولية الأبوية ورجل الدولة المجسدة كإسقاطات داخل المجتمع التكنولوجي .

ـ يتعلق المبحث الثالث: بطرح مسؤولية الطبيب والباحث الأكاديمي، ليتفرع إلى مسؤولية الباحث داخل العلم والبيئة، بإعادة التفكير في نتائج أبحاثه المعاصرة داخل المخبر استنادا على ضميره وأخلاقياته وواجبه، وأيضا مسؤولية الرجل داخل المجال الطبي الذي أضحى مجالا ضارا بدلا من نافع، نتيجة تدخلات الطب والطبيب في تقرير المصير وفي تغيير البنية الطبيعية للإنسان والبيئة.

الفصل الثالث: تضمن تأسيس الوعي البيئي عند يوناس، الذي أكدنا فيه على ثلاثة مباحث منها:

ـ يتعلق المبحث الأول: بأساس أخلاقيات البيئة في منظور **يوناس** الذي قدمنا فيه الخوف والأمل من أجل المستقبل، لكن بإعادة صياغة مبدأ الخوف بمفهوم إيجابي موجه نحو البيئة وليس كما كان سائدا أنه أساسٌ للضعف، ثم الميتافيزيقا ومستقبل البشرية لأن البيئة تفرض ضرورة الرجوع من جديد لهذا المبحث، كشرط ضروري لأخلاقيات البيئة

وأيضا إسقاطات الميتافيزيقا داخل الإيكولوجيا العميقة، بصفتها حركة معاصرة تدافع عن البيئة فكان منطلقها المبحث الميتافيزيقي.

ـ يتعلق المبحث الثاني: بإتيقا الممارسات تكنولوجية اتجاه البيئة، من خلال الواجب بين **كانط ويوناس** برفضه ونقده الشديد لواجب **كانط**، نتيجة قصوره في عصر التكنولوجيا ثم الإيديولوجيات الرأسمالية والاشتراكية داخل البيئة، الذي انقسم إلى شقين الأول **يوناس** والرأسمالية الضارة والمرهقة بالبيئة، ثم **يوناس** والاشتراكية التي لا تختلف عن الرأسمالية نتيجة ما ترتب عنها من أخطار مميت بالبيئة.

ـ يتعلق المبحث الثالث: نحو أخلاقيات بيئية جديدة مستقبلية، نجد فيه فلسفة **يوناس** والوعي البيئي نتيجة اهتمام الفلاسفة والحركات البيئية المعاصرة بفلسفته كنموذج مثالي يناقش أزمة البيئة بموضوعية وواقعية، ثم ختاما بجماليات البيئة كموضوع جديد للدراسة والنقاش وأخلاقيات البيئة ضمن مبحث فلسفي معاصر هو فلسفة الجمال.

ـ خاتمة دونا فيها ملخص بحث أخلاقيات البيئة "**هانس يوناس**" أنموذجا وعلاقته بالحركات الإيكولوجية المعاصرة، لنصل في نهايتها إلى جانب الآخر في فلسفة يمثل فلسفة الجمال المهتمة أيضا بالموضوع البيئي.

ونود من بحثنا فهم الأهداف والأبعاد الفلسفية للفكر البيئي لدى **يوناس** لما له من أهمية بالغة تمس العالم ومستقبله بصفة عامة، نتيجة هيمنة التكنولوجيا على العقل البشري والمحيط البيئي مستقبلا والذي جعله يتخوف من الخطر القادم، لذا **يوناس** يجسد بموضوع البيئة معرفة واقعية داخل الفلسفة التطبيقية، نسعى من خلالها لمقارنة داخل واقعنا البيئي العربي المعاصر لاتفاقها مع راهن الأزمات المعيش من الجانب الإتيقي التطبيقي.

الفصل الأول:

إتيقا البيئة والإيكولوجيا

المبحث الأول :

مدخل مفاهيمي

إن البحث في التأصيل المفاهيمي كان بسبب إعطاء موضوعنا صيغة فلسفية تشمل الأخلاقيات التطبيقية، وهذا كله من أجل بسط موضوع أخلاقيات البيئة من طرحه العام الكلاسيكي إلى المعنى الخاص المعاصر، وسنركز على مفهوم البيئة في الفكر الفلسفي والفرق بين البيئة والإيكولوجيا ثم معرفة طبيعة العلاقة بين البيئة والإتيقا بالإضافة إلى التداخل الموجود بين البيئة والمسؤولية جديدة، كلها نقاشات فلسفية تبلورت في الخطابات البيوتيقا المعاصرة في مجال أخلاقيات البيئة والإيكولوجيا.

مفهوم البيئـــة (ENVIRONMENT):

البيئة هي مكان تتوافر فيه العوامل المناسبة لمعيشة كائن الحي أو مجموعة كائنات حية خاصة، فهي فضاء تقطن بداخلها كل الموجودات وفقا لشروط معينة بهدف استمرار داخل البيت الكبير الذي لا مثيل له.

ينحصر إذن مفهوم البيئة في **المعجم الوسيط:** "تبوأ المكان به نزله وأقام به وفي تنزيل العزيز "وَالذينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإيمَانَ "سورة الحشر الآية 09 والبيئة المنزل والحال ويقال بيئة طبيعية، والبيئة اجتماعية وبيئة سياسية"[1]، يؤكد التعريف مرة أخرى على القيمة الطبيعية، البيئية فأعطاها مفهوما محددًا أي المسكن الذي لاغنى عنه ليشمل كل الكائنات الحية والموجودات الجامدة على كوكب الأرض بصفة عامة، أما بالخصوص فتكون للكائن العاقل المتميز عن جميع خلق الله لأنه الأكثر استفادة منها وتطور مفهوم العناية بالبيئة إلى ميادين الحياة البشرية كي لا تحدث الأزمة المستقبلية المتنبأ لها الإنسان المعاصر، إذ أصبح يتلفظ بها في كل ماله علاقة بالإنسان لأنه تعدى على حدود البيئة، ما يثبت انشغال العقل البشري المعاصر بمتطلبات الحياة والبيئة وتجاوز فكرة أنها مجرد ملكية جامدة وخاصة لا ينبغي التفكير فيها.

[1] المعجم الوسيط: معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص75.

حيث اشتق المصطلح من اللغة اليونانية ويتكون من "شقين OIKOS /LOGOS فالأولى تعني الوسط أو المسكن والمقصود به البيئة، أما الثانية تعني عرض أو الحديث والمقصود به علم"[1]، كلها مفاهيم تتفق على معيار واحد هو البيت أو المسكن بالمفهوم الواسع لا غنى عنه، فنجدها نصت على ايجاد توافق فكري يهدف إلى تقريب معنى البيئة من طابعها المتآلف عليه (الجامد) إلى الطابع المعنوي مستعنين بالتعاريف الاصطلاحية وفلسفية.

لأن البيئة هي "الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات من غذاء وكساء يمارس فيه علاقاتها مع أقرانه من البشر"[2]، لتبقى العلاقة المبنية بين الإنسان والبيئة علاقة تكامل لا انفصال المهيئة له كل الظروف ليشبع رغباته البيولوجية والفكرية فمن المفروض أن التعايش بين الطرفين يبنى بطريقة منطقية أخلاقية، فليس من المعقول إلحاق الضرر بمصدر الرزق الإنساني لكن الواقع الحاضر يثبت سلسلة تغيرات في العلاقة الأخلاقية، البيئية التي سارت بوتيرة عكسية طردية بدأت في العصر التطور التكنولوجي.

في حين يرى آخرون "أن البيئة بمفهومها الواسع أو المجال المكاني الذي له أساليب وطرائق متنوعة"[3] ومتعددة المفاهيم، لتنتقل البيئة من وجهة علمية إلى فلسفية الأول يقدم طرحا فزيائيا بجانبه المادي الصلب المهتم به حديثا كمادة أولية مسخرة لخدمة الإنسان متجاوزينه بالطرح الثاني المعاصر ضمن السياق العقلي التأملي، استنباطي القريب من جانبه النفسي المتعلق بالإنسان، لكن ما يهمنا جانبها اتيقي لأنه صلب موضوع الممارسات البشرية غير الموجهة نحو المستقبل.

---

[1] فتحي دردار: البيئة في مواجهة التلوث، دار الأمل، 2003، ص07.

[2] رشيد الحمد ومحمد سعيد صبراني: البيئة ومشكلتها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1979، ص25.

[3] عطية محمد عطية وآخرون: الإنسان والبيئة، مكتبة حامد للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص18.

بالتالي "البيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته وإنما تشمل البيئة أيضا علاقة الإنسان التي تنظمها المؤسسات الاجتماعية والأخلاقية والقيم والأديان"[1]، لينتقل موضوع البيئة إلى مفهوم فلسفي مغايرا لمسارها السابق الذي كانت تنتمي إليه لتشمل ميادين مختلفة من بينها اتيقا أي مبحث القيم الجديد، وهنا يطغى عليها الطابع الفلسفي الأخلاقي المعاصر بصفة عامة، وبنوعية التغيير الجديدة بدأ الإنسان يفهم البيئة ليس كأساس جامد لم يفكر في حقوقها إلا بعدما اندرجت في أهم المواضيع الفلسفية ضمن أخلاقيات التطبيقية برؤى أهم فلاسفة الحضارة التقنية.

"يحتل علم البيئة في الوقت الحالي حيزا هاما بين العلوم الأساسية والتطبيقية، ولعل أهم ما دعا الإنسان المعاصر للنظر إلى العلوم البيئية بهذه الجدية هي التفاعلات المختلفة بين أنشطة التنمية والبيئة التي تجاوزت الحدود المحلية والإقليمية والعالمية"[2]بما أفضى الاعتماد على أسس ومرتكزات الحفاظ البيئي كان أهمها استصلاح الأراضي ووضع محميات بيئية على سبيل المثال كوجه من أوجه الفكر النابع عن قلق الساحة الفكرية المعاصرة، والسبب المحوري الأثر السلبي لموضوع تقدم العلم المتأصل في أعماق جذوره من العقل البشري على حساب البيئة نتج عنه خلفيات أساسية في الحياة الحاضرة والمستقبلية، لكن هذا لا يمنع وجود قفزة نوعية داخل علم البيئي المعاصر بتجاوز قيود سلطة التكنولوجيا من قبل حركات فلسفية تهتم بأخلقة الممارسات الإنسانية، في مقابل ما قدمته البيئة له من خيرات باستمرار دون انقطاع حتى انتهى بها الوضع إلى العجز البيئي الذي يدرس اليوم من قبل العلم ايكولوجي بحركاته فلسفية المختلفة أهمها الفلسفة البيئة عند **يوناس**.

---

[1] فتحي دردار: البيئة في مواجهة التلوث، المرجع السابق، ص17.

[2] مولاي المصطفى البرجاوي: الجغرافيا واشكالية البيئة المغربية واقع وأفاق، 2016/08/18، 17:00 . www.ahekah.net

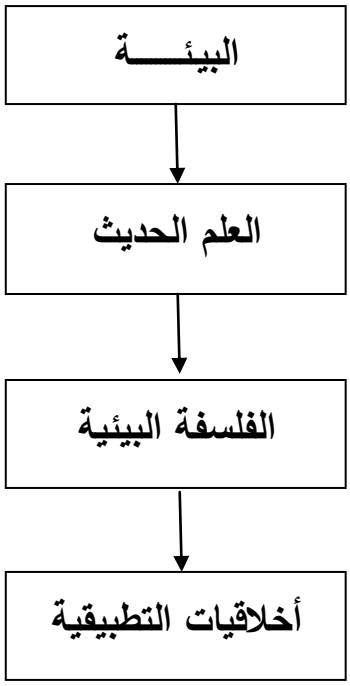

الشكل 1 مـــن البيئـــة إلـــى الفلسفـــة

يوضح الشكل التالي موضوع البيئة داخل أخلاقيات التطبيقية المعاصر، بمنطق جديد يناقش مشاكلها لمستقبل أفضل وصحي.

الفرق بين البيئة والإيكولوجيا (ECOLOGIE) :

تهتم الفلسفة المعاصرة بالأولويات المستقبلية للبيئة والإنسان معا ما حفز على ظهور مرادفات للبيئة بغية تجاوز الأزمة المحيط الطبيعي، أهمها مصطلح الإيكولوجيا "المتكون من الناحية الايتيمولوجيا (الاشتقاقية) من قطعتين يونانيتين ايكوس " oikos" وتعني البيت أو المسكن، ولوغوس logos وتعني العقل أو خطاب"[1]، لتتضح امتداداته اليونانية ما يؤكد أهميتها بحيث نجدها قديمة من الناحية اللغوية، فالبيئة كانت ذات طابع قيمي محض مرتبط بجانبه العلمي المعرفي وجانبه الجمالي، ملهما بذلك القسم إلى شقين مختلفين لكن المعنى واحد والهدف أيضا واضح هو حماية المحيط الإيكولوجي في الفكر الفلسفي المعاصر الذي وضح ميادين الإيكولوجيا والبيئة.

أول من قام بصياغته كلمة إيكولوجيا هو العالم **هنري ثورو** عام 1885 م "لكن **هيجل** دمج الكلمتين اليونانيتين OIKOS المنزل أو المكان و logos أي علم، وعرف أهدافها بدراسة العلاقات بين الكائن الحي والوسط الذي يعيش فيه"[2]، نجد **هيجل** في سياق موضوع البيئة قدم طرحا فلسفيا للإيكولوجيا لأنه أدرك أهمية هذا العلم فطَّوره بتوضيح مجال الإيكولوجيا مقسما أيضا المصطلح إلى نمطين المنزل والعلم، أي الإيكولوجيا تدرس علاقة الكائن العاقل نحو ما هو جامد وغير ناطق ليَّتم الاستفادة من طرفين بطريقة أخلاقية تقدس الطبيعة بالدرجة الأولى لا تجعل منها مجرد غاية، لكن للأسف لم نستطع الوصول إلى هذه المرحلة حتى بعد نصف من القرن **19م** فالكلمة والسلطة كانت للآلة فقط ويمنع من التفكير في الممارسات البشرية غير الأخلاقية اتجاه البيئة.

---

[1] رشيد دحدوح : مفهوم الطبيعة في الفكر الايكولوجي المعاصر 19:38 www.aljabriabed .net.18/08/2016

[2] عبد الغني بوالسكك : الفلسفة البيئية وأخلاقياتها، الأخلاقيات التطبيقية، دار الأمان ، ط1، 2015، ص168.

ما جعل "الإيكولوجيا تتصف بدراسة وتركيب ووظيفة الطبيعة، أي أنه يعني بما يحدد الحياة وكيفية استخدام الكائنات للعناصر المتشابهة"[1] والمفصلة في الطرح الجديد لعلم البيئة، منحصرة بمصطلح الإيكولوجيا ككلمة حديثة النشأة تمدنا بمجموعة من القوانين المفروضة علينا في كيفية تعامل الإنسان مع محيطه بطريقة أخلاقية بعيدة عن الطرح الكلاسيكي لها فالظروف المعاصرة فرضته لتأسيس علاقة إيكولوجيا صحيحة داخل البيئة.

درسها **هيجل** في صلب الموضوع أخلاقيات البيئة حيث يقول "يهتم هنا العلم بالكائنات الحية وتغذيتها وطرق معيشتها وتواجدها في المجتمعات أو تجمعات كما يتضمن دراسة العوامل غير الحية"[2]، **فهيجل** أعطى تعريفا مفصلا حول ما تعانيه الإيكولوجيا نظرا للتفرقة الموجودة داخل المصطلح أي العلمي والفلسفي، فالأول ذو طابع جامد أي يشمل عناصر غير الحية الجامدة أما الثاني فدراسة لعلاقة الشعوب بمحيطهم من المفترض أن تقام على أساس أخلاقي وهذا جوهر الإيكولوجيا، إلا أنه لم يهتم الإنسان بأفعاله التي تعتبر طرفا محوريا في الأزمات الإيكولوجيا، لذلك وضح **هيجل** كيفية تعامل الإنسان مع بيئته تحت إطار علم الإيكولوجيا الذي بدأ يتطور في القرن **20م** دون أن ينسب في بداياته حقائق الواقعية الناتجة عن كل تطور علمي متجاوزا لقدرات البيئة.

بسبب أنه لم تكن "الإيكولوجيا شائعة رغم استعمالها العلم عبر ترجمة **هيجل** والإيكولوجيا محيط اهتمام اجتماعي عام، لكن في البداية كانت الكلمة الأكثر شيوعا لهذا

---

[1] أحمد عبد الحليم عطية: مقدمة في الأخلاق التطبيقية، كلية الآداب جامعة، القاهرة، 2012، ص90.

[2] مولاي المصطفى البرجاوي: الجغرافيا واشكالية البيئة المغربية واقع وأفاق، 2016/08/18، 17:00 www.ahekah.net.

الاهتمام بالموطن البشري والطبيعي هي بيئته" [1] يتبين في تعليلينا وتقسيماتنا للإيكولوجيا أنه ليس حديث النشأة من الناحية اللغوية وفق التعاريف اليونانية، لكن الجديد فيه هو كيفية توظيفه وتحديد ميدانه وعلاقاته، فالإيكولوجيا قد يتسع مجالها أكثر ليصبح علما قائما بذاته يحاول توضيح ما هو كائن وما ينبغي أن يكون في حاضرنا المعيش داخل نسق أخلاقيات الإيكولوجية.

وكلمة إيكولوجيا في الفكر العربي تعني "المكان الذي يحيا فيه الإنسان، قبل كل شيء ابن بيئته (...) وهنا كان لابد على الإنسان أن يعي ذاته ويعي طبيعته وبيئته"[2] لأن الإيكولوجيا قيمة إتيقيا بالدرجة الأولى بعدما توصل البشر إلى فهم الاغتراب الموجود بين الكائن الحي العاقل وبين ما هو جامد غير العاقل، بحيث سمح الإنسان لنفسه أن يستغلها دون قيود أخلاقية بل كان همه الوحيد مصلحته الشخصية لأن الواقع يثبت صحة هذا القول بابتعاده كثيرا عن الطرح المنطقي الأخلاقي لموضوع إيكولوجيا وهذه النقطة لم يتوصل اليها إلا بعدما تفاقمت الأمور وخرجت عن سيطرته الضارة بالمنظومة الإيكولوجيا.

فتعرف بأنها: "وحدة بيئية طبيعية تشمل جميع الكائنات الحية مما ينتج عنه نظام ثابت تقريبا مميز بالجريان الدوري (...) نظرا لأن ميزتها الرئيسية هي التفاعل الذي يحدث بين عناصرها المختلفة"[3] الموجودة بين مكوناتها فهي علاقة الكل بالجزء على شكل سيرورة متواصلة، بحيث تشكل حلقة دورانية شبيهة بالحلقة التاريخية "فإيكولوجيا تدرس تاريخ البشرية مع بيئتها من مرحلة إلى أخرى حتى تتوصل لأهم مرحلة عاشها الإنسان مع محيطه في وفاق لتبقى أنموذج والذي ينبغي الرجوع إليه حاضرا يشمل جميع

---

[1] ريموند وليمز: الكلمات المفاتيح، مجمع الثقافي والأثر المجتمعي، تر:نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي، ط 1 المغرب، 2007، ص117.

[2] عبد الغني بوالسكك: الفلسفة البيئية وأخلاقياتها، الأخلاقيات التطبيقية، المرجع السابق، ص169.

[3] معين رومية: من البيئة الى الفلسفة، معابر للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2011، ص ص 12-13.

ميادين الحياة البشرية المستقبلية المنظمة للإيكولوجيا، لأنها معرفة ودراسة القوانين والمبادئ المتحكمة في هذه العلاقات وتوازنها وتفاعلها وغير ذلك"[1] .

فبعد انتقال علم الإيكولوجيا إلى الأخلاقيات التطبيقية نجده حدد ما يضر البيئة والإنسان مستقبلا باتباع الممارسات الأخلاقية تجاه محيطنا إيكولوجي، إلا أن التطور الفكري اتجاه العلم الإيكولوجي كان شعورًا بالمسؤولية العالمية فكل من **إيكولوجيا، البيئة إتيقا** مفاهيم أنتجتها الساحة الفكرية الفلسفية مثل فكر **يوناس،** لكن بنمطية معاصرة تتفق مع الظروف الراهنة حتى نستطيع تجاوز المخاطر البيئية وضمان استمرار مستقبل أجيالنا البشرية داخل الأمن الإيكولوجي.

لتتطور "فلسفة الإيكولوجيا المعاصرة في النصف الثاني من القرن الماضي بسبب تزايد تأثير الإنسان على البيئة، مثل تلوث المحيطات واختفاء أنواع عديدة من الحيوانات وإتلاف التربة والمفهوم السائد في هذا العلم هو النسق الإيكولوجي (...) يعني هذا المصطلح الاعتماد المتبادل بين مجموعة معينة من الكائنات الحية وبين هذه المجموعة والمجموعات الأخرى وعناصر معينة من البيئة"[2] التي تدرسها الإيكولوجيا المستوحاة منها الأزمة البيئية بشكل عالمي، حيث أخرجت جملة المشاكل من دائرة النقاش الضيقة إلى المطالبة بعالمية الأخلاقيات البيئة لتفتح على الفلسفة نقاشات تطبيقية أخرجتها من عزلتها السابقة المنحصرة في التحليل فقط إلى دراسة نتائج الممارسات العلمية بتطويرها لجل المصطلحات الفلسفية السابقة، حتى تعطيها بصمة جديدة تساعد الإنسانية على تخطي الخوف والقلق المعاصر في إطار الفكر البيوتيقي الذي تفرع عنه الفكر الإيكولوجي المعاصر عند أغلب الفلاسفة من أبرزهم ألماني **يوناس.**

---

[1] محمد محمود سليمان: الجغرافيا والبيئة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009، ص80.

[2] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص ص 124-125.

الإختلاف بين البيئة والايكولوجيا:

البيئة	الايكولوجيا
– مرتبطة في الجانب العلمي والجمالي والكائن العاقل فقط. – العصر الحديث. – الطبيعة عند أرسطو. – الأخلاق الكلاسيكية. – تهتم بالحاضر فقط. – سيطرة التكنولوجيا على الطبيعة.	– مرتبطة بعلاقة الكائن العاقل وبالعناصر الجامدة أكثر. – العصر المعاصر. – الايكولوجيا عند هيجل. – الأخلاقيات التطبيقة. – تهتم بالحاضر والمستقبل. – تقييد التطور التكنولوجي.

التشابه بينهما:

- كلاهما مصطلحات قديمة يونانية.
- كلاهما تدرس الطبيعة إما بالسيطرة عليها أو العيش معها بوفاق.
- كلاهما يبحث عن المصلحة إما الخاصة أو العامة.
- كلاهما يهدف للاستمرار والعيش.

طبيعة العلاقة بينهما:

من البيئة ننتقل إلى الايكولوجيا أي أزمات العصر الحديث تجاه البيئة ولدت مطالب ايكولوجيا حديثة ما يبرر أن هناك تكامل بين موضوع البيئة والايكولوجيا.

علاقة البيئة بالاتيقـــا(éthique):

يتغير ميدان دراسة البيئة من طابعها العلمي إلى الفلسفي الإيكولوجي وتحديدا الإتيقي المعاصر، لينضم المصطلح الإتيقا إلى الساحة الأكسيولوجيا الموضح في مجموعة التعاريف الفلسفية كي نفهم مدى أهميته، ولماذا ظهر هذا المصطلح؟.

فلفظ "إتيقا éthos عرفه عديد الفلاسفة أهمهم كان عند **هوميروس HOMERE** يقصد به معنى عينيا دالا على السكن أو المفهوم ومع **هنري بود HENRY BUDD** معنى النمط الموجود ومعنى العرف أو الطبع(...)و**أرسطو ARISTOTE** هو من جعل من مفهوم الإتيقا مفهومها فلسفيا فيشير إلى ما يتأدب به الفرد أو نوع أو شعب أو مدينة"[1]، متأصلا المصطلح أيضا مع فلاسفة اليونان فهو قديم النشأة من ناحية الدلالة اللغوية مثل تعريف إيكولوجيا فمن خلال هذا الشرح يتضح أنه مفهوم ذو نمطية مختلفة على حسب التدرج التطبيقي الوظيفي من **هوميروس** إلى **أرسطو** الذي أدخله إلى السياق الفلسفي ضمن مبحث القيم الأخلاقي القديم، وهنا يكون المصطلح فلسفيًا اغريقيًا محضا أولا ما يدل على قيمته في حقبة زمنية ماضية تمثل الموطن الأصلي لجل العلوم والمعارف ما يثبت أيضا انشغال العقل البشري بالأخلاقيات المعاصرة.

كإشكالية للنقاش "الفلسفي بيوتيقي تطرح في لفظ إتيقا (éthique) والمفضل في الاستعمال على لفظ أخلاق (moral) منذ سنوات الثمانين الذي يعني العادة أو الاستعمال أو السلوك "[2] الأخلاقي المتبلور في مفهوم إتيقا الجديدة، ما يعني أنه من

[1] عبد العزيز العيادي: إيتقا الموت والسعادة، صامد للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2011، ص ص26-27.

[2] مصطفى القلعي: بيوطيقا سلطة التقنية وتنافر القيم 30: 17. 21/04/2017 /www.assuaal.net.

مستحيل تحقيق جملة التغيرات الفلسفية بصفة عامة والعلمية بشقها الخاص في شكلها الكلاسيكي السابق، بحيث العالم اليوم يفضل لفظ إيتيقا على مصطلح الأخلاق من جهة ما يطالب به من انعكاسات لدراسات طبية، بيئية، قانونية تحت مبحث آخر هو البيوتيقا.

إذن الأصل التأثيلي للفظة البيوتيقا "يعود لأصل يوناني والكلمتان متماثلتان نطقا فواحدة لها دلالة الأعراف والأخرى: الالهام والنفس (...) هي السلوك وفق المعايير العامة والأعراف والقوانين"[1]متداخلة في إطار نمط اجتماعي تحكمه قوانين العرف، أما من منظور آخر نجدها تشمل الذات الإنسانية باعتبارها صفة خاصة وملامسة للإنسان وعملياته العقلية المتنوعة، بالتالي يكون المصطلح تطورًا من مرحلة العصر الحديث إلى مرحلة معاصرة لكن ليس بسبب الصدفة أو لترف فكري فقط، بل أوجدته نتائج الممارسات العلمية التي أرست عليها الفلسفة قواعدها الإتيقية الجديدة.

ليتضح مفهوم "الإتيقا بما هو بحث في التأصيل الفلسفي واستكشاف علوم الإنسان المتعلقة بالقيم السلوكية، بل مفهوم قديم يمتد جذوره إلى **أفلاطون** PLATON و**أرسطو** و**كانط KANT.I**، لكن الذي تغير هو طبيعة المقاربة المعاصرة فهي من يحدد كينونة الإنسان بخاصة تلك متعلقة بحقائقه الوجودية"[2]، بهذا نقدم معنى اصطلاحيًا عصريًا للإتيقا بتجاوزه الطرح الكلاسيكي للأخلاق لأن الفلاسفة المعاصرين غيروا دلالته ووظيفته المنصوص عليها ضمن مبحث القيم، محاولين أن يجعلوا منه مجالا خاصا بالميادين العلمية المتطورة تحديدا والمسيطرة على الكينونة البشرية والبيئة الطبيعية من جهة أخرى

[1] عبد العزيز العيادي: ايتقا الموت والسعادة، المرجع السابق، ص ص 28-33.

[2] يورغن هبرماس: اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقية، تر: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر، 2010 ص08.

إذن إتيقا حاول الفلاسفة حصرها داخل كل أثر سلبي للتطورات الحاصلة في واقعنا الحالي المنبثقة من الإنسان ذاته والموجه ضد البيئة.

تبقى الإتيقا هي "موضع للخلاف والاختلاف والصراع بين مصالحنا وغاياتنا الأخلاقية، وتجاوز الثقافتين الذاتية والمجتمعية التي تتجاوز المعنى الكلاسيكي للإتيقا بما هو نقاش نظري حول القيم والمعايير، فالرهان هنا رهان عملي بحت"[1] لم يوجد من أجل تغيير نوعية الصيغة الجديدة للفظ (إتيقا)، لأنه أصبح يطرح ويناقش في مقابل مفهوم الأخلاق فتم تجاوزه بحضور مفهوم الإتيقا الذي أنشأه الواقع العلمي المعاصر وفرضه العالم المتقدم، ومازال يختلف في طرحه و مجاله لأنه بمثابة تقييد لحرياته وممارساته غير الأخلاقية داخل العلم الضار البيئة، فكل جهة خصصت له مجاله الخاص حسب واقعها المعيش إلا أن توصلوا إلى تعريف شامل عند بعض الدول المتطورة خصوصا لأنها صانعة للتطور التكنولوجي والبيولوجي ...الخ وليس الدول النامية حتى نكون أكثر توضيحا، وهنا تعقد مقارنة من نوع آخر داخل أخلاقيات العلم بين الثقافتين المختلفتين من العالم تكون الفلسفة الفاصل بينهما لكن المتفق عليه هو البحث عن أسس أخلاقيات البيئة الجديدة.

تناقش "داخل القضايا صيحة فلسفية علمية، التي تشكل قواعد جديدة لتوجيه الممارسة داخل مختلف الميادين العلمية والعملية في المجتمعات المعاصرة، صحيح أنها قواعد أخلاقية بالانتقال من الأخلاقيات إلى القوانين"[2] كي نفهم واقع تغيير الإتيقا من مجالها القيمي المجرد، إلى المجال المقنن التطبيقي الذي كان له عدة عوامل ساهمت في

[1] نورة بوحناش: البيوتيقا انفجار الأخلاقي داخل العلم، الأخلاقيات التطبيقية، المرجع السابق، ص27.

[2] مصطفى كيحل: الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، السداسي الأول، 2016، ص27.

تقديمه أهمها ما طالبت به اللجان الأخلاقية ورؤى الفلاسفة المعاصرين لضبط تمادي العلماء الحاصل في ظل العلم، فهم أدركوا مخلفات التكنولوجيا بأخطارها المميتة على المحيط الإيكولوجي ومستقبل الكائن الحي، فلابد من توضيح مجال ممارسات الإتيقا التكنولوجيا ضمن فرع البيوتيقي حتى نحمي حقوق المستقبل (الإنسان والبيئة)على المدى الطويل، وجلها عوامل أخرجت الفلسفة من دائرة النقاش المعتادة إلى الممارسات التطبيقية بالتغيير الجذري للمصطلحات الفلسفية السائدة من بينها "الإتيقا".

مؤكدة **جاكلين روس** تفرع مجالات البيوتيقا :"هي دراسة تداخل جملة من الشروط التي تقتضيها الإدارة المسؤولية للحياة الإنسانية، في إطار صفوف التقدم السريعة والمعقدة للمعرفة و للتقانات الحيوية الطبية"[1]، ننتقل بعد ذلك من الإتيقا إلى البيوتيقا حسب **جاكلين روس JACQUELINR.R** بهدف تحسين الظرف الأخلاقي الإيكولوجي، العلمي لإعطاء كل ميدان حقه وممارسته المطلوبة على الوجه الصحيح عن طريق اتباع القوانين الإتيقية الجديدة، فلا ينبغي التفكير بأنانية في حاضرنا بل يستدعي التفكير بشكل يليق بالطبيعة الإنسانية ومستقبلها البيئي فواجبنا التقيد بجملة الأخلاقيات الجديدة المؤكدة عليها إتيقا والبيوتيقا في مجال البيئة، وهذه النقلة سببها تعدد المجالات في استعمال المصطلح فاليوم أصبح **البيو** في الطب الإقتصاد والسياسة والبيئة ...إلخ أي في كل ماله علاقة بالإنسان وغيره من الموجودات وانعكاساتها على المستقبل البيئي تحديدا.

لنصل أن "البيوتيقا هي مجال فكري اتسم باستعمال تقنيات الطب الحيوي الحديثة التي تهدف إلى التوفيق بين البحث العلمي وبين احترام الكرامة البشرية، غير أن تطور علوم الحياة السريع أثار أسئلة أخلاقية متصلة بالاتفاق حول حدود تدخلات الإنسان في

[1] جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل الهوا، عويدات للنشر والطباعة، ط1، لبنان، 2001 ص111.

مواضيع حساسة مثل موت الرحيم"[1]، بمثابة قضية جديدة الطرح تسعى البيوتيقا للفصل فيها بالإضافة عديد مشاكل علمية الأخرى سواء كان سببها قصدي أو بدونه تطرحها البيوتيقا في أمل إنقاذ ما أمكن إصلاحه بغيت الحفاظ على المنظومة البيئية صحية آمنة مستقبلا، لأن الجمع بين البيئة والإتيقا نصل بهما إلى حلول البيوتيقا أو بتعبير صحيح الأخلاق التطبيقية لأنها تؤسس لإنسانية الإنسان على حسب **هبرماس**.

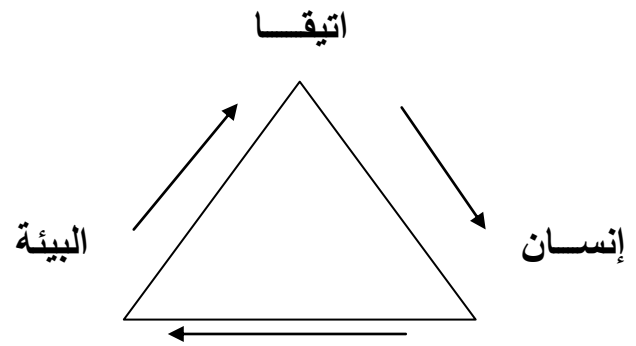

الشكل2 علاقة البيئة بالإنسان في عصر التكنولوجيا

يوضح المخطط أهمية الأخلاق التطبيقية وعلاقتها بالبيئة في عصرنا، لتفادي الخطر الحتمي الذي سوف تواجهه الأجيال المستقبلية، لتكون إتيقا أول مبحث فلسفي يدرس قضايا البيئة بموضوعية من حيث أن لها حق الإستمرار.

[1] مصطفى القلعي: بيوطيقا سلطة التقنية وتنافر القيم 30: 17. 21/04/2017 /www.assuaal.net.

البيئة والمسؤولية(la responsabilité) الجديدة :

نجد موضوع البيئة المتزامن مع عصر التكنولوجيا تطرق له جل الفلاسفة ورجال القانون وأعطوه مجاله الخاص من ناحية أكاديمية، أما ارتباطه بالمسؤولية وممارساتها الدينية واليومية تختلف حسب طبيعة تفكير المجتمع فتمت مناقشته بمنهجية موضوعية في حاضرنا المعاصر، حيث أصبحت المسؤولية ترافق الظرف العلمي بطرح فلسفي نتج عنه تغيير جذري لمفهومها ومجالاتها التطبيقية البيئية الموجودة على النحو التالي:

تقول "أنا بريء من مسؤولية هذا العمل، والمسؤول من الرجل هو المنوط به عمل تقع عليه تبعته، ويشترط في المسؤولية الحقيقية هناك أمر بالفعل أو بالترك وإن كانت مخالفة المرء لما يأمر به القانون صادرة عن إدارته"[1]، بالمفهوم الكلاسيكي للمسؤولية الذي حدد ممارستها المرتبطة بالخاصية الإنسانية العاقلة بغرض تحقيق مجموعة الأهداف الخاصة بهم لتكون مرادفة لمصطلح الالتزام، ومتبني المسؤولية عليه تحمل كل ما ترتب عن أفعاله وقراراته اتجاه كائن العاقل فقط دون التفكير البيئة.

أما **لالاند LALAND** قال "هي مكانة أو سمة ذلك يمكن أن يدعى (للرد) على واقعه، إن المسؤولية لا تتعلق بالفعل ولا حتى بالنية تتعلق فقط بطبيعة الفاعل ألا يحكم مسبقا على مسألة الاستعلام في هذه الحالة عما ستكون عليه المسؤولية "[2] كمبدأ ضروري في حياة البشر بمختلف تقسيماتها، والعبرة منها ليست في بداية تطبيق الفعل بل في نتيجة الفعل المتكونة عنه نهاية خيرة، إيجابية يستفيد منها أغلب الناس لتجسد خاصية تحقيق مطالب الجماعة، لذلك وجب عليها التقيد بمجموعة من القوانين حتى لا تقع في خطأ تسلطها لينتج عنها رضى ممارسها ومتلقيها.

[1] جميل صليب: المعجم الفسلفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص36.

[2] أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، ج03، منشورات عويدات، ط2، لبنان، 2001، ص 1216.

يبقى "أصل المسؤولية مبدأ أخلاقيا كحافز ذاتي لدى الفرد فالتربية على قيم المسؤولية وعلى فهم المسؤولية وعلى القيام بالمسؤولية، هو شأن ذاتي صرف فضلا عن شأن المجتمع والدولة"[1] لأن قانونها ذاتي مرتبط بالأنا الأعلى، المجرد عن كل سلطة قانونية مدنية مقترنة بالتربية والمبادئ الخلقية المتميزة بطابعها الأخلاقي الذاتي البعيد عن الفعل المقنن الخاضع لمراقبة السلطة والدولة، عندها يصبح كل من يمارس المسؤولية سيد ضميره ومسؤوليته لأنها ماهية الواجب الخلقي مستندة عليها في ممارساتها، جلها طروح كلاسيكية انتسبت للمسؤولية لحقبة زمنية طويلة استعصى على الإنسان تجاوزها أو تجديدها.

رغم "مرور مفهوم المسؤولية إلى شروط الاختيار كما يكون مفهوم الإرادة الحرة من شروط ممارستنا الحرة، يجب أخذ اعتبار الحتمية المصحوبة بالمسؤولية استنادا إلى بيئتنا الاجتماعية والمهنية "[2] كونها حتميات مقترنة بالمسؤولية المعاصرة بتجديد مطالبها وميادين بحثها وسلطتها المتجاوزة حدود التفكير الكلاسيكي المعتاد عليه، فسابقا كان محورها الأساسي الإنسان لأنها تبحث في حقوق المركزية البشرية لا غير ولم تقم بتوسيع نطاق مسؤوليتها في جميع ميادين الممارسات البشرية منها الطبية أما البيئية غير مفكر في مسؤوليتها سابقا، وكل هذه الخصائص الجديدة يمكن تحققها بإعطائها بعدا مستقبليا يشمل كل ماله علاقة بالإنسان وغيره من الموجودات في إطار قانوني جديد تشرحه الفلسفة التطبيقية.

---

[1] عبيس مطلب: أخلاق المسؤولية عند هانس جوناس، النظرية الأخلاقية، ابن نديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2015، ص317.

[2] Daniel françois wachter, "**repenser la confiance, l'autonomie et la transparence**" In ;traité de bioéthique, pp132-133.

المبحث الثاني:

كرونولوجيا أخلاقيات البيئة

تجاوزنا في عصرنا الحاضر الميزة الحقيقة للإتيقا البشرية بتعاملنا مع البيئة حيث جرد كل منهما من ذاتيته الطبيعية الناتجة عنها عدة أزمات مسيئة للعلاقة السابقة الموجودة بين الإنسان والبيئة، ولفهم سلسلة التغيرات كان يجب علينا دراسة المراحل التي بدأت بها الرابطة غير الأخلاقية الموجودة بينهما الآن، فكيف تجسدت العلاقات المركزية البشرية ضد البيئة في ظل حقبة زمنية طويلة؟.

1/ التصور الشرقي للبيئة :

إنه يعني "دراسة تاريخ العلاقات وتطورها بين الإنسان والطبيعة بما فيها من عادات وتقاليد ومعتقدات، في الحياة والعمل والموت والإنجاب وطرق العيش، لابد إذا من العودة إلى الحياة البرية أو البدائية والبحث في أصل الأشياء"[1] لفهم ما كان قائما، بمعرفة طرائق ونماذج الإنسان الأول في العيش واستمرار النسل دون أية عقبات بين حي وجامد فالحياة البدائية بقساوتها وبساطتها استطاعت تحقيق الوفاق المطلوب، واليوم إن لم يعترف بوجود أخلاق بيئية في مجتمع غير سائدٍ فيه التطور المعرفي إلا أن الواقع يفرضها والدليل استمرارها كأخلاقيات لحقبة زمنية طويلة موجهة لصالح الحفاظ على المحيط الإيكولوجي.

ثم نجد القنص وجمع الغذاء وأوائل الزراعة: "لقد مارس جميع البشر هذا النوع الأول من الاقتصاد ولقد استمر هذا النمط **7500 ق.م**، وبوجه عام أدخل القناصون على البيئة تعديلات أقل مما أدخله أصحاب الثقافات اللاحقة"[2] بسبب فهم الإنسان الإيجابي لمحيطه، حيث كان يقتات بالضروريات دون الاستغلال غير العقلاني بل كان يعتمد عليها لتلبية حاجياته أولا وانبهاره بقوتها ثانيا، فنجد نمطية تفكير مغايرة للحاضر السيء إيكولوجيا البعيد عن الممارسة المرضية لكلا الطرفين، يبقى التفكير الشرقي للاقتصاد نوع الأمثل للبيئة لم يخلف آثار سلبية لأن تطور الإنسان فيه كان يأخذ شكل التأني المناقض

[1] حبيب معلوف: مدخل إلى الفلسفة البيئية، مركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2002، ص20.

[2] ايان سيمونز: البيئة والإنسان عبر العصور، تر: محمد عثمان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص16.

لما يعرف بالسرعة المعاصرة المساهم في بناء منظومة إتيقيا إيكولوجيا بطريقة غير مباشرة أو إن صح التعبير دون قصد .

فنجد منذ "الأصول الغامضة لجنسنا البشري أنها عاشت الكائنات الإنسانية في علاقة يومية مباشرة عضوية مع النظام الطبيعي بغية تحصيل رزقها اليومي لا يزال قائما بالنسبة إلى أغلب الأوروبيين(...) كما بالنسبة إلى الشعوب الأخرى من مجتمعات متعاونة وعضوية"[1] لاهتمامها بالوفاق الطبيعي المرتبط بالإنسان الأول محاولة ممارسته بعض المجتمعات المعاصرة بنفس نمطية التفكير القديم رغم التطور تقني، وما دعم فكرة الحفاظ البيئي فطرته لمحبة محيطه المتمسكة بالطبيعة الأولى في إطار الممارسات إتيقيا جديد رغم عدم تدعيمها من طرف أغلب المجتمعات العالمية الرافضة للعيش على نطاق الإنسان الأول، لكن مغزى الكلام كله إتباع نموذج العلاقة القديمة لتحقيق الراحة النفسية في عصر الرقمية.

لكن "قبل عشرين ألف عام تقريبا كان الإنسان في كل بقاع الأرض التي توصل الأطراف إليها يهيمن ويأكل ما تنبته وكانت أحدث أساليبه أن يظل على مقربة من قطيع تماما كما تفعل قبائل اللاب lopps السويدية، وانتقل التحول الحضاري قبل إثني عشر ألف عام ليدخل في نوع مختلف من الحياة"[2] ليفصل في مراحل عيش البشر، مفسرين ما مر به حتى نستطيع فهم الظرف الحقيقي للبيئة مستندين على منهج علمي ومخلفات العصور القديمة، بتوضيح نمطية المدة الطويلة المستقر عليها الإنسان في يومياته دامت لقرون، بعدها حقق الإنسان نقلة نوعية من الحياة كانت سببا لتغيير جوانب مختلفة بالميادين اقتصادية واجتماعية كنتيجة كان لها ردود ايجابية زادت من حدة الانتقال

[1] مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية (من حقوق الحيوان إلى ايكولوجيا جذرية)، ج2، تر:معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2006، ص ص34- 35.

[2] برونوقسلي: ارتقاء الإنسان، تر:موقف سخاشير، سلسة عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص12.

المستقر عليه جل الكائنات العاقلة، فتفكيرها كان آنيا وليس مستقبليا متشبعا برغبة الرفاهية وبالتالي بدأ التغيير في التعامل مع المحيط الإيكولوجي من جانبه إتيقي بعد تفاقم المشاكل المغيرة للمسار الطبيعي للإنسان والبيئة.

"وصولا إلى البحث في جذور الفصل بين ما هو بشري وما هو بيئي، بين ما هو جوي وحضري وما هو بري، يجب أن نبحث في أسباب الفصل والتمايز بين البشرية وسائر الكائنات، وفي أسباب تمييز الإنسان عن باقي الكائنات"[1] الأخرى من صفة تميزه بملكة العقل المؤطرة لحياته والمغيرة لنوعية العيش والتفكير للأهداف والمستقبل ليدفع ثمنه الإنسان القادم مستقبلا، فالاغتراب الذي يعيشه اليوم سببه عدم إدراك ممارساته الخاطئة للبيئة ولنفسه وللحياة في حد ذاتها إذ ليس بإمكان التقنية التحكم في جميع ما يتعلق به ما يوضح لنا ضرورة العودة إلى الوراء حتى نستطيع اقتباس أخلاقياتها بتكييفها وواقعنا كي نستمر رغم ماله وعليه في آن واحد فيما يتعلق الأمر بالحقبة الزمنية القديمة، إلا أنها في نفس الوقت تبقى نموذجا بسيطا لأخلاقيات البيئة للاستمرار داخل أمن بيئي وإيكولوجية صحية.

[1] حبيب معلوف: مدخل إلى الفلسفة البيئية، المرجع السابق، ص21.

2/ في العصر اليوناني (الإغريقي) :

تكون لنا عودة إلى الزمن الفاضل المتميز عن باقي العصور الأخرى في فهم علوم البيئة والإنسان ذاته، لنجد مرحلة الفلاسفة الطبيعيين المقتبسين في أبحاثهم الأمور الأساسية الخاصة بالبيئة(الطبيعة)، بالإضافة إلى فلاسفة العقل والتجربة لفهم الإنسان وحده دون البيئة، فما علاقة هذا العصر بموضوع أخلاقيات البيئة ؟وهل له خلفيات مرتبطة لما سبق ذكره؟.

يذهب بعض الأنتروبولوجين إلى الحديث عن ثلاث مراحل لتطور الفكر البشري: "المرحلة الميتولوجية حيث اعتبرت الطبيعة مصدر القوة والمرحلة التيولوجية أو الميتافيزقية حيث تم توحيد الآلهة، أما المرحلة الثالثة هي المرحلة الوضعية التي أعادت الاعتبار إلى الإنسان باعتباره مصدر المعرفة والقيم"[1]، كلها تقسيمات زمنية لطبيعة التفكير البشري قدمها **أوغست كونت** A.COMTE لإدراك التطور الصاعد للعقل في جانبه المعرفي كي نفهم عن طريقه كيفية تصور الإنسان لبيئته وتعامله معها، حيث بدأ الإنسان بناء رصيده المعرفي من الطبيعة المندمج بما هو تيوقراطي ميتافيزيقي، ودمج نفسه يثبت انبهار الإنسان بمحيطه وقوة سيطرته عليه مما جعله يبحث أكثر في مظاهر وأشكال طبيعية متمتعة بها البيئة دون غيرها، لذا يتصف التقسيم **أوغست كونت** بالمنطقية بفهمه للبيئة إذ كان مرتبطًا بعظمتها ثم تفسيره اللاهوتي أخيرا وانتقاله للتغيير الجذري في المرحلة الثالثة لكن أهم مرحلة هي الأولى المصنفة ضمن العصور اليونانية.

منذ "عصر **أرسطو طاليس** وحتى عصر **لينيوس** LENNIUS دراسة تاريخ الطبيعة يغلب عليها الطابع الوظيفي، ولم يقتصر دارسوا الطبيعة على تسجيل مشاهداتهم بل كانوا أيضا يعقدون مقارنات ويقترحون النظريات الايضاحية التي تعكس روح العصر حيث

[1] حبيب معلوف: مدخل إلى الفلسفة البيئية، المرجع السابق، ص23.

كانت الإيديولوجية الزائدة ذات مفاهيم لاهوتية يعم بمقتضاها الانسجام الكامل من أجل البقاء"[1] في العصر الاغريقي كونه عصر التمييز العلمي، العملي والأخلاقي لما يتمتع به من مبادئ كان مصدرها الفلسفة تحديدا، كان أيضا إلهامه المعرفي مستمد من البيئة الموفرة للإنسان كل ما يحتاجه سواء ضروريات أو كماليات، فعرف قيمة البيت الكبير ليبدأ بحثا عن أسرار وأصول عالمنا ما ساعدهم على إنتاج تفكير متطور ضمن ظرف زماني ومكاني واحد، فانقسم الاغريق إلى شقين: الأول يشمل فلاسفة الطبيعة أو علماء البيئة بالتعبير العصري أما الشق الثاني المرتبط بفلاسفة المعرفة لتكون المفارقة كبيرة بينهما من حيث السند العلمي لكلا طرفين.

وأول من حاول البحث في الكون أو الطبيعة هو **طاليس**، قال:"أصل الأشياء جميعا هو الماء وكل شيء يعود إلى الماء، وثانيا إن الأرض قرص مسطح يطفو على الماء وهذا النوع الأول الواحد للوجود وكل شيء آخر في الكون ليس إلا مجرد تغيير للماء"[2] وللمكونات الأولى للطبيعة، من أجل استمرارها المتعلق بأهم مكون بيئي هو الماء جلها تفسيرات ذات سمة علمية وفيزيائية كونها مجردة من تفسير غيبي للوجود، فيعد **طاليس** أول من بحث في مغزى استمرار البيئة الطبيعية المقترنة بحياة الإنسان حيث نظريته تجسد في قول أينما وجد الماء وجدت الحياة والعكس، لذلك يبقى طرحًا متطورًا في حقبة فلاسفة الطبيعة بفهمهم أصل الكون لإدراك أسرار البيئة وكيفية التعامل معها، فتأمله لم يكن مثل ملاحظة الإنسان العادي للطبيعة بل كان تأملا علميا فيما تقدمه البيئة من خيرات دون انتظار المقابل، مؤكدا **طاليس** الكل يكمل الآخر فممارسة الإنسانية في العصر الإغريقي كانت متصفة بالأخلاقية غايتها احترام البيئة والإنسان معا.

---

[1] وولترس ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مؤسسة الدراسات والنشر والتوزيع، ط2 2005، ص26.

[2] نفسه، ص29.

أما **أنكسمانس INKSMANS** يرى "أن الهواء في حالة حركة دائمة وله قوة الحركة الكامنة، وهذه الحركة تتسبب في تطور الكون من الهواء وبالنسبة للعملية العامة لهذا التطور حدد عمليتين متعاكستين هما: التخلخل والتكثيف"[1]، فلا يذهب بعيدا **أنكسمانس** في تفسيره للبيئة فأعطاها طرحا فيزيائيا ماديا متمثلا في نموذج الهواء ليدعم موقف **طاليس** حول الحقيقة العلمية للبيئة، وملخص فلسفته هي: أن البيئة ليس بمقدورها الاستمرار دون عناصرها الأساسية منها الهواء فعرفه لا شكل له ولا لون ولا رائحة، لكن غرض تقديم تساؤل فلسفي هادف مبني على أسس علمية لمبدأ الحياة الكريمة بإثبات فلاسفة الطبيعة أنهم اختلفوا عن سابقيهم في الزاد المعرفي البيئي عكس فلاسفة التأمل العقلي.

"كان انهماكهم بالبحث عن الحقيقة المتعلقة بطبيعة الأشياء عن طريق العقل (...) وقد شعروا أن الاعتقاد المتزايد بتأمل الطبيعة الذي شغل العقول المثقفة مدى جيل قبلهم كان عميقا"[2]، ليشمل الصنف الثاني من التفكير الاغريقي حول أخلاقيات البيئة المبتعدة عن تقديمها الفيزيائي بتبنيه الموقف العقلي التجريدي، إذن فخطاب الفكر للفكر بالتأمل في الموجودات بدأ بالإنسان في حد ذاته ليكون سؤال أصل الكون مختلفا فيه جميع العلماء والفلاسفة، إلا أن تفسيره التجريدي كان بالرجوع إلى الإنسان الصامد أمام تفسيره المادي ليبدأ تفلسف العقول الكبيرة التي تؤسس لاحقا لمعارف كثيرة بصفة أخلاقية أعطت ممارساتهم موقف العيش في وفاق مع الطبيعة رغم الازدهار العلمي الإغريقي إلا أنهم بقوا محافظين على محيطهم البيئي.

---

[1] وولترس ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص30.

[2] أرمسترون: مدخل إلى الفلسفة القديمة، تر: سعيد الغانمي، مركز العرب، ط1، 2008، ص ص45-46.

يذهب **أفلاطون** في فلسفته قائلا: "إن علم الطبيعة ينقسم إلى قسمين جسماني وهو هذه الظواهر التي نراها ونحس بها وغير جسماني هو النفس"[1]، ما يجعله يؤكد أن البيئة عالم واقعي متغير وفانٍ، فجلها تبقى تفسيرات في البداية غير حميدة مقارنة مع ما يفضله في عالم المثل، لكن **أفلاطون** لم يطالب بتدمير البيئة بل أكد على ضرورة التعامل معها وفق ما عاشه الإنسان في عالم المثل حتى نستطيع الاستمرار داخل العالم المتغير،موضحا تعاريف للطبيعة :الأول علمي والثاني فلسفي له علاقة بالجانب الأكسيولوجي، مطالبا بالأخلاقيات أثناء تعاملنا مع واقعنا الموجود في عالم الأرض لتصنف الفلسفة الأفلاطونية، ضمن من نادى بالأخلاقيات البيئة بالرغم من عدم وجود قول صريح يؤكد الموقف إلا أن **أفلاطون** عرف قيمة العالم الطبيعي بالحفاظ عليه.

ثم **أرسطو** يؤكد "أن الوجود الطبيعي هو الذي يتعلق بالمادة في الحقيقة والذهن وهكذا سائر الموجودات الطبيعية في المادة التي تلائمها، وهذه الموجودة تتحرك لخدمة الإنسان"[2] **فأرسطو** ثاني فيلسوف محب للطبيعة ومتفق بأفكاره مع **أفلاطون** وفلاسفة الطبيعة على موضوع البيئة بالمفهوم اليوناني، لكنه أكثر واقعية من **أفلاطون** مؤكدا على حتمية العالم الطبيعي المتصف بالحقيقة الحسية التجريبية البعيدة عن المثالية التي لا يؤمن بها، بل علينا التعامل معها بحذر وبصفة لائقة تتفق وقوة العقل نابعة من مظاهر محسوسة في الطبيعة، فدائما تعود بالنفع على الإنسان كلها روابط تسيرها الهيولة، إذن **أرسطو** طالب بالوسطية البسيطة بين البيئة والإنسان.

[1] زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، دار الكتاب المصرية، ط2، القاهرة، ص 164.

[2] محمد رجب: أرسطو عبقري الفكر اليوناني، نبع الأداب، الثقافة المعاصرة، ص84.

"تطور الموضوع أيضا مع الفلاسفة **الرواقية** الذين أسفوا بشكل صريح عن الأعمال حفر المناجم باعتبارها من قبل إساءة معاملة لأمهم الأرض"[1] كونهم مدافعين عن البيئة وعلى كيفية التعامل معها، يعني أن الموضوع لم يتوقف عند **أرسطو** و**أفلاطون** بل انتقل إلى أحد أهم المطالب المدرسة الرواقية كموقف صريح حول أخلاقيات البيئة، لأنها عايشت بداية استنزاف الإنسان لخيرات الطبيعة باعتماده على مجموعة من الأدوات وأيضا الحروب الرومانية لليونان التي لوثت محيطهم في جميع أشكاله، لتكون نقطة بداية لأخلاقيات البيئة المؤسسة جذريا مع المدرسة الرواقية بدافع مظاهر التخريب غير المعتاد عليها في زمنهم.

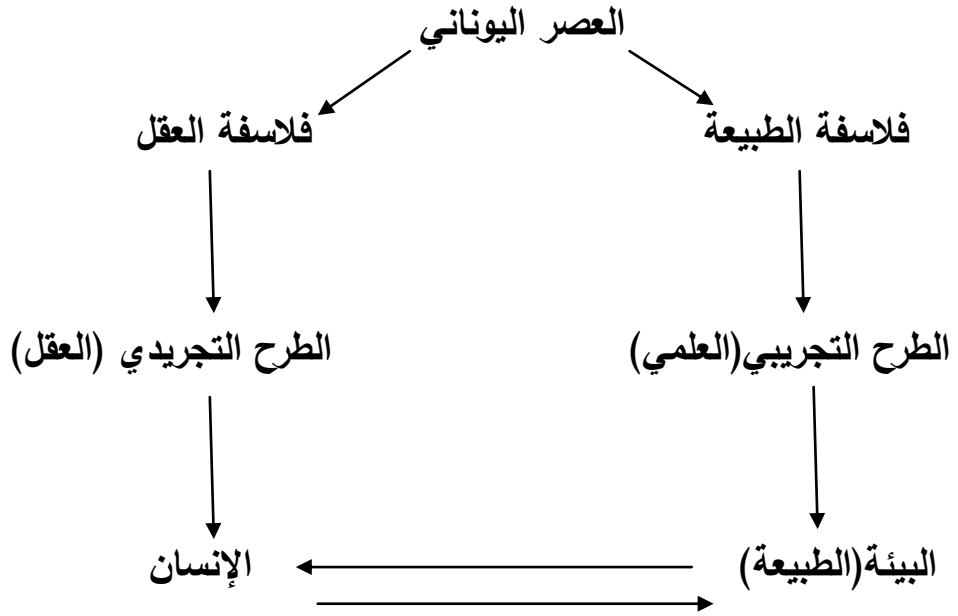

الشكل3 التكامل الأخلاقي في البيئة

يمثل المخطط الوفاق الحاصل بين البيئة والإنسان في العصر اليوناني، رغم اختلاف الفكري بين فلاسفة الطبيعة وفلاسفة العقل، لكن البيئة بقية كمقدس.

[1] مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية(من حقوق الحيوان إلى الايكولوجيا الجذرية)، ج2، المرجع السابق، ص37.

ج/في العصر الوسيط:

العصر الوسيط هو فترة زمنية متميزة جدا نظرا لاختلاف ثقافاته البشرية المستنبطة تحديدا من تنوع الكتب السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلامية)فهي أهم ما عاشه الإنسان الوسيط باعتباره يختلف عن جميع العصور الماضية، ما يزيد من قيمته الأخلاقية مرجعيته الدينية منزل من عند **الله** وليس إبداعا بشريا بل تفوقه فيما يتعلق به أو غيره من الموجودات، والمقصود هنا البيئة أو الطبيعة فجميع ما خلق له هدف واحد هو احترام وتكريم خلق **الله** في جل مظاهر الكون، لكنها الفترة المعروفة بمجموعة من النزاعات العقائدية المنقسمة إلى موقفين متناقضين: الأول يشمل الطابع اليهودي، المسيحي والثاني الإسلامي والصراع العقائدي ولّد اختلاف المواقف البارزة التاركة خلفها أثرا في أصل الكون وكيفية التعامل معه لتبدأ بوادر احترام البيئة من طرفٍ واستغلالها غير الأخلاقي من طرف آخر.

فكانت "كل الأديان خاصة السماوية تدعو إلى احترام الإنسان واحترام كل ما فيه روح، لأنها نظرت إلى ذلك من زاوية أن احترام البيئة هو احترام للحياة وللإنسان في نظرة تكاملية لا قطيعة فيها"[1] رغم الاختلاف العقائدي الموجود في تمييز الوسيط كجوهر مركزي لتحديد أخلاقيات كل ثقافة دينية والسبب أنه عصر التخلف والازدهار معا، لكن قبل بسط نقاط الاختلاف لكليهما ننطلق من وجهات نظر متشابهة باعتبارها أديانًا منزلة تتشارك في المطالبة بالحفاظ على الحياة داخل الكوكب الذي نحيا فيه، بالمحافظة على خصوصية المتمتعة بها فيجب الالتزام بما فرض في الكتب المنزلة على أساس مجموعة من القواعد الصارمة فيها الثواب والعقاب بهدف حماية كل ما خلق في الكون.

[1] عبد الغاني بوالسكك: الفلسفة البيئية وأخلاقياتها، الأخلاقيات التطبيقية، المرجع السابق، ص180.

مؤكدة الأديان والشرائع السماوية "على أهمية حماية البيئة والمحافظة عليها وعلى مواردها من الاستنزاف والإسراف والتبذير"[1] بصفة أخلاقية، مستندين إلى مبدأ الاحترام والطاعة اللاهوتية بغية مرضاة **الله تعالى** كشرط لحماية البشرية والبيئة، من منطلق أنه أهم ما ميز **الله** في خلقه ضف أنه الكائن الوحيد (الإنسان) إما يسيء أو يحافظ عليها فلا يوجد غيره يقوم بهذا الدور، لكن بالرجوع إلى النص المنزل يكون المنطلق له قاعدة التقيد بالأخلاقيات البيئة المفصلة في آيات بتعظيمها للطبيعة ومحاسبة كل من يخالف أوامر **الله** في محاولة الحفاظ عليها وعلى الكائنات الأخرى، وبهذا يكون النص الديني أحد أهم مصادر الاهتمام بالبيئة.

لكن "الأزمة البيئية كانت مستمدة من المسيحية التي ورثت عن اليهودية فكرة سيادة الإنسان على الطبيعة ومخلوقاته، فالمسيحية لم تتأس ثنائية الإنسان والطبيعة، بل ألحت على إرادة **الله**، وقضت بأن يستغل الإنسان الطبيعة لغاياته الخاصة"[2] نظرا لتغير معظم المفاهيم المفروضة داخل المسيحية واليهودية، فالمعروف عن مثل هذه الأديان حصل لها تحريف لجميع تعاليم الضرورية والحقيقية، ليبقى منطلقها سلبيا لا إنتاجيا لا يحقق أي فائدة لكلا الطرفين (الإنسان، البيئة) لأنها تحط من كينونتهم الحقيقية المؤسسة لمركزية البشرية، التي لقيت لاحقا دعما كبيرا في العصر الحديث بالاستغلال المفرط لما توفر داخل البيئة بحجّة قول **الله تعالى**، لكن الأمر مناقضُ غير متآلفٍ عليه حتى في الأديان الوضعية وتشجيع الفكرة ذاتها في العصر الحديث انبثقتْ عنه أزمات إيكولوجية كلها مخلفات العصر الوسيط الإيجابية والسلبية.

---

1 محمد محمود سليمان: الجغرافيا والبيئة، المرجع السابق، ص31.

2 معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص36.

إذن "فالعلاقة بين المسيحية والأزمة البيئية من منظور النموذج الاقتصادي النيوكلاسيكي والثقافة الاستهلاكية اللذين لهما أثرٌ كبير في تخريب كوكب الأرض وقد حظى بالدعم الضمني أو الصريح من المسيحية"[1]، فكل ما دعم الأزمة البيئية هو رسم لقاعدة اقتصادية استهلاكية فقط لما توفر في البيئة بطريقة مباشرة وعشوائية غير نافعة بعيدة عن المفهوم الإنتاجي، ما حفزت إليه بعض الأديان بدعوتها التمتع بخيرات البيئة دون مراعاة للخطر الذي ينتج عنها على المدى البعيد، مطالبة باستغلالها إلى أكبر قدر ممكن والمشجعة لجيل العصر الحديث على تبني مبدأ غير أخلاقي يصعب الخروج منه اندرج ضمن السلوك اليومي الإنساني كجزء لا غنى عنه اتجاه البيئة.

لكن الأمل مفتوح بالقرآن والسنة النبوية لنفس الفترة الزمنية من أجل الاستمرار داخل محيط إيكولوجي صحي "لذا تضمنت **السنة النبوية الشريفة** عددا من الأحاديث التي تناولت البيئة وأخلاقياتها ومن ذلك قوله "لاَ يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلَا يَزْرِعَ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ" [2] **رواه مسلم**، وأيضا **قوله تعالى** "وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتًا"[3]، لتتضح أهمية تركيز الدين الإسلامي على حماية البيئة خلاف ما وجد في الأديان الأخرى، بمطالبة الإنسان مجموعة من الأساسيات يجد ضالته فيها لضمان الراحة الصحية والنفسية إذا ما تبع شروط النظافة واحترام حقوق الحيوان، النبات وحتى الجامد بعدها يلقى أجر الدنيا والآخرة كي يحمي نفسه وغيره من المستقبل المجهول فالتفكير الإسلامي نتائجه بعيدة المدى لأن البيئة لها حق، جلها أخلاقيات وممارسات سامية يسعى إليها الغرب المتطور علميا في الحاضر المعيش من أجل مستقبل لاحق، عكس مجتمعاتنا العربية المالكة لمثل

---

[1] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص37.

[2] عصام محمد عبد الشافي: البيئة وأخلاقياتها بين الشرائع السماوية والتيارات الفلسفية، شبكة العربية العالمية www.globalarobnetwork-com/studies,05/09/2011.14:38

[3] سورة الأعراف، الآية 74.

هذه الأخلاقيات التي وجدتها مؤسسة دون الحاجة للبحث عنها، لكن للأسف مجتمعاتنا العربية المعاصرة تغيرت جل قواعدها الأخلاقية على خلاف ما كان موجودا في العصر الوسيط نتيجة ابتعادنا عن الأخلاقيات التي أضحت مطلب العالم.

د/في العصر الحديث :

بتتبعنا الكرونولوجي للعصور السابقة تبين تضارب المذاهب والمواقف حول إشكالية أخلاقيات البيئة ما استدعى البحث لفهم مراحل تطورها من أحسن إلى أسوء وصولا لأهم مرحلة تاريخية هي عصر الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي، فركز عليه علماء وفلاسفة العصر لإدراك الأزمة البيئية الموجودة في حاضرنا، نظرا للاستغلال البيئي الحر نتيجة ما قدمه من تجارب ووسائل خطيرة كبديل إيكولوجي، بحجة محاولة الارتقاء بالقيمة الإنسانية داخل محيط صناعي بعيد عن البيئة ودون التنبؤ بالنتائج المستقبلية، كلها أفكار نمت وتطورت بأفعال الإنسان لا غير على أساس أن البيئة ملك له وحده فشجع فكرة المركزية البشرية.

يشير **معين رومية** أنه "لفهم الأزمة البيئية ووضعها في سياق النظرة إلى العالم أي بتحديد النظرة الحديثة للعالم التي نشأت وهيمنت في الغرب الأوروبي، وامتدت تأثيراتها إلى بقية أنحاء العالم (الطبيعة) الضخم والواسع يؤمّن فرصا غير محدودة للبشر"[1] استنادا على التقدم العلمي وتطور المناهج التجريبية، باستعمالها في جميع الميادين المعرفية واليومية الخاصة بالحياة نظرا لقوة الإعجاب بالعلم لما كانت تراه الإنسانية أمرا مستحيلا أصبح كل شيء حقيقة معاشة، لما قدمه عصر الأنوار والثورة الصناعية مخلفة وراءها أزمات معقدة تضر بالمحيط البيئي لعدم اهتمامها بمستقبل الأجيال اللاحقة، بل تركيزها على اللحظة المحققة لهم سعادة ذاتية آنية، زد على ذلك الدعوة المباشرة للفلاسفة

[1] معين رومية : من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص 68.

المصحوبة بتشجيع العلماء على استغلال الطبيعة فيما يقع تحت يد ابن آدم المتميز بملكة العقل فله الحق المطلق في الكون ولا يمكن لأي جنس آخر اقتباس الثروة البيئية.

لأن "الطبيعة غير عقلانية جوهريا تقوم على عامل الصدفة والتغيرات غير المفهومة وغير المتوقعة، وكانت وسيلة مبكرة لأنسنة الطبيعة وعقلنتها، فالطبيعة نفسها كانت مبهمة، وفلاسفة القرن الثامن عشر بينٌ أن العقل المنطقي هو النور الذي يبدد الابهام وعدم الفهم"[1] موجهة ضد البيئة، كونها غامضة قمعت الإنسان لذا يجب السيطرة عليها بطرق تجريبية متبعة في عصر الثورة الصناعية، لتنتشر فكرة التحكم البيئي للمصلحة البشرية كنقطة بداية للهوة الكبيرة المتمثلة في السلوكات غير الأخلاقية بين البيئة والإنسان بهدف جعلها في خدمته هذا جوهر العصر الحديث الذي دمر، وكلا الطرفين معتمدان على أسباب وحجج بعيدة عن المبدأ القيمي للبيئة التي أضحت مطلب العصر المعاصر لاحقا (القرن 21/20 م).

أكد **ديكارت** DESCARTS.R "أنه من خلال معرفة براعات الحرف بين المهارة وقوة الانسجام نستطيع أن نجعل أنفسنا سادة الطبيعة وملاَّكها، وبذلك فإنه بمعرفة الطبيعة يمكن السيادة عليها وقيادتها واستعمالها في خدمة الحياة البشرية"[2]، ليكون **ديكارت** من أهم مؤسسي العنف ضد البيئة سواء بقصد أو دونه، فاتهامه للمحيط الإيكولوجي والبيئة بصفة عامة أنها مضرة للإنسان رغم ترفعه عنها بالعقل الذي يؤهله لفعل كل ما يريده بداخلها بشكل مطلق، في نظره لا يمكن للجامد أن يقمع الكائن العاقل فيكون **ديكارت** تناسى جانبها الإيجابي لأنها لم تمنعه من استنزافها بل كانت تقوم بمهامها الطبيعية ولم تؤذه بقدر ما تسببه لها، والفكرة الجوهرية منطلقها عصر العقل **الديكارتي** وغيره من الفلاسفة هي استغلال مفرط للبيئة.

---

[1] جاك الول: خدعة التكنولوجيا، تر: فاطمة نصر، دار سطور، 2004، ص188.

[2] مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية (من حقوق الحيوان الى الايكولوجيا الجذرية)، ج2، المرجع السابق، ص43.

وبالتالي يخضع الكون عند **ديكارت** "للتفسيرات الميكانيكية الآلية فيما عدا النفس الإنسانية فهي الوحيدة غير المادية في هذا العالم ويتميز الإنسان بجوهرين : المفكر والممتد وهذه الثنائية هي التي تعلي من شأن النفس الإنسانية"[1] كونها أشهر ثنائية قدمها **ديكارت** ساهمت بتدمير سريع للإنسان والبيئة، والتفرقة عنده شملت النفس والجسد حتى الذات الإنسانية لم تسلم منها، إذن ففلسفته دعوة صريحة مباشرة روَّجت لفكرة مركزية الإنسان العاقلة كونها السمة الأكثر عدلا بين الناس لتجعل منه سلطانا لبيئته حسب موقفه الفلسفي، فتجاهل الحقوق البيئة والمبادئ الأخلاقية من حيث تعامله معها بشكل مباشر ليكون **ديكارت** طرفا جوهريا مدمرا للمستقبل.

"فحوّل **فرانسيس بيكون**FRANCIS BACON الاتجاهات الموجودة مسبقا في مجتمعه إلى برنامج شامل مدافع عن التحكم بالطبيعة لأجل منفعة الإنسان، وقد استطاع أن يدمج معها فلسفة جديدة استندت إلى المفهوم الصاعد عند التقدم، وبالتالي أن يصوغ أخلاقيات جديدة تجيز استغلال الطبيعة، لم يكن **بيكون** مسؤولا عن استخدامات لاحقة لفلسفته"[2] لكن يبقى موقف **بيكون** السلبي اتجاه الطبيعة متفقا فيه مع **ديكارت** في سياق موضوع أخلاقيات البيئة، بالرغم من الاختلاف الجوهري لفلسفة كليهما إلا أن نقطة التداخل بينهما كانت حول كيفية التعامل مع الطبيعة لهدف نفعي للإنسان، والاتفاق الذي حصل بينهما كان له أثر عميق في الحياة المستقبلية بدءا به وبمحيطه، الذي انطلق من الفكر الحديث حتى المعاصر لخدمة التقدمات العلمية بما فيها التقنية، البيولوجية حتى الفيزيائية.

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المجلس الأعلى للثقافة، ط1 القاهرة 2009 ص82.

[2] مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية (من حقوق الحيوان إلى الايكولوجيا الجذرية)، ج2، المرجع السابق، ص38.

يقول **بيكون:** "الهدف من اكتساب المعرفة هو خير النوع البشري فالمعرفة هي السلطة وينبغي علينا التدخل في الطبيعة والتلاعب بها بواسطة التحكم التجريبي، بما يقود إلى اختراع التكنولوجيا الجديدة"[1] بالرجوع إلى المنبع الأصلي للثروة الأم، مدعما موقفه بالمنهج التجريبي فحقق به أكبر قدر من الفائدة العلمية لحاضره الحديث الذي بات خطرا كبيرا على الإنسان والبيئة، كلها علاقات جسدها فكر **بيكون** الاستطاني ضد الطبيعة بهدف الاستغلال المعرفي البعيد عن أية مطالب إتيقيا للبيئة، باعتبار الطبيعة أهم جزء كوني يفوق قدرات الإنسان بدونها لن تكون له القيمة العليا التي اصطنعها لنفسه داخل هذا فضاء إيكولوجي.

فنجد "انتقادات فلاسفة **الكونية الكانطية** تجوهها إلى أي مدى يتعلق بالإكراهات الأخلاقية، فالفلاسفة الذين يرفضون هذه المقاربات هم **الكانطيون** أحيانا يدافعون عن وجود مبادئ مطلقة"[2] يجب تجاوزها في عصرنا لأنها استبدلت بمقاييس نسبية غير قابلة للثبات، أما المعرفة المطلقة فمرجعيتها الفلسفة **الكانطية، بيكونية وديكارتية** توضح عدم الاهتمام بمجال الأخلاقيات البيئة، بل كان فهما مقتصرا على تطبيق الأخلاق الكلاسيكية مثل الواجب **الكانطي** الموجه لخدمة الإنسان دون غيره بدوره جسدا للمركزية البشرية فلم يكن عصر توفيق بين المطلب العلمي والأخلاقي في علاقة البيئة والبشرية.

لأن "العقل يقود الإنسانية نحو التقدم لكي يصبح التقدم هو القانون المحتوم للتاريخ واعتبار الإنسان هو ذات العالم، فينبغي له بموجب ذلك أيضا أن يتحكم فيه وفي نهايته فمهمة التحكم في الطبيعة يسندها **ديكارت** و**ماركس MARSC.K** إلى العالم"[3]، كلها مغالطات جعلت العقل ينقاد وراء رغبة السيطرة على البيئة عن طريق البحث العلمي الذي

---

[1] حبيب معلوف: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص68.

[2] جان فرانسوا دورتبي: فلسفات عصرنا، تر: ابراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2009، ص290.

[3] اغارموران: هل نسير إلى الهاوية، تر: عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص38.

أعطى نتائج غير حميدة، يدفع ثمنها الجيل المقبل داخل منظومة إيكولوجية غير متوازنة أليس له حق استمتاع بالحياة لما تملكه الطبيعة من خيرات مادية ومعنوية؟ هي نقطة جوهرية تجاهلها العصر الحديث والفلسفة بالطرح الكلاسيكي.

لتبقى المبادئ التي تنظم تقليدنا الفلسفي والأخلاقي كله "هي نظرية تقليدية للأخلاق النظرية وهذه المرجعية إلى منظومة الأخلاق من **ديكارت** إلى **كانط** KANT (....) وإطّلاع بالحتميات"[1] المغيرة لمفاهيمها جذريا في القرن(20م/21م) نتيجة الأزمات البيئية باتت مركز اهتمام كل الفلاسفة، المفكرين، العلماء نتيجة لمخاوف أضحت معاشة لعدم قدرة البيئة على الاستمرار وعجز الإنسان عن الخروج من قيود التكنولوجيا الحديثة.

[1] جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص ص29-30.

هـ/ العصر المعاصر:

عصر يقابله الرقي الأخلاقي بتغييره للمفاهيم الكلاسيكية وانتقال من النموذج الأخلاقي السابق إلى النموذج الاتيقي الجديد ضد أساسيات الثورة الصناعية وعصر التقنية لما خلفه من سلبيات باتت خطرا على الإنسان ومحيطه، فانتهجت الحركات الإيكولوجية الجديدة سياسة القطيعة مع مبحث الأخلاق متمثلا في مرجعية الفلسفات الماضية منتقلا إلى أخلاقيات البيئة لتشمل كل تفرعات الحياة، وأصبح كل نشاط له أخلاقياته الخاصة يشهدها عاصرنا وتحاول تدعيمها بعض الدول وتوجهات العلمية من جهة وترفضها بعضها مثل: عملية الاستنساخ على سبيل المثال مباح وممنوع في مجتمعات معينة.

نتيجة "اتصال الأخلاق بالسلوك الإنساني المباشر فقد ازدهرت البحوث الأخلاقية ذات التوجه البيئي أبرز من غيرها وراحت تنصب على الجانب الأخلاقي في علاقة الإنسان بالبيئة"[1] وفي كيفية التعامله مع المحيط الإيكولوجي تحديدا أخلاقياته في قرن السرعة العلمية، باعتباره حقبة زمنية متأخرة لفهم الإنسان داخل البيئة الموفرة له الكثير كونها كائنا غير ناطق، فليس بإمكانها المطالبة بحقوقها إلا بعدما أدرك الإنسان الخطأ الفادح الذي ارتكبه معها نتيجة أنانيته.

لأن "الحياة الإنسانية حياة نفعية وأمام تآكل المعنى القطعي المرتبط بالالتماس الأخلاقي وبالتساؤل عن الطريقة التي يجب من خلالها فهم الأخلاق وحدودها، فالنقاش الفلسفي يمكن أن يتخلص من الاستقطابات العقيمة والمرتبطة برؤى العالم، ليرتكز على موضوعات الفهم الأخلاقي التي بإمكان الجنس البشري أن يكّونها لنفسه"[2] بالتفعيل

[1] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص31.

[2] يورغن هبرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية والنسالة الليبرالية، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، ط1، بيروت 2006، ص50.

المعاصر للمفهوم الأخلاقي الجديد، المبتعد عن التجريد العقلي واعتماده على التطبيق التجريبي بانتقاله من مطلق كلاسيكي إلى نسبي معاصر قابل للتغيير،ليكون الاختلاف الأكسيولوجي مساهما في وجهة فكرية جديدة فأصبح للبيئة إتيقا خاصة بها تطالب من طرف اللجان بالأخلاقيات الإيكولوجيا ليس من أجل الحاضر بل للمستقبل.

لكن "أولاً على العلماء أن يتحملوا المسؤولية الاجتماعية من أجل الوفاء بالالتزامات الخلقية واستبقاء تأييد جماهير العلم، نجد أن معايير الأخلاقيات في العلم لها أساسا تصوران هما: الخلق العام والعلم، ويجب ألا ينتهك السلوك الأخلاقي في العلم معايير الخلقية متفق عليها"[1] كونه المذنب الأكبر فيما يتعلق بإشكالية الأبحاث العلمية غير الأخلاقية المستنبطة مادتها البيئية خارج نطاق إتيقا، ليتجسد مفهوم العصر المتمثل في انبهار العقل لما قدمه العلم من أمنيات للإنسان وتحولات البنية الطبيعية مساهما في تكريس العنصرية ضد المنزل الكبير، سبب في ظهور أخلاقيات البيئية كنظام جديد وكفلسفة تقوم على العلاقة الأخلاقية بين الإنسان والبيئة، على أساس أن الإنسان هو الكائن الأخلاقي الوحيد الذي يستطيع أن يؤسس لقيم ومعايير أخلاقية، تعبر عن بعده القيمي ليحفظ بها الطبيعة[2] نتيجة تبني موقف ثوري إتيقي تسعى إليه المنظمات الإيكولوجيا المعاصرة لجلب انطباع الرأي العام العالمي، موضحة خطأ الانسان الصناعي المزامن للعصر الحديث بالرغم مما قدمه لكن أثاره على الإنسان المعاصر والثروة الطبيعية يصعب تجاوزها اليوم، والمخرج الوحيد هو الخطاب الإتيقي الإيكولوجي داخل الأنساق الفلسفية المعاصرة.

أنتجت الفلسفة البيئية "فهي مفهوم جديد أراد أن يجسد نظرة جديدة للبيئة وكيفية التعامل معها والانتفاع بها، وبالتالي عبر عن تحول تاريخي في الأخلاق البيئية لتصبح

---

[1] ديفيد رزنيك: أخلاقيات العلم، تر:عبد النور عبد المنعم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص85.

[2] عبد الغاني بوالسكك: الفلسفة البيئية وأخلاقياتها، الأخلاقيات التطبيقية، المرجع السابق، ص155.

بؤرة مناقشات الأخلاق التطبيقية، إذن الأخلاق البيئية أخلاق تطبيقية تهتم بالفعل والعمل لا بالتنظير والتأمل"[1]، لتفتح مجالا بعيدا عن نقاشات الفلسفية المعتادة عليها لأنها تطرح نتائج العلم وانعكاساته الإيكولوجيا المستقبلية، بتحوله إلى مركز اهتمام فلاسفة العصر لأهمية المخاطر المستدركة مؤخرا التي تسعى لتذليلها، استنادا على ما أصبح يعرف بالأخلاقيات التطبيقية فانتقلت إلى ضبط سلوكات العلماء، الأطباء وحتى الباحثين في مجال العلوم الإنسانية ضمن منظومة الأكسيولوجيا مقننة من أجل احترام كرامة الإنسان العاقلة واسترجاع الوفاق الأخلاقي داخل محيطنا البيئي.

من خلال مطالبة الفلسفة البيئية بالتراجع عن التقدم "ليشمل حقوق الإنسان الآتي من الأجيال القادمة، أي مراجعة الإنسان المنحدر من العقلانية الكلاسيكية"[2] بدءاً بضبط وتحديد سرعة التطور التكنولوجي المهيمن على الإنسان فالأمر غير منطقي لأنه صنع الكائن العاقل يستطيع الاستغناء عنه، كلها مبررات رفضتها الفلسفة المعاصرة موضحة موقفها غير المنافي للتطور النسبي للعلم حتى لا يقع الإنسان في تناقض للتوفيق بين متطلبات العصر وقمع مخلفاته المميتة.

لأن "النظرة الآلية تسببت بموت الطبيعة عندما أجازت التوسع الصناعي والتجارب بلا ردع والإباحة الخلقية للتدمير البيئي"[3] استفز الفلسفة للتدخل في مناقشة العلل الأولى للبيئة نتيجة التمرد غير الأخلاقي حيث أصبحت حقيقة ملموسة بالتعود على السلوكات الجديدة مغايرة لما ألفناه لضمان استقرار الحاضر والمستقبل، بتحويل مفاهيم أخلاقية إلى الإتيقية وربطها بالراهن الإيكولوجي والمسؤولية من أجل رد الاعتبار البيئي.

---

[1] عبد الغاني بوالسكك: الفلسفة البيئية وأخلاقياتها، الأخلاقيات التطبيقية، المرجع السابق، ص179.

[2] معين رومية: من البيئة الى الفلسفة، المرجع السابق، ص155.

[3] مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية (من حقوق الحيوان إلى الايكولوجيا الجذرية)، ج1، تر:معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2006 ، ص12.

" شهد القرن 20م غمار عملية التغيير العميقة بحيث تختلف في عملية الشيخوخة الطبيعية، إنها على أصح تغيير في ظروف الحياة وكانت القوة الدافعة عقابا لما يسمى ثورة التكنولوجيا"[1] بمثابة انتحار للإنسان لما تسبب به، والتعبير المطروح كافٍ لكي يبلغنا أن الطبيعة لم تعد قادرة على تقديم أي شيء آخر لأنها في مراحلها الأخيرة، ويبقى الحل في قمع التطور التكنولوجي والتعايش بالطريقة السلمية مع ما تبقى من ثروات طبيعية، بعقلنة المطالب على مبدأ الحقوق حتى لا تدخل الأجيال اللاحقة في حلقة مفرغة داخل البيئة المريضة بسبب عدوانية الإنسان الحديث والمعاصر، فنجد بعض الحلول من وجهة فلسفية معاصرة عند أنموذج **يوناس** في موضوع كيفية الحفاظ على البيئة بقراءة فلسفية معاصرة.

من خلال "الإعلان عن حقوق الطبيعة ورفض مركزية التشبيه الإنساني هكذا توسع أخلاق نظرية جديدة المفهوم بدل الاعتراف بأن الإنسان وحده غاية بذاته، فإن الطبيعة أيضا تطالب بألاّ تعامل معاملة وسيلة وأبرز **يوناس** H. JONAS حق الطبيعة الأخلاقي، فما دامت الطبيعة تعطي للإنسان فإن على الإنسان أن يقدم لها مقابلا"[2] نفعيا يخدم واقعها في نظر **يوناس** هو ما أثار جدلا عالميا كبيرا بمبدأ الأخذ والرد فمن غير المعقول الإساءة لمن يعطيك دون انقطاع، فأغلب ما قدمه الفيلسوف الألماني **يوناس** يصنف ضمن أهم فلسفة تطبيقية، إتيقية، إيكولوجيا معاصرة ملخصا كله بمطالبة التعامل من خلال مبدأ الاحترام المتبادل الذي يرفع من قيمة الإنسان وبيئته.

جاعلا **يوناس** "التقنية الوراثية في الحياة جدلا العقل هادما لنفسه ويعتبر أن السيطرة على الطبيعة تنقلب تبعية النوع بالنسبة إلى الطبيعة، وحتى الآن إن الأسباب الأخلاقية

[1] اكرام فهمي حسين: أثر التقدم العلمي على الإنسان والبيئة في العصر الحديث، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان ع62، 2009، ص433.

[2] جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص124.

التي تمنع الهدف الجماعي من استخدام الأفراد كأداة، بوصفهم مجرد نماذج عن النوع"[1] بهذا يكون موضوع أخلاقيات البيئة بحثا فلسفيا منذ أصوله الأولى، تحديدا العصر اليوناني لتتغير مفاهيم الحفاظ عليه من العصر الحديث، إلى المعاصر الذي أضحى يطالب بالرجوع للتفكير القديم في علاقة الإنسان بالبيئة، خوفا من المستقبل المجهول للعالم في حالة استمرار سيطرت التقدم التكنولوجي بمختلف نماذجه.

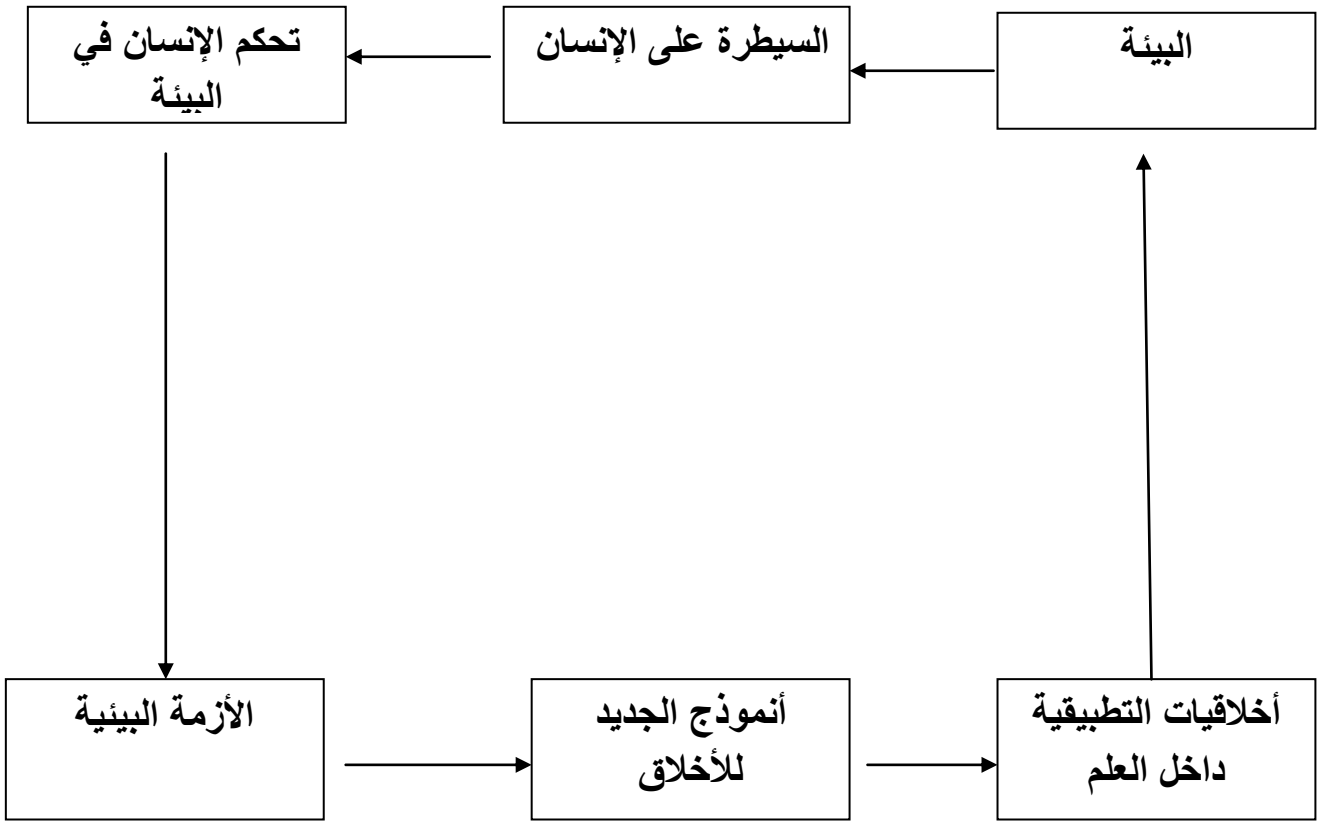

الشكل4 كرونولوجيا أخلاقيات البيئة (صيرورة التحول من الأخلاق إلى الايتيقا)

يوضح لنا المخطط مدى أهمية الوفاق البيئي في العصور الأولى، ثم تحول الممارسات غير أخلاقية اتجاه البيئة في العصر الحديث والمعاصر بسيطرت العلم على حقوقها.

[1] يورغن هبرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية، المرجع السابق، ص61.

المبحث الثالث:

نتائج التكنولوجيا المعاصرة

تتعلق نتائج التكنولوجيا المعاصرة بالراهن الإيكولوجي الذي يتطلب منا فهم ما تمر به البيئة أولا حتى نستطيع تخفيف حدة الأزمة الإيكولوجية، بتوضيح النتائج السلبية الناجمة عن الإنسان بشكل مفصل باستخدامه للآلة واستعماله للهندسة الوراثية، ونتائج التنبؤ العلمي غير المتوقعة انعكست بممارسات غير حميدة على البيئة، فوجب على الأخلاق الانتقال من النظري إلى التطبيقي داخل الواقع المعيش.

لصالح "الإنسان والبيئة لأنهما توأمان لا ينفصمان كون الاستواء على البيئة هو في منزلة الاعتداء عليها مما يلحق ضرر على مجمل التنوع الحيوي كما أن الدراسات البيئية لا تنظر إليها كترف عقلي، والكشف عما لحق بالبيئة من أضرار قد يصعب علاج بعضها نتيجة سوء الاستغلال"[1] الطبيعة، وتحديدا بعد تتبعنا للتطور الأخلاقي التاريخي للبيئة نفهم أن الطبيعة والإنسان لا يمكن الفصل بينهما، لكن التغير الجذري الحاصل داخل العلاقة الآن يختلف عما كان سابقا بتغيير جملة المبادئ والأسس لفهم الإنسان للبيئة وفي الوقت نفسه لا يمكننا الجزم بأن رغبته بالسيطرة على الطبيعة اتجهت سلبا وكان سببها استناده على العلم التجريبي.

لأنه "لا يمكن لأحد اليوم أن ينكر ما قدمه العلم للإنسانية عبر العصور لأنها أيضا حياة أولئك الحالمين الذين تخيلوا فردوسا، وقد تغافلوا عن حياة البؤس حتى القرن الثامن عشر أو حتى مجيء الثورة الصناعية، ذاك الموعد نفسه الذي يحَّمله أنصار البيئة مسؤولية بداية اختلالات عميقة في توازنات الطبيعة غالبا ما يكون العلم في حاجة إلى ثمن ما وتضحيات معينة"[2] تدفعها البيئة بمختلف مظاهرها، لأنه ليس بالأمر البسيط على

[1] عطية محمد عطية وآخرون: الإنسان والبيئة، المرجع السابق، ص261.

[2] حبيب معلوف: مدخل إلى الفلسفة البيئية، المرجع السابق، ص78

حد تعبير الفلاسفة المهتمين بأخلاقيات الإيكولوجيا في مجمل مواقفهم، فهم لا يبالغون في الأمر بل حقيقة معاشة وواقع لا يبشر بالخير المستقبلي، لتبقى أزمة مرتبطة بالعصر الحديث باعتباره المنبع الموجه والمشجع لفكرة السيطرة على البيئة دون مراعاة ما ينتج عن الفكرة المسيئة للعلم بهدف التقدم ورقي العنصر البشري.

فقد كان "الإنسان قديما منذ عصر الإنسان الأول يعتمد في حياته على قوته العضلية، وقد تمكن الإنسان بعد ذلك من استخدام وسائل أخرى للحصول على الطاقة كاستخدام طاقة الرياح، وتساقط المياه، وانتهى به الأمر إلى استخدام الطاقة النووية"[1] وما نلاحظه هو تدرج الأفكار البشرية من بسيط إلى معقد تبعا لكل حقبة زمنية مقترنة بالظرف المكاني والزماني، إلا أنها مبررات لا تنفي جشع الإنسان المسيطر عليه متناسيا كل ما قدمته البيئة له، لكننا وجدنا التعايش معها في بداية العصور الأولى للحياة حتى القرون الوسطى بسيطا متكاملا برغم من قساوة البيئة استطاع أن يستمر بشكل عادي في قمة تخلفه العلمي بالمقارنة مع التطور الحاصل اليوم، نحن لا ننفي دور العلم الإيجابي لكن نحاول توضيح ما نتج عنه من آثار أغلبها سلبية، فهل حقا كنا في حاجة للطاقة النووية ؟ هذه النتيجة العلمية ولد عنها نفور أخلاقي شديد أدَّى إلى عقم البيئة مستقبلا.

بطرح "انقسام البيئيين اليوم بين معارض بشكل مطلق وناقض للتقدم العلمي الحاصل وتطبيقاته التقنية، وبين المراهن على هذا التقدم من جديد وعلى التكنولوجيا البديلة ولا مفر من نقده ومن عودة فلسفة العلوم و الابستمولوجيا، لأن تأخذ دورها في المراجعة والنقد"[2] فبات دور الفلسفة اليوم ضروريا في مجال فلسفة العلوم، المتطرقة في نفس السياق تاريخ العلم وكيفية تطوره وأسبابه ونتائجه، ليلتقي المجال العلمي مع المجال

[1] أحمد مدحت اسلام: الطاقة والتلوث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص50

[2] حبيب معلوف: مدخل إلى الفلسفة البيئية، المرجع السابق، ص79

العقلي الاستنباطي في شكل جديد داخل إشكالية القيم وعلاقتها بالبيئة من مؤيدين للتقدم ورافضين له ولكل منها حجة لتدعيم موقفه، ما أدى لظهور ما يعرف بالبيوتيقا الفاصلة في الأمر الموضحة للإفراط العلمي المتجاوز لحدود الاحتياجات الضرورية كلها مهام إتيقيا.

تهتم "بالبيئة وبعناصرها المختلفة المؤثرة في الإنسان ولكن الإنسان بدوره يؤثر في البيئة وبشكل مختلف عن البيئة، ولم يكن تأثير الإنسان في البيئة واحدا أو متشابها بدرجة كبيرة في كل زمان ومكان، إما أن تكون مقصودة وعن عمد، وهذه الأخيرة تعد تأثيرات إلى حد كبير "[1] توضحها البيوتيقا بالأزمات الإيكولوجيا المعاصرة وعلاقتها بالتكنولوجيا، محاولة السيطرة على العلم المندفع دون تفكير في تطوير الجوانب الأخلاقية للمعرفة وعلى السلوك البشري السعي لضبط أبحاثه وفق نماذج صحية تستفيد منها البيئة مدركا لعواقب قراراته اتجاه أعماله المعرفية.

"لأن الطبيعة مجموعة أو جملة العمليات تجري بشكل طبيعي دون تدخل الإنسان وهي كانت موجودة قبل ظهور الإنسان بزمن طويل، أما الإنسان هو مخلوق حديث نسبيا"[2] ما يدل على أسبقية ظهور البيئة (الطبيعة) قبل الإنسان تاريخيا، فالعنصر البشري دخيل عليها إلا أن الأمر لا يُنقص من قيمته بل يؤكد على ضرورة وجوده داخلها، لكنه وقع في تناقض مع محيطه بفهمه الخاطئ والمهم أنه نتج عن أفعاله العلمية تحديدا أزمات بيئية وإيكولوجيا جذرية يجب توضيحها.

[1] محمد محمود سليمان: الجغرافيا والبيئة، المرجع السابق، ص33.

[2] نفسه، ص30.

1/الأبعاد الايكولوجية والأزمة البيئية:

"تعتبر الأزمة البيئية جملة المشكلات البيئية الناجمة عن الاضطرابات التي تحدث سواء في المنظومات الإيكولوجية أو في الأرض ككل بما هي المنظومة الأشمل التي ترعرعت فيها الحياة"[1] لذلك يجب معرفة المشكلات الإيكولوجيا التي أضحت هاجسا مروعا بخطر إبادة الحياة بأكملها، فأزمة بمفهومها دائما دافع نحو التقدم وتخلي أو تجاوز الوضع سائد لتبني نموذجا أرقى متعاليا عكس ما كان معتادا عليه، بمحاولة تطبيقه على مشاكل البيئة بأنواعها بعد فهم الأسباب التي جعلت الوضع يصل لمرحلة مستعصية بممارسة العنصرية والاستنزاف غير الأخلاقي والمفرط.

"كاستنزاف الموارد الطبيعية مشكلة بيئية تنجم عن الإسراف في النهب واستغلال هذه الموارد وكذلك عن هدرها نتيجة عدم الاستخدام الرشيد لذلك فالموارد المتجددة مهددة إما بالتلوث أو بعدم قدرتها، ويؤدي استنزاف الموارد الطبيعية إلى مشكلات بيئية مرتبطة بتأمين الغذاء للكائنات الحية"[2] لتشمل الإنسان، الحيوان والنبات،ما أدى إلى الإخلال بالتوازن البيئي الذي راح ضحيته تحديدا الحيوان، النبات ليصل إلى المكونات الجامدة للبيئة، فتفكيره الآني انحصر على ذاته كونه أرقى الكائنات الحية مكرسًا كل الثروة البيئية لصالحه فلم يترك الطبيعة على حالتها الأولى ولم تجد من أين تستقوي قدراتها، وبالتالي يعلن عن عجزها المطلق لضخامة خطر وضعها وتزايد أضرارها دون انقطاع.

أبرزها التلوث الذي هو "كل تغيير كمي أو كيفي في مكونات البيئة الحية وغير الحية وظهور عدد من الموارد الجديدة في وسط من أوساط البيئة لم تكن موجودة فيه من قبل وهو ما ينتج عن تغير في نظام الطاقة، وكل ما يؤثر في جميع عناصر البيئة وكل

[1] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص15.

[2] نفسه، ص16.

ما يؤثر في تركيب العناصر الطبيعية"[1]، لأنه يصنف من المشكلات المستعصية لإيجاد حلول لها وإن وجدت لن يرجع الوضع للحالة الأولى، فمعالجته تبقى نسبية لأنه تغيير جذري وسلبي يولّد نماذج جديدة ليست من صنع الطبيعة كونها تستطيع معالجة نفسها بل يعيد التغيرات في أصول الحقيقية للبيئة نظرا لحتمية الخطر الضار بالإنسان والواقع البيئي المجهول المنافي لمبدأ كرامته التي أفسدها نتيجة تجرده من عامل روحي كشرط ضروري، لكنه اختار بإرادته الحرة القطيعة الخلقية ليصل إلى مرحلة التشوهات البيئية.

ليتبين أن هناك "ضغطا متزايدًا على مصادر الطاقة في كل مكان وأن هناك إسرافا شديدا في استهلاك الطاقة على مستوى العالم أجمع، ولاشك أن هذه الزيادة الهائلة تسبب تلوثًا للبيئة في كل مكان وظهرت أثار هذا التلوث في السنوات الأخيرة لهذا القرن ولابد أن هذا التلوث سيؤدي بشكل ما إلى التأثير على صحة الإنسان وعلى حياته في المستقبل"[2] رغم ما يتميز به القرن **21م** من تحضر في كل ما له علاقة بالإنسان إلا أنه مستندا على نشر ثقافة الاستهلاك دون تعويض، كونها مرحلة توصلنا إليها بسبب فوائد العلم المقدمة للإنسان متجاوزة دائرة الحلم والتمني لدرجة البساطة، كلها وقائع متفق عليها لا يمكن إنكارها فالتقدم التكنولوجي له جوانب غير مرغوب فيها لم يتوقع لها وكما كانت الاستفادة من العلم شاملة لأغلب أنحاء العالم تكون سلبياته تتصف بالشمولية، وفي نفس الوقت لا يمكننا أن نلقي اللوم كله على علم الثورة الصناعية ونتوقف بل علينا نهج الطرق المغايرة له وليس مواصلة ما بدأ فيه تحت حجته، بقولنا أن البيئة تعاني التلوث بمختلف مظاهره يكون بطبيعة الحال تلوثا عالميا لا يستثني أي مكان داخل البيئة وكوكب الأرض بصفة عامة والإنسان ومستقبله بصفة خاصة لتكون حتمية العلم قضية خاطئة.

---

[1] فتحي دردار: البيئة في مواجهة التلوث، المرجع السابق، ص99.

[2] أحمد مدحت إسلام: الطاقة والتلوث، المرجع السابق، ص08.

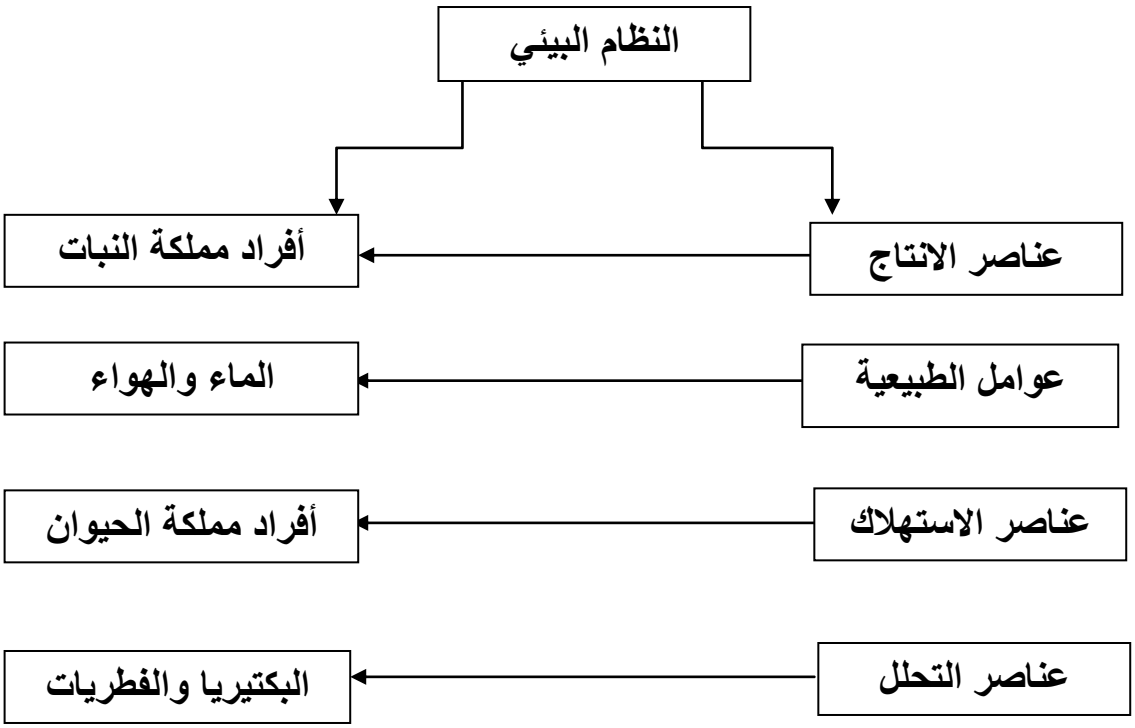

الشكل5 نجاح التوازن الطبيعي دون تدخل العنصر البشري فيها

يجسد هذا المخطط النظام البيئي سلسلة إيكولوجية متوازنة فيما بينها بقيام الطبيعة جملة من الوظائف المنظمة و المستقرة، لا تترك خلفها أية أثر بسيط وليس المعقد الذي يصعب حله مثل التلوث الجيني، لكن مجرد تدخل الممارسة البشرية لأحد العناصر الأربعة يتحول النظام البيئي إلى كارثة تؤدي لاختلال توازنه الطبيعي، لكن للأسف تبقى معادلة إيكولوجيا مستمرة في حاضرنا كأزمة مستعصية تعاني منها البيئة في منظومتها الطبيعية.

لكن "الأزمة الإيكولوجيا ليست جديدة، الجديد هو ارتباطها اليوم بأنشطة الجنس البشري وذلك عن طريق اكتسابه التكنولوجيا وسيطرته المطلقة على الموارد الطبيعية وانتشاره عبر كافة أنحاء المعمورة، والجنس البشري هو كذلك الصنف الوحيد الذي يمكن لأنشطته في نقطة محددة من العالم أن تكون لها عواقب في مناطق مختلفة تماما من العالم"[1]، بسبب عدوانية المركزية البشرية جعلته من محب لمحيطه إلى عدو له يطغى على كل ما يقع تحت تفكيره ويده لتلبية رغبة الرضى عن نفسه، بقمعه المتعمد اتجاه الطبيعة من منطلق ترسيخ فكرة أنها كانت متوحشة وما زاد طين بَّلَةً أنه ساهم في تورثيها لاحقا، لكنه للأسف لم يتوصل إلى فهم أنَّ مهما خَلفته الطبيعة من آثار لن تكون مؤذية لفترة طويلة مقارنة مع الكارثة البشرية، فالتكنولوجيا اليوم بإيجابياتها وسلبياتها تقع على البيئة من فعل الإنسان وحده وجلها تفسيرات وضحتها الفلسفة المعاصرة لفهم واقع الأزمة.

"تجسدت في العوامل الناجمة عن نشاطات الإنسان المختلفة في إطار الإنسان لتأمين حاجاته (...) لكنه يبالغ في استنزاف الموارد الطبيعية بقصد أو بدون قصد، وهذه التأثيرات أدت إلى الإخلال بالتوازن البيئي منها تأثير المناخ في النظام البيئي وطبيعة درجة الحرارة"[2] قد أدت إلى ظاهرة جديدة تصنف ضمن أهم مظاهر الاختلال الإيكولوجي النابعة من صنع البشري هي الاحتباس الحراري، فتفسيره العلمي للثقب الموجود في الغلاف الجوي المعروف بطبقة الأوزون الحامية لسطح الأرض من الأشعة المنبعثة من الشمس، لكن إتلافها نتج عنه ارتفاع درجة الحرارة المفرطة وتسببت في تقلبات المناخ بشكل غير طبيعي وارتفاع نسبة المياه على سطح الأرض انجر عنه ذوبان الجليد، فكل هذه المظاهر تمثل أزمة بيئية تدخل في سياق التلوث وانعكاساته المعاصرة، كلها قضايا

[1] سيبمتد أدمن: الأزمة الايكولوجية، 28: 20.06/28/2010.14/node/ww.rwfar.org.

[2] محمد محمود سليمان: الجغرافيا والبيئة، المرجع السابق، ص ص16-17.

اصطنعها الإنسان فالطبيعة منظومة مترابطة لا يمكن المساس بإحدى عناصرها ليكون الاحتباس الحراري أحد نماذج الدمار البيئي والأخلاقي والمستقبل بصفة عامة.

لأن "الفهم الحقيقي لدورة الوظائف الطبيعية وتقدير الخدمات التي تقدمها الطبيعة هو الخطوة الأولى نحو تغيير سياسات الاستنزاف الذي لا يعير اهتماما لوظائف دعم الحياة التي تقدمها الأنظمة الطبيعية، بالنظر إلى الطبيعة على أنها سلع مجانية والناس هم الذين يقررون كيفية استخدامها"[1]، كلها أفكار رفضتها الفلسفة بدورها الجديد في طرح ما تعانيه البيئة اليوم بإعادة النظر في الجانب الأكسيولوجي للإنسان الذي تناساه تماما أثناء انشغاله مع التقدم التقني، لأنها تفتح باب الأمل أمام المستقبل لكن ليس على النحو الذي ألفناه من جانبها النظري الأكاديمي بل من جانب الأخلاقيات التطبيقية تحديدا الإيكولوجية التي تم توضيحها سابقا، فأصبحت الفلسفة بمثابة السلطة القانونية لتقييد أفعال العلم في جميع مجالاته ومناهجه بصفة عامة لصالح المنظومة الإيكولوجيا مدعمة موقفها بما هو سياسي.

[1] فرتو فراج: البصمة البيئية 17: www.vwfar-org/mode,31/03/2010,15

2/ البعد الطبي والاستنساخ:

إن "توازن الأنظمة البيئية والتنوع البيولوجي مهددان بدخول أنواع وأصناف جديدة سواء أتت من بقعة أخرى أو نتيجة الاختيار الجيني مثل: الأحياء المعدلة جينيا ولا يمر نوع ما في نظام بيئي معين بشكل عنيف دون نتائج، لذلك يمكن تشبيه الكائن الدخيل بتلوث بيولوجي وجيني"[1] المغاير تماما للمفهوم السائد للتلوث البيئي المقتصر على جانبه غير الحي من الجماد المؤثر في الكائن الحي، إلا أن بدايات القرن الواحد والعشرين شهدت ثورة بيولوجية تمس كل من النبات، الحيوان، الإنسان وللأسف المتضرر في مثل هذا النوع الإنسان نفسه بدرجة كبيرة، فالتلوث الجيني الذي يعاني منه البشر اليوم ليس بالأمر الهين كما شرحه بعض العلماء لأن إيجابياته أقل نفعا عن آثاره الضارة مسببا تشوهات في الأصل الأول لبنيته الجسمية حاضرا ومستقبلا، لينتقل التلوث الجيني إلى أسوء مراحله مغيرا في الثروة النباتية والحيوانية.

فتطلب "حضور وعي متزايد بأهمية الأخلاقيات في البحث العلمي وثمة توجهات عديدة ساهمت في دفع هذا الاهتمام المتنامي مثلا: التجارب السرية والهندسة الوراثية واستنتاج الأجنة البشرية والحيوانية، فنجد العلماء والمسؤولين في الحكومة قد بحثوا ووثقوا بعض حالات السلوك الأخلاقي السيء وذلك في ميادين كثيرة من البحث العلمي"[2] تدرسها البيوتيقا، التي تؤكد على أهمية ضبط وتقنين سلوك الباحثين والعلماء فيما يتعلق بالمّيكروبيولوجي (**microbiologie**)، لتغيير كل ما ألفه الإنسان في حالته الطبيعية ليصل إلى أدق وأصغر جينوم بشري بإمكانه أن يخلف أمراضا قاتلة للبيئة والإنسان بطريقة غير أخلاقية، بل مازال يسعى إلى خلق نماذج من نوع جديد يطور به مثل هذه التقنية، ما يدل على عدم تراجع أبحاثه أو تعديلها لصالح المستقبل.

---

[1] جورج قاضي: تهديدات البيئة، عويدات للنشر والطباعة، لبنان، 2008، ص44.

[2] ديفيد رزينك: أخلاقيات العلم، المرجع السابق، ص13.

"لأن التقدم التكنولوجي في مجال البيولوجيا لم يسمح فقط بالهندسة الوراثية التي تقوم على التلاعب الجيني، وإنما سمح أيضا بإمكانية استنساخ الكائنات الحية انطلاقا من خلية منتزعة"[1]، لكن رغم ما حققه الإستنساخ من تنوع غذائي وحلول كيميائية أنتجت الأدوية لكي تستفيد منها الكائنات الحية وتسهيل كل ماله علاقة بتلبية حاجاته البيولوجيا من اكتشافات للأشعة ليزر وأجهزت السكنار من ناحية التقنية، وبات ممكنا أكل كل أنواع الخضر والفواكه في غير موسمها وقت ما شاء، كلها تغيرات مفرحة نحو المستقبل التي وعد بها الاستنساخ والتقنية لكنها أدخلت المنظومة البيئية في نهاياتها الأخيرة، من التلوث والأمراض الخبيثة لإهمالها للأخلاقيات بل عدم التفكير فيها بشكل قطعي.

ويبرهن الواقع "أن استنساخ الحيوانات يمكن أن يكون له تطبيقات مهمة في مجال الزراعة والصناعات البيّوتكنولوجية (...)أصبح من الممكن استخدامها في إنتاج الدواجن أما عملية استنساخ الكائن البشري فهي فكرة سيئة وإن الفكرة واقعة حتى في تطبيقاتها على الحيوانات، فالاستنساخ يهدد قدسية الحياة البشرية كما أنه يثير تساؤلات دينية وأخلاقية كثيرة"[2] في مواضيع الهندسة الوراثية والتعديل الجيني باستعمال التكنولوجيا المتطورة من خلال المنهج التجريبي، وهذا شجع الإنسان بالتمادي أكثر في هذه المسائل إذ وصل به الأمر إلى التفكير في استنساخ العنصر البشري الذي وجد نفسه كائنا كاملا فوق سطح الأرض دون تدخل منه، فمن غير اللائق أن يستنسخ الإنسان نفسه ليس له الحق في ذلك نهائيا، فمهما قدم من تطورات ووعود خيرة إلا أن هناك سلطة تفوقه وتسيره وهي سلطة الخالق أولا، ليجد نفسه في مفارق أخلاقية ودينية كبيرة منافية لمبدأ الكرامة الإنسانية والبيئية.

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص127.
[2] ديفيد رزينك: أخلاقيات العلم، المرجع السابق، ص ص 25-26.

"كون الاستنساخ يضع الجسد موضع الشيء المصنع في مجموعات تجعل منه مخالفات للقانون وللهوية التي يجب تجدرها عند كل شخص حاملا لصورته الإنسانية فحسب الطبيعة كل الأجساد متماثلة ولكن ليست متطابقة والاستنساخ يبحث في عملية تطابقها، وأضحى الجسد أسير مختبر الأبحاث العلمية وبالتجارب على الحيوانات توصلنا إلى مسوغات منوهة، إذن فالاستنساخ يتعارض مع الكرامة البشرية"[1] البعيدة عن الإنسان المعاصر المنفصل عن البيئة، فكانت تسير وفق مشيئة مطلقة لأن الفروقات الموجودة بين جميع خلق الله قصدية وكل شيء أسس له وظيفته الخاصة داخل النظام البيئي، لكن التفكير البشري التعسفي وأنانيته محاولا بها مطابقة كل ما يقع تحت يده بالاستنساخ لم يجن أية راحة أو أغراض سامية منه، بل انعكس عليه بالسوء متجاوزا حدود نطاقه ومبتعدا عن كل ما يقيده أخلاقيا فلم يكن من الضروري القيام بذلك إلا عند الحاجة.

ليصنف "موضوع الاستنساخ البشري من المواضيع الجديدة التي أفرزتها الثورة البيولوجية خاصة في مجال تطبيقات الطب الحيوي والتلاعب بالأجنة، فيتحول من مجرد مادة يتم تصنيعها في المعامل وتصبح هذه اللقائح عرضة للموت وللاستخدام من قبل غير أصحابها"[2]، لتتدخل الفلسفة بأسئلتها أخلاقية عن تطبيقات العلم بجعل الإنسان في دائرة الجهل لذاته ولبيئته منها :أين مبدأ الهوية البشرية والكرامة الإنسانية داخل أبحاث الاستنساخ العلمية؟ وما مركز الذات البشرية المستقبلية من جل التطورات الحاصلة في الراهن الإيكولوجي؟ ولماذا لم يفكر فيها العلماء قبل أن تجسد في الواقع؟ ومن المتضرر الأكبر البيئة أم الإنسان؟.

---

[1] سمية بيدوح: الجسد في ظل التطورات العلمية الراهنة، الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي المرجع السابق، ص52.

[2] ميتشيوكاكو: رؤى مستقبلية، تر :سعد الدين، عالم المعرفة، الكويت، 1990 ، ص232.

فنجد رفض **يوناس** "لتطبيق التكنولوجيا الحيوية على الإنسان، ونجد أنه ينطلق من أن هذه الأبحاث تعمل ضد الطبيعة الإنسانية، والتلاعب بالجينات يعمل ضد الطبيعة"[1] نفسها، متدخلا **يوناس** بفكره لاعتبار أنه فيلسوف العصر عايش التقدم العلمي بما فيه الاستنساخ والموت الرحيم وغيرها من المفارقات العلمية المعاصرة، نجده من الرافضين للتطور الملوث والمريض فآثاره كانت أخطر من إيجابياته موضحا **يوناس** موقفه النقدي لمثل هذه الممارسات العلمية فكلها ألحقت الضرر بالبيئة والإنسان ويجب تجاوزها بل يؤكد على القطيعة داخل الأنساق العلمية الجديدة غير أخلاقية.

يرى **يوناس** إذن الاستنساخ "بأنه يفتقد إلى العذر الطارئ الملح، إذ هو بالأحرى من عمل الغطرسة والفضول والنزوة"[2] العلمية، كلها قضايا عالجها **يوناس** حيث يرى أننا لسنا في حاجة إليه بل مجرد ترف فكري استفزازي لا غير، لم تدعو إليه الحاجة البشرية محددا أن العلم يجب أن ينحصر بالضروري فقط وليس الكمالي القاتل لمحيطنا وحياتنا لكثرة عيوبه، لذلك تدخلت الفلسفة لإصلاح ما آل إليه الواقع فوجدت أرضية خصبة تساهم في إعادة هيكلتها.

حيث "توجد تجربة زرع الأعضاء ونقلها معتبرة الإنسان كيسا من الأعضاء وهو ما يجزئه كما يتعامل معه كمجموعة من الأعضاء القابلة للاستبدال وانخراط الاستثمارات التجارية في سياق عمليات زرع الأعضاء (...) وتبقى تجربة نقل الأعضاء وزرعها تجربة مثقلة بالدلالات والمعاني"[3] المبهمة ترفضها الفلسفة، فنجد تجربة زرع الأعضاء بعد الاستنساخ والهندسة الوراثية التي أحطت من القيمة الإنسانية وجعلت منه سلعة تباع

---

[1] وجدي خيري نسيم : الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص124.

[2] نفسه، ص128.

[3] ناصر عمارة: إتيقا المرض مقاربة هرمينوطيقية، الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 79-80.

وتشترى بطريقة شرعية تدعمها بعض الدول،ليصل الأمر به لزرع بعض أعضاء الحيوانات في جسم الإنسان وحتى استغلال المرضى لأخذ أعضائهم بطريقة لا أخلاقية ولا دينية ولا قانونية. هي نتائج رفضها الفلاسفة ضمن مبحث الأخلاقيات التطبيقية على نطاق عالمي بهدف إعادة هيكلة جل العلاقات منها الإنسان اتجاه نفسه وغيره من الموجودات، إضافة إلى المحيط الإيكولوجي وسعي لمستقبل نافع من منطلق إعادة إحياء ما تم تجاوزه من أخلاقيات في سياقها الميتافيزيقي بنمط جديد.

3/البعد التقني وهيمنة الآلة:

"لقد أصبح الإنسان أسير التقنية العلمية وبفضل التقنية الطبية تمكن من تغيير الطبيعة في البداية ومن ثم تغيير الإنسان، وما من شك أن كل تقدم علمي حامل في طياته لما هو سلبي ومناف للأخلاق ولما هو إيجابي"[1] يستفيد منه الإنسان في جوانب متعددة من حياته كاستخدام الآلة كان غرض حضورها مساعدته وليس التحكم بالطبيعة حتى انتقل الأمر للتحكم في الإنسان ذاته، إذ لا يستطيع العنصر البشري اليوم أن يستغني على الهاتف مثلا أو الحاسوب أو الأنترنت وكل من لا يستخدم نماذج الآلات الجديدة يعد متخلفا وجاهلا للعلم في نظر المجتمعات العالمية المنفتحة، لذلك يصنف العالم إلى المتقدم الشمالي والمتخلف الجنوبي مستندين على مقاييس الثورة البيولوجية التقنية، الرقمية البعيدة عن التربية الخلقية.

كان "سببها التقدم التقني وتطبيقاته العلمية قد عاد على الإنسانية بنتائج ذات قطبين الايجابي وهو ما أحدث نهضة في مسار الحياة الإنسانية، أما السلبي فهو ما يميز هذه الحياة من اختراقات لوظيفة الطبيعة"[2] فقط، بهدف تحقيق الإنسان لنفسه جل إغراءات وتحسينات جعلته ينتقل من البدائية إلى المدنية المتحضرة التي بمثابة المحيط الثاني ساعيا وجاهدا إليه بشتى الطرق، متناسيا أنه رغم انفصاله عن الحياة الأولى التي خلق فيها لن يستطيع تجاوزها فكل التغيرات الحاصلة مستمدة من البيئة ما يبرهن جهله الأخلاقي لما يفنى بشكل سريع مرتبط بالبيئة نتيجة الاستيطان الآلي.

---

[1] سمية بيدوح: الجسد في ظل التطورات العلمية الراهنة، الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي المرجع السابق، ص53.

[2] نورة بوحناش: البيواتيقا انفجار أخلاقي داخل العلم، الأخلاقيات التطبيقية، المرجع السابق، ص30.

الذي "جعل الحاسوب صناعة تتقدم بسرعة عالية جدا ونشهد موجة كاسحة من المنتجات الجديدة ومن الأجهزة عالية التكنولوجيا، ولأن الشرائح الدقيقة أصبحت قوية أنها ستندس بخفة وبالآلاف ضمن نسيج حياتنا، وسوف تتواصل هذه الآلات المنتشرة مع بعضها البعض"[1] بحجة جعل العالم قرية صغيرة كإحدى ايجابيات العلم التكنولوجي لتسهيل نقل المعلومة والمعرفة في لمح البصر،كلها نتائج مبهرة على حساب البيئة الطبيعية لأنها تقدم المادة الأولية لصنع أي شيء بغرض خدمة الإنسان الذي استغلها واستنزفها لأقصى الحدود، لتشيع فكرة أن البيئة سلعة مجانية يجب الاستفادة منها والمالك الوحيد لهذه الخيرات الإنسان مستطيعا إبداع أية آلة تقتصر عليه الوقت والجهد مثل الكمبيوتر دون التنبؤ لانعكاساتها على المستقبل.

قبل أن "تصبح أجهزة الحاسوب الوحوش المفترسة التي تصورت في أفلام الخيال العلمي ستغدو صغيرة جدا ومنتشرة في كل مكان، بحيث أنها ستكون مخفية فهي في كل مكان وليست في مكان محدد"[2]، فيجب استدراك كل المغالطات المحفزة دائما للسير نحو التقدم السريع والمشجعة على حرص دقة صنع الآلة، الذي يعد أمرًا جميل لتلبية مصالحنا لكن ما يجب الالتزام به أن لا تكون مؤذية أكثر لكلا الطرفين (الإنسان والبيئة) مستقبلا إذا استمرت في نفس منهجها مقارنة لواقعها المروع، فالحاسوب اليوم له آثار على دماغ الإنسان والعين من الناحية البيولوجية، أما من الجانب السيكولوجي ساهم في تجميد ذكائه كمصدر ثقة للعقل الذي لا يخطئ مخلا بسلوكه ليصل الأمر بالآلة إلى قتل كل نشاطات الحياة النفسية.

[1] ميتشيو كاكو :رؤى مستقبلية، المرجع السابق، ص37.

[2] نفسه، ص38.

"ليصبح العلم والتكنولوجيا بعد أن بلغا مرحليا ذروة تاريخية فاصلة أداة صناعة الوجود وبناء المستقبل (...) وروح العصر هي المعرفة العلمية والقدرة على التنبؤ والإفادة العلمية"[1] لتكون موضوعا آخر للنقاش العلمي الفلسفي، حيث كل عمل بحثي عرضة لتنبؤ نتائجه المستقبلية في الاكتشافات البيولوجية، الفيزيائية، الفلكية ...الخ أي الحية والجامدة معا، كونه معيارًا يؤخذ على أساس أنه حقيقة مطلقة لا يمكن التشكيك في مصداقيتها معتمدا على جملة الآلات المتطورة التي تدعم هذه المصداقية، فكيف أدرج الإنسان الآلة في تحديد مصير مستقبله دون التشكيك فيها؟.

خصوصا منذ أن "تعرضنا لغزو الموارد التقنية أصبح استشراف احتمالات المستقبل ضرورة ملحة في كافة الأمور في كل الأوقات (...) يتعين علينا التنبؤ بالمستقبل كما لابد من إجراء التنبؤ على المستوى العالمي، ويتم النظر إلى كل شيء من زاوية علاقته بالمستقبل"[2] لأنه دائما عند ذكر المستقبل مباشرة يقترن بالتنبؤ كنتيجة تطرحها الآلة وفق الرأي العالمي من زاويته الإيجابية، لكن يقابلها الكثير من المجالات التي أخطأ التنبؤ العلمي فيها رغم ذلك يجب على البيئة الاستفادة منه، لتوضح الفلسفة المعاصرة كيفية استغلاله كتنبؤ بخطر فنائها لكن القليل الذي يؤمن بهذه الحقيقة إلا أنه يجب عدم اليأس في حالة تعرضنا لمثل هذه المواقف المحبطة فالأمل مفتوح برؤى الفلسفة التطبيقية.

لأن "التنبؤ بالسلوك منظومة يستلزم توافر معلومات دقيقة حيث يستطيع المرء في الحقيقة تأسيسا أن يحسب سلوكه المستقبلي بدقة، لكن سيكون هناك بوجه عام قدرة عدم اليقين في تلك المقاييس الأولية فكل الممارسات العلمية ليس من الممكن على الأرجح التنبؤ بها"[3] من باب صعوبة التنبؤ بوفاة شخص ما أو العكس على أساس مطلق من

---

[1] جيمس تريفيل: لماذا العلم؟، تر: شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، 2010، ص ص08-09.

[2] جاك الول: خدعة التكنولوجيا، تر: فاطمة ناصر ،مكتبة الأسرة، 2004، ص ص 90-91.

[3] جيمس تريفيل: لماذا العلم؟، المرجع السابق، ص 253.

اليقين فقط لأن الآلة أكدت ذلك كله نتيجة ابتعادنا عن المفاهيم الدينية والأخلاقية للإنسان صحيح أن التنبؤ حقق نسبة من النجاح لتبقى مواضيع دقيقة لا يمكن التنبؤ بها.

نخلص أن "مناهج التنبؤ تكاد تلقى الفشل الدائم فقد فشل الاقتصاديون في التنبؤ بالظواهر الاقتصادية الكبرى (...)أما عدم إمكان التنبؤ فيحدث حينما تظل الأحداث المستقبلية غامضة"[1] في حالة ما إذا استمر مفهوم التنبؤ بطرحه الكلاسيكي، على أنه يقدم كل الاحتمالات المترتبة عن الأعمال العلمية بشكل دقيق ويقيني لا تتخلله أية شكوك يستفيد منها الإنسان لا غير، عندها لا يمكن الوثوق فعيوبه التي أصبحت واضحة بشكل مباشر ويبقى الحل في انتقاله إلى المفهوم النسبي فيما يخص دقة نتائجه و زيادةً على ذلك عليه تقديم انعكاسات أي تطور علمي على البيئة والمستقبل، بالتالي كل العلماء عليهم الخروج من اللحظة والتقيد بالأبعاد اللاحقة لتجنب الآثار السلبية للعلم.

"تحديدا الآلة لأنه يشيع الخوف من أن يأتي وقت تستولي فيه الآلات بعد أن يزداد تطورها وتشعر بقدرتها الفائقة على العالم وتبيد الإنسان على أساس أنه كائن لم يعد له داع والجهد الهائل الذي يظل الإنسان يبذله طول تاريخه لكي يحقق سيطرته على الطبيعة سوف يصل إلى حد أن ينقلب فيه على الإنسان، وهذه الآلات تحكم نفسها بنفسها"[2] من منطلق أن الأزمة البيئية المعاصرة تولدت من فكرة السيطرة على البيئة، وأن الإنسان كائن عاقل عليه أن يتحكم في مجريات الكون بحجة أهمية مركزيته البشرية التي نتج عنها التلوث البيئي والجيني، الاستنساخي، الهندسة الوراثية وسيطرت الآلة وزرع الأعضاء وممارسة التنبؤ بشكل مطلق، كلها أزمات معاصرة انعكست على الواقع البيئي تدرسها الفلسفة في المبحث الأكسيولوجي، البيوتيقي من طرف **يوناس** وانعكاساته الفكرية على جل الحركات المهتمة بمستقبل البيئة والإنسان.

---

[1] جاك الول: خدعة التكنولوجيا، المرجع السابق، ص ص94-95.

[2] فؤاد زكريا: التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، كويت، 1990، ص143.

الفصل الثاني:

مستقبل البيئة عند يوناس

المبحث الأول:

التفكير البيئي عند يوناس

1/الفلسفة والعلم عند يوناس :

لفهم الحقيقة الأخلاقية لموضوع البيئة كان لابد من فهم التأصيل الكرونولوجي الفلسفي له حتى نستطيع أن نعالج الأزمة الإيكولوجيا المعاصرة، من خلال طرح فلسفة **يوناس** باعتبارها الفلسفة الأكثر تعمقا وفهما للموضوع المطروح، فما المقصود بها؟ وما هي أهم القضايا التي ركز عليها **يوناس** وجدد طرحها المخالف لما كانت عليه من قبل؟.

"المتزامنة مع قلق على سلامة كوكب الأرض بشكل كبير ذلك بسبب تزايد النشاط البشري المخل بالتوازن البيئي الطبيعي، ولم تكن الدعوة إلى الاهتمام بالبيئة حكرا على المختصين إنما شملت عديد الميادين راحت تنادي بضرورة وضع إتيقا جديدة أو أخلاق المسؤولية كما سماها **يوناس،** باعتبار الخطر يشمل الإنسانية جمعاء"[1] لينعكس كفكر في فلسفته المعاصرة التي اهتمت بموضوع البيئة والأخلاقيات الجديدة وعلاقتها بالتكنولوجيا فمن خلال بسط الموضوع من طرف **يوناس،** الذي نتج عنه ضجة فلسفية وعلمية من مؤيدين مثل الحركة الإيكولوجيا العميقة ومعارضين من طرف النظام الرأسمالي كقوة اقتصادية تهتم بالربح المادي أكثر من التفكير البيئي، إلا أن فكره الإيكولوجي لقى أهمية كبيرة من طرف المجتمع الأوروبي أكثر من المجتمع الأمريكي ما يثبت القلق الموجود داخل الإنسان المعاصر الغربي .

نحو مستقبل البشرية :"هو أول واجب سلوكي بشري جماعي في سن الحضارات التكنولوجيا أصبحت سلبية وأصبح مستقبل الطبيعة يتضمن كشرط لا غنى عنه، فهذه هي

[1] أمال علاوشيش: من فرضية العقد الاجتماعي إلى لزوميّة العقد الطبيعي، الأخلاقيات التطبيقية، المرجع السابق، ص 141.

المسؤولية الميتافيزيقية وفي نفس الوقت أصبحت البشرية خطيرة داخل المحيط الحيوي" [1] الملوث بفعل إنساني غير مسؤول بأخلاقه البعيدة عن القاعدة الإتيقية الجديدة المنافية تماما للأخلاق القديمة، والمحفزة للعمل البشري بانبهاره للعلم وللمنهج التجريبي نتيجة لما قدمه من المصالح النفعية للإنسان التي لم تحتمل على تنبؤات طويلة المدى لمستقبل كل من الإنسان والبيئة .

لأن الطبيعة "أصبحت فاسدة نتيجة استبدال أكبر جزء منها من أجل الحياة الكريمة فتكون البشرية قد وصلت إلى ذروتها على سبيل تعليم الحياة، المنتج أثناء العمل لفترات طويلة للطبيعة لأن لها الحق الآخر في حماية ما هو إبداعي لصالحه" .[2] في المقابل أكد **يوناس** على التمايز الموجود بين الإنسان والبيئة لأن المطلب البشري في العصر الحديث ليس هو المطلب البيئي اليوم في القرن الواحد والعشرين، الذي غير من كينونة البيئة من أجل الرفاهية والحياة الواعدة فوق سطح الأرض، لدرجة انتقال التطور العلمي من الأجسام الكبيرة مثلا في الفيزياء إلى دراسة المّكروفزياء MICROPHYSIQUE أي عالم الذرة الذي استنفد قدرات البيئة، واليوم تطالب البيئة بالحق في الاستمرار مبرزة ما تعانيه من أخطار ليتفطن الإنسان لما فعله بابتعاده عن جانبه القيمي الإتيقي المندرج في سياق الفلسفة المعاصرة والبيوتيقا المهتمة بالبيئة.

قائلا **يوناس:** "الفلسفة في هذا القرن وعلى أعتاب القادم أنها موجودة كوحدة قابلة للتجديد، مقارنة مع العلوم الطبيعية كالفيزياء والفلك والكيمياء والجيولوجيا كل منها واضح غرضها ومعالمها "[3] داخل البحث العلمي المجرد عن كل ما هو قيمي، لا يدارس

---

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité** ,UNE éthique pour la civilisation technologique ,trad jeau greisch,flammarion ,France,2014, p261.

[2] Idem .

[3] Hans jonas, **pour une éthique du futur**,trad,sabine,cornille et philippe iverned,rivage poche,petite bibliothéque,paris,2014 ,p23.

أخلاقيات البيئة التي تم ربطها بالمجال الفلسفي المعاصر، هنا نوضح تحديدا الفترة الزمنية المعاصرة لأن **يوناس** رافض للفكر الفلسفي الحديث بعكس علوم اللغة الرمزية والتطبيقية التي يعد موطنها الأصلي، متناسيا آثاره على المستقبل والبيئة ونقد **يوناس** للفلسفة الكلاسيكية كان بسبب بعدها عن الفهم ما سوف تتركه التقنية التكنولوجية، مطالبا بمبحث أخلاقي وتطبيقي جديد يهتم بقضايا البيولوجيا والرقمية في كل أنماط حياة الإنسان ليجسد الاختلاف بين أهداف الفلسفة الكلاسيكية والعلم المعاصر بعيون **يوناس** .

الذي وضح أن الفيزيائي اليوم يمكنه الحصول على "فلوجستون" "لكن الفلاسفة مثل **أفلاطون وأرسطو وأبيقورية وهيوم** HUME.D ، **كانط ونيتشه** NIETZSCHE.F دائما في نقاش حيث لا يمكن الحصول على توافق في الآراء داخل الفلسفة، حتى أصبح يقال بموت الفلسفة والسبب في ذلك أنه لا يمكن على الإطلاق تقرير الحالة الراهنة للفلسفة إلا بعدما استعانت بتنظيرها للأخلاقيات التطبيقية مثل المطلب البيئي وواقعه المعاصر بأبعاده الفكرية المنعكس عليه جل التجارب في نماذجها التكنولوجية سلبا لا إيجابا.

"فالعلوم الطبيعية في مجملها معترف بها بالإجماع أي أن أسلوبها صارم يخضع للمراقبة، فالعلم يميل إلى تكامل في الأسلوب أما الفلسفة فتميل إلى التفكير في الطريقة بحيث لا توجد طريقة واحدة للفيلسوف يستند عليها، أما علم الطبيعة فالنتيجة التي يتوصل إليها يقينية وأكثر دقة والماضي يثبت ذلك"[1]، وهذا ما حاول **يوناس** توظيفه في الفلسفة التطبيقية المعاصرة، مطالبا من خلالها فلاسفة العصر لدراسة الراهن وتفادي ما هو متداول بعيدا عن الأزمة البيئية، فمثلما استطاعت العلوم الطبيعية أن تخلق لنفسها فضاء خاصا أثر في حياتنا بشكل مطلق، كان على الفلسفة أن تدرس وتتبع ما نتج عن هذا العلم الذي له حدَّان نافع و ضار.

[1] Hans jonas, **pour une éthique du futur**, Op.cit ,p24 .

من وجهة نظر ما يمكن أن نسميه "أخلاقيات بيئية ويعقد مثل هذا السلوك عادة المأذون به أخلاقيا، ومن المرجح أن تكون موضوعا للنقد مثلا لغرض المناقشة والتقييم العام للحالة القائمة على أسس علمية ما لم يظهر بوضوح السبب في جعل الممكن بيان حلم، السبب الذي يستلزم أخلاقيات جديدة حتى نجعل الممكن بيان حكمٍ راديكالي، لأنه ليس من السهل معرفة ما يسمى بالأخلاقيات الجديدة"[1] المؤسسة مع **يوناس** اتجاه البيئة من خلال ضبط الواقع ضمن سياقه القيمي الأخلاقي في نطاق جديد على حد تعبير **يوناس** بالحكم الراديكالي الذي يستند عليه، ويكمن سر التغيير الجذري الهادف والصارم من قبل ما هو قانوني داخل الدولة حتى نحصل على أنماط فلسفية مغايرة لما ألفناه في مجالها الأخلاقي خاصا بالتطورات المعاصرة للبحث العلمي.

أما "امتداد الأخلاق التقليدية ضروري لتغطية وملء الفراغ الأخلاقي والمطلوب هو التغيير في الأخلاق، أي تغيير الموافق للقيم وتقييم، فالواضح حتى الآن هو إساءة استخدام الأرض لاستخراج كل ما يمكن أن تنتجه"[2]، فالبحث عن أصول الفلسفة الأخلاقية كمذهب يكون بتتبعها الكرونولوجي حتى نكتشف الأخطاء السابقة من أجل المطالبة بالتغييرات الفورية، لتجنب الهوة الأكسيولوجية الجديدة لكي نتمكن من معرفة سبل التعامل مع ما هو معطى دون مقابل، ودائما يذكر **يوناس** موقفه الفلسفي المرتبط بأهمية الطبيعة التي تقدم للبشرية مما تتمتع به من خيرات بيئية دون انقطاع .

وهنا يكمل "دور الفلسفة الجديدة ووجهات نظر الفلاسفة، بالتأكيد على ما لا ينبغي الاتفاق عليه، بحيث تعطي الصورة الشخصية للغاية وقد تكون قوية غير تمثيلية للفلسفة

---

[1] Richard Sylvan Routley: **besoin d'une nouvelle éthique**, éthique de l'environnement trad, hicham stéphane Afeissa,librairie philosoohique ,vrin,paris,2007,P33.

[2] Ibid P32.

في نهاية هذا القرن والمهمة التي تنتظرها في القرن المقبل"[1]، فكان لابد من تدخل العلم التجريدي لكن بطريقة نسقية عصرية توافق على تغيير الأخلاقيات من جذورها لعدم تمحور انعكاسات العلم كجزء أساسي في الفلسفة والأخلاق الكلاسيكية، ما يثبت عدم تمكنها من دمج الرابطة الموجودة بينهم إضافة إلى تجنبها طرح سؤال الالتزام المستقبلي.

فنجد "الفلسفة في بلدها الكلاسيكي ألمانيا لم تبدأ بهذه الطلقات الكبيرة مثل فيزياء **أينشتاين** وتحقيقات المنطقية **لهوسلر** HUSSERL على الرغم مما أحدثته من تأثيرات فلسفة **نيتشه** واكتشفنا **كيركيغاد** من فرنسا والوضعية المنطقية في فيينا، ولكن ما كان سائدا في كل مكان هي الفلسفة الكلاسيكية الأكاديمية بحيث كان الاهتمام بنظرية المعرفة وهذا الانضباط لنظرية الوعي المعرفي"[2] في حدوده الضيقة، بل أغلب الفلاسفة كان همهم الوحيد إثبات مواقفهم الفلسفية بأية مبررات تؤكد صحتها، لكن واقعها لم يتعد حدود العلم فلم يتفطن أحدهما للخطر المندمج مع حياتنا اليومية مما جمد نشاطات الفلسفة الكلاسيكية لعدم إعادة بلورتها مع جملة الانقلابات البيئية والإنسانية مستندين على تنبؤات العلم خاطئة.

"فكان الفلاسفة لا يهتمون أبدا بتعدد وتنوع الوقائع العلمية وما زاد الطين بلة أنه برغم بُعد الفيلسوف عن الوقائع التي تصنعها العلوم، إلا أنه يزعم القدرة على إنتاج وطلب معرفة يقينية وكلية تتجاوز المعرفة العلمية ويطلق عليها المعرفة فوق العلمية"[3] المتقيدة بما توصلت إليه الفلسفة الحديثة من تطورات معرفية في أوروبا، جلها توجهات ذاتية نظرية بعيدة عن ما هو تطبيقي آني يرفضها **يوناس**، في المقابل كان العلم بخصائصه

---

[1] Hans jonas,**pour une éthique du futur**,Op.cit,p26.

[2] Idem.

[3] رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبيعية، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2005 / 2006، ص70.

التكنولوجيا والتقنية في تسارع كبير مع الزمن لغرض الحصول على دقة التطور، بينما الفلسفة الغربية بكل ما قدمته ظلت حبيسة حدود نظريات الحق والواجب **الديكارتي** اتجاه الانسان المعاصر ما استدعى **يوناس** تجاوزها باعتبارها فلسفة لا تتفق مع الواقع.

وفي نفس السياق نجد "البحث المنطقي **لهوسلر** الذي بدأ النشره في **1940** لم يقدم أي شيء بالمقارنة مع العلوم الطبيعية، ولكن ما يغلب في هذه الفترة هي الفلسفات الجامعية وكان الاهتمام فيها بمجموع المعارف الإنسانية، والهزة الفلسفية نتجت عنها أولا نزاع عالمي"[1] للتغيير الجذري الأخلاقي الحاصل في الإتيقا ضمن مبحث الأخلاقيات التطبيقية التي طالت العلم بنتائجه الحالية، لضمان استمرار الرقي الحضاري والبيئي على حد سواء **فيوناس** ركز على أهمية موضوع العلاقة الأخلاقية، الفلسفية والعلمية في مؤلفه الشهير مبدأ المسؤولية الجديدة ليحدث به ثورة على السلطة العلمية، القانونية والأخلاقية السائدة بحصر مسؤولية العالم والفيلسوف وامتداداتها البيئية حتى يكون لها صدى مستقبلي نافع.

[1] Hans jonas, **pour une éthique du futur**, Op.cit ,p27.

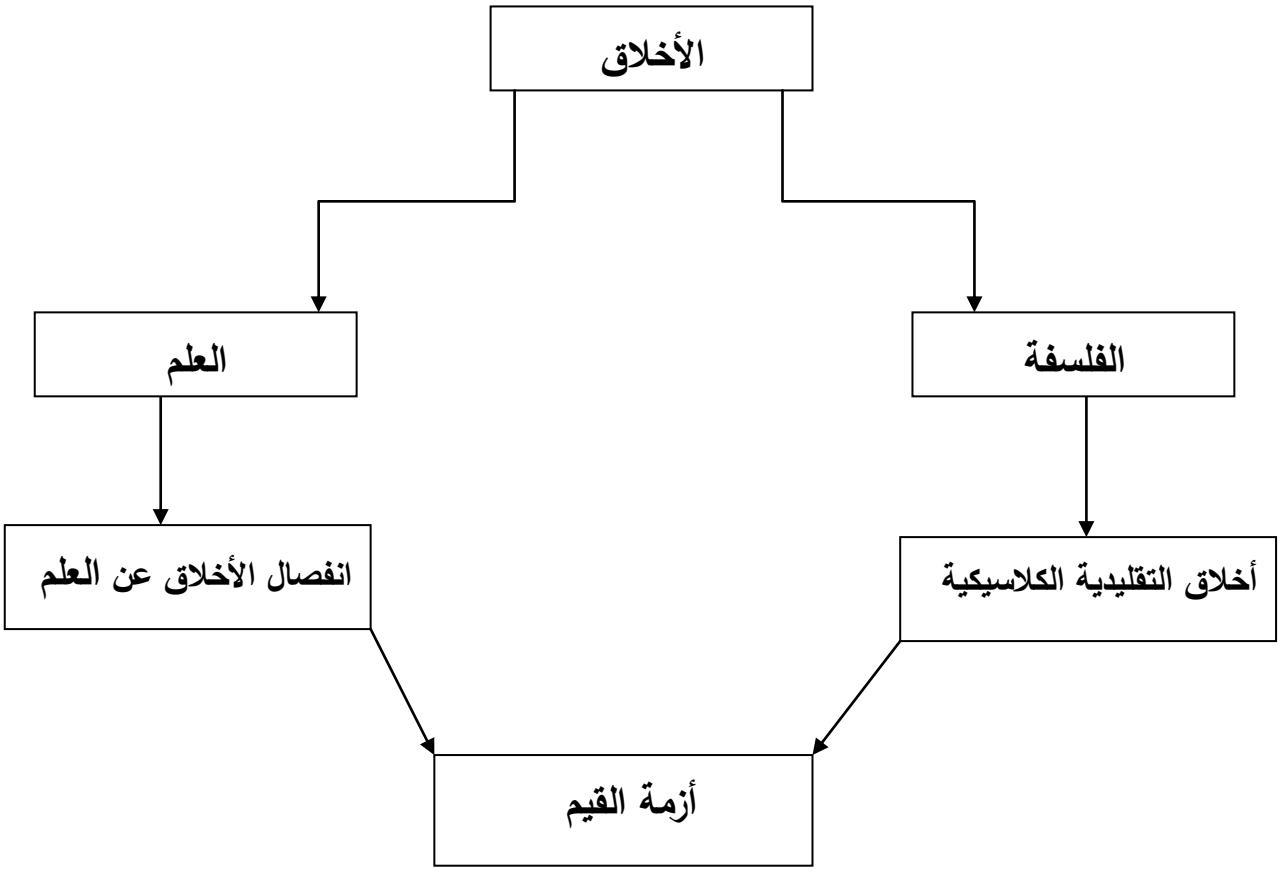

الشكل 6 انفصال فلسفة الأخلاق عن العلم

يتعلق المخطط بالمشاكل المترتبة عن انفصال العلم عن الأخلاق البيئة وهو ما ميز العصر الحديث حتى القرن العشرين والواحد والعشرين مع التقدم التكنولوجي السريع المتمادي على المبادئ الإنسانية والبيئية في التعامل مع المحيط الحيوي، حيث تسبب في انهيار الجوهري للقيم الأخلاقية العلمية لأنه لم يكن توافق بين النسقين العلمي والفلسفي كان منفصلا انفصالا تاما دون تدخل أحدهما في مجال الآخر، ما أعطته فلسفة **يوناس** نمطا جديدا بدراسة نتائج العلم من المجال التجريبي إلى التجريدي تناقشه الفلسفة التطبيقية المعاصرة.

"داخل مقدمة النتائج الكارثية على الفكر البشري لانفصال العلم عن الفلسفة إلى أن أصبحت العلوم والنشاط العلمي ورجل العلم لا يتأملون في موضوعهم، وبالتالي غاب عن العلم وعيه بذاته وحاضره وتأسيس ورسم مستقبله، أما جانب الفلسفة فقد أصبح التأمل وممارسة في الفراغ"[1] مما استدعى **يوناس** تجاوز تفكير الفلسفة التراكمية غير المتجانسة لانطوائها على مفاهيم متداولة كثيرة لم تتغير مطلقا تخدم الوسط الحديث بشكل منفصل مع العلم التكنولوجي، لذا يجب إعادة بلورة المبادئ السابقة للفلسفة بشكل قالب فكري جديد معبرا عن طروحات أخلاقيات البيئة والمستقبلها حتى نستطيع الموازنة بين العلم والواقع الإيكولوجي كحل نموذجي وفق **يوناس**.

2/ رفض هانس يوناس للأخلاق الكلاسيكية :

ينقد **يوناس** التفكير الأخلاقي "الذي لا يأخذ بعين الاعتبار عواقب وإجراءات على حياة البشر في مختلف الجوانب الذي هو عكس التفكير المنطقي للأخلاقيات الجديدة المنافية للمبادئ الأخلاقية المعروفة التي لا تهتم بالآخر (...) فهي لم تركز على وسائل تقنية لأنها لم تكن في حاجة للقيام بذلك في تلك الفترة، ولم يكن لها قوة تدميرية كما هو الآن في الحقبة المعاصرة، لذا لسنا في حاجة إلى أخلاق قديمة لأننا اليوم نعرف طابعا جديدا من العنف بسبب التدهور البيئي الذي له تأثير ملموس"[2] مرتبط بالفكر الأخلاقي الكلاسيكي الذي طالت فترته من باب ممارسته الآنية بين الناس، ولم تقدم أية نظريات ومذاهب أخرى إلا وكانت تستند عليه مبتعدين عن التفسيرات الغيبية الميتافيزقية، باعتبار أنها تحكمها مجموعة العلل الأولى المفارقة للطبيعة التي أصبحت شرطا مركزيا في الفكر

---

[1] رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبيعية، المرجع السابق، ص70.

[2] Annette disselkamp ,**hans jonas,trente ans après**,sociologie, clersé,université de lille1 :annette.disselkamp@univ-lille.fr,pp06-07.

الفلسفي الإتيقي المعاصر،وهذا ما استمر فيما بعد متجاوزا ما انحصر في مركز الاهتمام على الذاتية الإنسانية وتعاملها مع الآخر العاقل.

جعل **يوناس** "يرفض الثنائية دون المرور عبر الأنطولوجيا الجديدة وإعلان مرحلة الثانية لمباشرة المسؤولية، والثالثة ليدمج الأنطولوجيا مع الحياة وإعادة الاتصال على الفور بالأخلاقيات البيئة، لسلسلة من الاعتبارات الهامة نتيجة العمل الذي يعود تاريخه إلى الفترة الأولى معبرا عن الغنوصية، فإنها لا تزال تلاحقنا ما يمنعنا من الاعتراف بالمسؤولية اتجاه الطبيعة فقط في حالة إدراك فكرة الحافظ على بيئتنا"[1]، لأن **يوناس** انتقد المذاهب المتمسكة بشيوع وبلورة الفلسفة الأخلاقية الكلاسيكية التي كان أساسها مبنيا على الثنائية والغنوصية المشجعة على تفرقة الإنسان عن الطبيعة، وفصل النفس عن ذات الجسدية للإنسانية في حد ذاتها، كلها جذور الأخلاقية يرى فيها **يوناس** أنها لا زالت مثبتة في أخلاقنا المعاصرة .

رغم ما تتميز به من نقائص مستمدة من فلسفة أرسطو وديكارت حسب **يوناس** فيقول: "أتساءل أحيانا أي من البلدين المعاصرين لا يزال ينصح هؤلاء بالقراءة فالأول برز بالرفق بالطبيعة، أما الثاني جاء إلى النظر في هذه الأخيرة كآلات بسيطة من الحيوانات وقد حان الآن في الأرض الكلام عن الأسلوب والتأمل الميتافيزيقي"[2]، بالمقارنة بين الفترتين الزمنيتين لأرسطو العصر اليوناني وديكارت أب الفلسفة الحديثة يفهم منها ما كان يطالب به من السلوك الأخلاقي البيئي، ليكون هناك فرق أخلاقي مترفع رغم قصور تعمقه واهتمامه بالموضوع البيئي كمبحث خاص في تلك الفترة، ليقابله الفكر الهادم للأخلاقيات البيئة دون الاعتراف لما قدمته للكائن العاقل، **فيوناس** استغل أهم ما كان

[1]Annette disselkamp ,**hans jonas,trente ans après**,Op.cit,p01.

[2] Loc ferry, **La nouvel ordre écologique**,**(l'arbre,l'animal et l'homme)**,biblio essais,le livre de poche,France, p37.

شاهدا له التاريخ ما ساعده للوصول إلى جوهر النقطة الإتيقيا الجديدة التي لم يتطرق لها أي فيلسوف من قبل.

فتتمثل السمات التي سعى **يوناس** إلى بلورتها على اعتباراتها "تحدد ملامح الأخلاق الكلاسيكية، في أنها تهتم بالتعاملات المباشرة للإنسان مع رفاقه داخل أفق ضيق للزمان والمكان، فكل الأخلاق الكلاسيكية تم تأسيسها إذن للفكرة المركزية لذات الإنسانية لأن كل الأخلاق الكلاسيكية تشتمل على المقدمات الضمنية التالية : إن الظروف الإنسانية التي تم تحديدها بواسطة طبيعة الإنسان قد أعطت للجميع أن الخير الإنساني من الممكن تحديده بسهولة بناء على الأساس"[1] التطور الوحيد الذي استقر عليه العلم في صالحه مقدما المعرفة التكنولوجيا التي يرى فيها الخير المطلق من أجل تلبية حاجاته البيولوجية في مجالاتها الطبية، التي لم تسلم منها المجتمعات الدولية غير الأخلاقية في ممارساتها العلمية، لذا سعى وراء البحث عن الكمال بعد تحقيقه الضروري مهمشا منبع هذا النجاح المستمد من البيئة.

بغرض "تتويجه للحظة الفلسفية التأسيسية للعصور الحديثة وضعت الأنا مقابل العالم والإنسان مقابل الطبيعة، والذات مقابل الموضوع وإثبات الأنا كجوهر مفكر واستقلالا له عن العالم، فالخروج الأول للإنسان على الطبيعة دفعته إليه قواه البيولوجية أما الخروج الثاني الثقافي الواعي، ينجني على إرادة الذات التي لا تستند في وجودها على أي جوهر آخر، هكذا هبط العالم إلى مرتبة الامتداد جامدا أشبه بآلة"[2] لأن كل معرفة آنية إلا ومرتبطة بما سبقها، إذ لا يمكن الفصل بين الماضي والحاضر لفترة زمنية مؤقتة أو طويلة من حيث الممارسات السياسية، الأخلاقية والعلمية المهتمة دائما بالمقابلة أي بالثنائية، ضف إلى ذلك أنها تعلو بالمركزية البشرية التي تقف مع الأنا الذاتي ومع فكرة

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص143.
[2] معين رومية: من البيئة الى الفلسفة، المرجع السابق، ص66 .

القوي والضعيف، كلها مبادئ الأخلاق الكلاسيكية إنجر عنها سيطرت الآلة رغم صفتها جماد من إبداع إنساني.

أما الخطر الآخر حسب **يوناس** يتمثل" بنوايا أشخاص الجهات الفردية المتقدمة ليذهب باحثا عن مؤسسة تكميلية جديدة للأخلاق، لأن مع الأخلاق التقليدية يمكن أن يدمر العالم مع خطر التدمير ومسؤولية حماية الكوكب، فلا يمكن السير وفق الأخلاق المستمدة من التقاليد (...) لتفادي نهاية العالم الوشيكة"[1] لأن الظرف الزماني والمكاني في سلسلة من تغيرات، فمثلما تأسست الأخلاق التقليدية على ظروف معينة في حقبة زمنية ومكانية خاصة بالعصر الحديث، كذلك يجب تكييف أخلاق جديدة لمواكبة لما قدمه العلم من قدرات تقنية وتكنولوجيا متسارعة بإعطاء جوهر جديد للمفاهيم التي يشهدها العالم، إلا أنه لا يمكننا الخروج من الأزمة البيئة العالمية التي وجد الإنسان نفسه فيها ببساطة إذا ظل حبيس الماضي الحديث.

قائلا **يوناس:** "أن الأخلاق الكلاسيكية ركزت على المواقف الأساسية بين الأفراد التي يجب أن تسود فيها الفضيلة الباحثة عن الخير الإنساني فقط ولم تبحث عن خير الأشياء الموجودة خارج المجال الإنساني (...) بالتالي حرمتنا من أن نفكر في الطبيعة على أنها شيء يجب تبجيله ولم تفكر في المستقبل بعيد المدى للإنسان، فهو يتطلب وجود تصورات أخلاقية جديدة"[2] شبيهة بالأخلاقيات البيئية عند **يوناس** المتعالية عن المخلفات الكلاسيكية، بصحوة فلسفية لجميع ميادين الحياة في كل ما هو جامد في الطبيعة المنبثق عنها الحياة العصرية، لكن قابلها قمة التدمير السريع للقيم البيئية وثم للإنسان ليصل إلى المستقبل بمختلف مظاهره .

[1] عبيس مطلب: أخلاق المسؤولية عند هانس جوناس، النظرية الأخلاقية، المرجع السابق، ص ص320-321.

[2] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص ص144-145.

باعتبار "القاعدة الأساسية للأخلاق الأصلية تكمن في ضعفها وهشاشتها من حيث التحليل الوجودي كونها موضوع أخلاق لا تسعى إلى توسيع المنظور الفلسفي، موضحا **يوناس** فكرة التقدم التي أصبحت مضادة للبيئة لفترة طويلة، وعلى الإنسانية احترام نفسها قليلا من خلال قواعد أخلاقية عالمية بعيدة عن أخلاق غير مفيدة للبيئة"[1] كي نستطيع إعادة تكييف البيئة وعلاقتها بالإنسان القادم من الأجيال اللاحقة، فيجب إما تعديل الأخلاق باستنباط ما يمكن الاستفادة به في الإتيقا الجديدة أو التفكير في سبل نفيها تماما من واقعنا المعيش حتى ننجح في ما هو آني ومستقبلي معا .

3/الإنسان والطبيعة عند هانس يوناس :

إن **يوناس** "يبرهن على اندلاع العنف وتوليد العنف في النظام الكوني وغزو جزئي من مختلف المناطق الطبيعية، في نفس الوقت يرتبط مع قدرة خطاب الفكر والحس الاجتماعي الإنساني من انتهاكه الطبيعة وتعليمه الذاتي ليسير حاجاته، لكن نتج عنها قلقا رغم عظمة الإبداع غير المحدودة والمطلوب من هذا كله عدم التغيير من الطبيعة والحفاظ على الثبوتية (...)فالعلم له خدعة أن يجعل الإنسان حياته جميلة على حساب اختلال التوازن الطبيعي"[2] رغم أن الإنسان في تعاملاته مع الطبيعة لم ينطلق من فكرة الاستعمار الطبيعي أو السيطرة، بل هو كان منطلقا من فكرة ترويضها وفق ما يخدمه لكن الأمر سار على عكس ما كان منطلقا منه.

لعدم قدرة "الحد من أشكال هذا التفكير المرافق للخطر البيئي فتصبح تقنيات حكم ذاتي تعمل على أغراض يقصد أن تكون في حدود النظام الاجتماعي، لكنها سببت اختلالات تعمل فيها التغييرات احتمال عمل الإنسان مع عملية أدلى بها، فنتائجها لم

[1] Annette disselkamp ,**hans jonas,trente ans après**,Op.cit,p07.

[2] Hans jonas, **Le principe responsabilité**,Op.cit, pp23-24.

تختصر على عالم البشر ولكنها تنطبق أيضا على حكم الطبيعة، وهذا ما لم يتم النظر فيه قبل عصرنا لتدخلات في الطبيعة وفرتها التكنولوجيا"[1]، فعلى الإنسان أن يتعامل معها بمبادئ تتوافق مع مبدأ العقل الإغريقي مثلا لتفادي واقع الأزمة البيئية كونها اتخذته على أساس أنه حق طبيعي يمارسه بشكل مطلق، لكن هذه المطلقية الذاتية جعلت منه إنسانا تتحكم فيه التقنية والآلة وليس بمقدوره الاستغناء عنها، للأسف الأمر لم يتوقف عند هذا الحد فأضحت نتائجها أكثر خطورة على الطبيعة والإنسان، فوجد نفسه اليوم يعيش معاناة ضخمة وفجوة كبيرة تجاه الطبيعة العاجزة عن المقاومة في حالة ما استمر الوضع بإتباع الأسلوب العنيف معها من أجل الحفاظ على قوة العلم لا غير.

ساعد في ظهور "صيحات عديدة تنادي بضرورة الوقوف على الآثار السلبية التي خلفها عصر الآلة الصناعية الموجهة بظلالها على كل من الإنسان، البيئة، الطبيعة المحيطة به لإيجاد رؤية تركز على علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية، وقد ترتب على النظرة التقليدية للبيئة رغبة الإنسان في السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمته"[2] بترويضها لما يخدمه من رغبات وميولات ذات طابع ذاتي آني، لكن الانفصال الموجود بين الإنسان والطبيعة جعله يقع في نمط آخر من العلاقات هي علاقة الإنسان بذاته حيث انقلب الصراع على ذاته، لما نتج من آثار سيطرت العلم على مستقبل البشر والبيئة كلها نتائج معاشة في حاضرنا شغلت انتباه **يوناس** ساعيا للتخلص من التفرقة الطبيعية الإنسانية بالتركيز على مسؤولية الباحث.

فالمشكلة بالنسبة **ليوناس** "تختزل المسألة كلها في مخاطر الفعل التقني الإنساني الذي ازداد تأثيرا مع التطور النوعي للتكنولوجيات المعاصرة، سواء على البيئة أو على

---

[1] Hicham stéphane afeissa, **qu'est-ce que l'écologie**?,librairie philosophique, vrin, paris 2009,p23.

[2] اكرام فهمي حسين: أثر التقدم العلمي على الإنسان والبيئة في العصر الحديث، المرجع السابق، ص434.

الأحياء المجاورة له وحتى على بيئته البيولوجية والفيزيولوجيا، لتراعي مصالح الفرد وسعادته ثم إذا كانت الأخطار المستقبلية محتملة ومحدقة فإن الخوف الغريزي للجنس البشري على بقائه هو الذي يمكّنه من تفاديها"[1]، بدأً بمراجعة الأجيال الآنية لممارساتها الثقافية والاجتماعية التي كان لها دور في الفصل بين الإنسان وطبيعته، بل حولها كعنصر وسيط بينهما لم يساعد في تكامل العلاقة مساهما في تمزيق الروابط بشكل غير متوافق والمبدأ الأخلاقي مع الطبيعة التي منطلقها الحتمي بالدرجة الأولى، ولتجاوز هذا الموقف كان لابد من توفير أمل جديد في الفلسفة المعاصرة .

تحديدا "الفلسفة البيئية المتكيفة مع الوضع الجديد الذي خلقته التكنولوجيا الحديثة وتحليل الآثار غير المباشرة من التدخل البشري المتعمد في الطبيعة، خصوصا الكلاسيكية نتج عنها عواقب سلبية غير متوقعة داخل العمل الاجتماعي، بحجة الهروب أي سيطرة المبدعين بأخذ الاعتبار التصرفات البشرية وآثارها التي تنتج في مجال العلاقات الإنسانية داخل الطبيعة"[2] الضعيفة غير القادرة على المواصلة رغم إدراك الإنسان المعاصر لنوعية المسؤولية والأخلاقيات الموجهة نحو البيئة، من منطلق القلق والخوف من انفصال الحاصل إلا أن الوضع السيئ لازال قائما لمنع بعض التوجهات من تدارك الأمر المدمر لمصالحهم الشخصية بالدرجة الأولى المقدمّين لبعض الشعارات البعيدة عن مقاصد التطبيق الفعلي.

لكن من "الضروري إيجاد نوع من العلاقة المتوازنة بين الإنسان والطبيعة والعلم فالعلم لا ينبغي أن يكون أداة هدم ولكن ينبغي أن يكون أداة بناء عن طريق المعرفة الموضوعية المؤسسة على القيم النبيلة (...) والإنسان في صراعه مع الطبيعة تزداد

[1] رشيد دحدوح: مفهوم الطبيعة في الفكر الايكولوجي المعاصر 16:30 .01/11/2016 www.aljabriabed.net

[2] Hicham stéphane afeissa ,**qu'est-ce que l'écologie**?Op.cit ,p23.

أهمية علاقاته في النتائج الإيجابية والسلبية"[1]، عن طريق التحكم في الانفصال اتجاه البيئة بإرساء قواعد الاتصال الأخلاقي مع الواقع إيكولوجي مجسد على نطاق عالمي بتفكير إتيقي سليم يخص المستقبل.

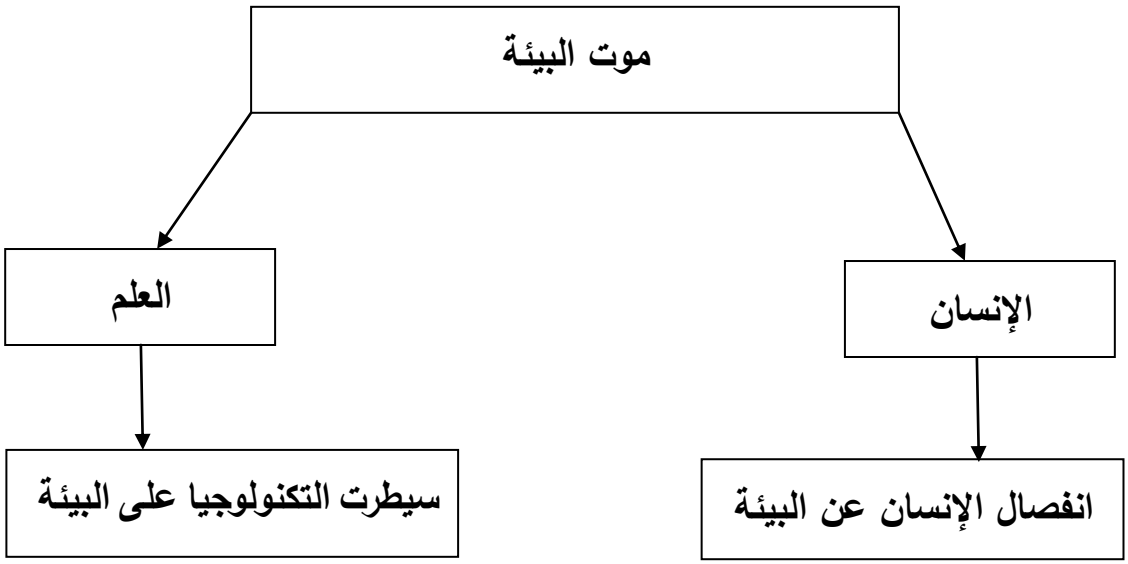

الشكل7 أخلاقيـــات البيئـــــة

يتعلق المخطط بالمشاكل التي تعاني منها البيئة، نتيجة تمرد الإنسان على محيطه وانبهاره بالعلم، نتيجة ما قدمه للبشرية من أحلام أصبحت حقيقة واقعية يستفيد منها في أغلب ميادين حياته، لكنه تجاهل مصدر هذه الرفاهية وتعامل مع البيئة بطريقة غير أخلاقية وهذا نتيجة انفصاله عن محيطه.

[1] إكرام فهمي حسين:أثر التقدم العلمي على الإنسان والبيئة في العصر الحديث،المرجع السابق،ص ص438-439.

4/ أخلاقيات الإنسان المستقبلي عند يوناس :

إن الأخلاق البيئية يطلق عليها كذلك "الإيكو فلسفة أو الإيكو أخلاق وهي مبحث معاصر يبحث في معايير السلوك الإنساني اتجاه الآخر ولا يقصد بالآخر أو غير الكائنات الإنسانية العاقلة فقط بل جميع الكائنات الحية الأخرى من حيوان ونبات وحتى الطبيعة الجامدة، وبالتالي فالأخلاق من وجهة النظر المعاصرة لم تعد حكراً مكانيا وجغرافيا على الإنسان إنما تتعداه إلى غيره، فالفعل الإنساني يجب أن يأخذ بعين الاعتبار النتائج المستقبلية وترتبها على الأجيال والطبيعة في المستقبل"[1] المستوحاة من لُب أفكار **يوناس**، المؤسسة للأخلاقيات الجديدة على حساب التطور العلمي الذي انتهج منحى مغايرا لصالح البيئة فأصبح لها أخلاقيات خاصة من حيث الممارسة الإنسانية تحديدا بالعودة إلى الوفاق الطبيعي الأول الذي لم يترك أية أضرار لا صحية على الإنسان ولا مادية على المحيط الإيكولوجي، الذي سلبت منه قيمه الأخلاقية وهذا تصريح واضح مع فلسفة **يوناس** لتوجيه الراهن العلمي والأخلاقي اتجاه البيئة المستقبلية، الذي يشمل ضرورة فهم الوجود الكوني من خلال تجديد ميادين الممارسة المعتادة عليها بطريقة إتيقية من الأخلاقيات التطبيقية الشاملة لكل تخصص بحثي.

الذي لا يشير إلى "الأخلاق داخل المستقبل بل أخلاق المستقبل المصمم اليوم ليس من أجل مستقبل هابط، بل يجب أن تهتم بالمستقبل لكي تحميه من عمل اليوم والضرورة تفرض عملا آخر بصفة عامة داخل العولمة والتكنولوجيا لمستقبل كبير"[2] غير رافض للتطور العلمي والمعرفي بل هو ضد الطريقة والأسلوب وحتى المنهج الذي طبق داخل البيئة، ولتفادي الخطر الأكبر يجب تبني أخلاقيات مبدأ المسؤولية من منطلق نفعي

[1] رشيد دحدوح: مفهوم الطبيعة في الفكر الايكولوجي المعاصر www.aljabriabed.net01/11/2016. 16:30

[2] Hans jonas, **pour une éthique du futur**,Op.cit ,p75.

إيكولوجيا المخالف لما ألفناه، حتى نستطيع الحفاظ على الحريات المقيدة اتجاه الطبيعة الصحية بإتيقا المسؤوليات جديدة.

تعرف فيها الأخلاقيات البيئية "بأنها دراسة الروابط بين البشر والكائنات الحية الأخرى والمحيط الحيوي الجامد، لكن أصبح يشكك في الأسس الأخلاقية للعلاقة بين الإنسان والطبيعة البعيدة عن الواجبات والالتزامات اتجاه طبيعة محورها الإنسان، فيجب حماية عناصر الطبيعة والاهتمام بالأجيال المقبلة لتشمل حتى الحيوانات والنباتات والنظم الإيكولوجية بالنظر الأخلاقي"[1] بإعادة التأهيل والتأسيس للبعد المستقبلي الجديد لكل ماله الحق في الحياة، فمطلب الاستمرار ركيزة جوهرية عند **يوناس** لاستنباط أخلاقيات جديدة بالرجوع إلى الإنسان المعاصر المساهم في الفساد البيئي إلى أقصى حدوده، الذي بدأ الخطر محدقا به من خلال انتشار مظاهر جديدة خطيرة على مختلف جوانبه سواء الإيكولوجية أم البشرية، حيث وقف العلم عاجزا لإيجاد حلول لها رغم ماله من تطورات في الاستنساخ والتعديل الجيني والتكنولوجي.

بالاعتقاد "أن لدينا عنانا نعمل به في جميع التحولات لكنه بعيد عن الواجب وبحث عن حياة جيدة للبيئة، فالأخلاق هنا لا تنظر إلى البيئة على أنها كائن حي ينبغي أن يركز فيها كموضوع مهم، بالإضافة إلى الاعتماد أن البيئة موضوع واحد لا يحمل الطابع المزدوج"[2] يعكس في الفهم الإيتقي المعاصر للأخلاق القديمة ومحاولة تكييفها بإعادة النظر في كل مبادئها الأساسية، من بينها الواجب والحق والمسؤولية التي تنظر إلى المستقبل والحاضر والماضي، بالإضافة إلى قابلية تغييرها وفق المتطلبات الزمانية

[1] Sylvie ferrari, **éthique environnementale développement durable** :réflexions sur le principe responsabilité de hans jonas ,vol1.n3,2010,p02.

[2] Eric pommier, Hans jonas, **Le principe responsabilité** ,presses universitaires de France(puf),paris,p19.

والمكانية تجسد نقطة قوة في فلسفة **يوناس**، التي أوجدتها الحاجة الضرورية بإعطائها تخصصاتها لتنحصر ضمن الفلسفة وحركاتها المعاصرة .

سعيا بهذا **يوناس** "لتأسيس أخلاقيات جديدة يتم طرح فيها للمسؤولية خلافا للمسؤولية القانونية، وأصل هذا التغيير في الأخلاق هو تهديدات من قوة التكنولوجيا التي أنشئت من قبل الرجل للحد من نتائج عمل الإنسان، ومن واجب علينا اتجاه المستقبل الذي يتطلب منا كونها مسؤولية اليوم، و**يوناس** أول من نادى بأخلاقيات مفتوحة على المحيط الحيوي بهدف حماية الحياة في جميع أشكالها عن طريق إنقاذها، فمن دون الطبيعة إنه لا يمكن أن تستمر الأجيال المتعاقبة"[1]، وبالتالي تكون نظرة مستقبلية خاصة بالبيئة بالدرجة الأولى قبل الإنسان، ليعطي العصر روحه الجديدة تاركا ما في صالحها وليس ما يدمرها على حساب الإنسان لا غير، دون تفرقة من زاوية الحق في الحياة وعدم الاحتقار أو تحيز، ليشمل كل من الإنسان والبيئة فكلها أضحت أحلام فلاسفة العصر من بينهم **يوناس** ويجب أن تتجسد كحقيقة مثل العلم الذي استطاع أن يحقق كل ما كان في حيّز التمني.

بالابتعاد عن "الأخلاق التي لم تكن مسألة تخطيط طويل الأجل وتحكم في ظروف كانت محدودة إلى بعيدة عن التنبؤ، بل كان لها نهاية على الفور تقريبا وكان لها عواقب طويلة في المصير، وهذه الأخلاقيات التي كان يتعامل بها من قبل بغض النظر عن اختلاف المحتوى"[2] بين نمطين من العصور، آخرهم ساهم في تحويل الحياة بكاملها من رقي علمي أكثر من أخلاقي في ما يقابله من سعي في كل ماله علاقة بإتيقا اليوم

[1] Sylvie ferrari, **éthique environnementale développement durable** :réflexions sur le principe responsabilité de hans jonas, Op.cit,p06.

[2] Hans jonas, **Le principe responsabilité**,Op.cit,p28.

والمقصود هو إتيقا البيئة والعلم والمستقبل تحت نداءات المسؤولية الفلسفية والسياسة والعلمية الجديدة، أي بمختلف نماذجها الموضحة من قبل **يوناس**، فما المقصود بمسؤولية **يوناس**؟ وما هي أبعادها المستقبلية؟.

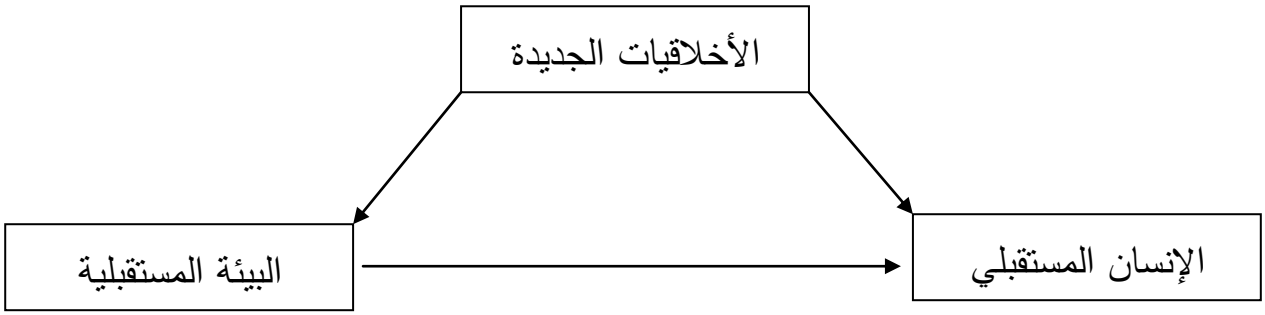

الشكل 8 نماذج أخلاقيات المستقبل للإنسان والبيئة

يوضح المخطط مبدأ الأمل للاستمرار داخل المحيط الإيكولوجي في حالة تقيد بالفعل الإتيقي، كحل نموذجي يسعى **يوناس** لإدراجه كممارسة يومية عند أغلب المجتمعات، لتفادي الكارثة المستقبلية الموجه للبيئة والإنسان المستقبلي، الذي له حق الحياة بداخلها من خلال الأخلاقيات الجديدة.

المبحث الثاني :

مبدأ المسؤولية عند يوناس

تطلب منا موضوع أخلاقيات البيئة معرفة أسس المسؤولية الجديدة القائل بها **يوناس** في كتابه مبدأ المسؤولية الجديدة، بهدف تجاوز الأخلاق الذاتية المتمركزة على الحدود الفردية وأيضا التي تطورت إلى نموذج المسؤولية الجماعة المنحصرة ضمن العادات والتقاليد، حيث الفرد كان يتحمل أخطاءه بصيغة قانونية لحماية الجماعة المؤكدة عليها الأخلاق الكلاسيكية، لكنها لا تخدم الواقع المعاصر والمستقبل فكان لابد من تدخل الفلسفة المعاصرة في دراسة هذه المسؤولية الإنسانية المحضة بالدرجة الأولى، من منطلق أنه المبدأ ذو الخاصية البشرية وبيئية يهتم بالمستقبل، لكن **يوناس** يقدمها بطابع فلسفي جديد لأنه يكشف عيوب المسؤولية الكلاسيكية داخل الفلسفة الكلاسيكية بإعادة توظيفها من جديد وفق الصالح أخلاقيات البيئة الموجه ضد مخلفات العلم السلبية.

1/ الوعي بالمسؤولية يوناس الجديدة:

"تأخذ المسؤولية بعدا أنطولوجيا وفلسفيا **فيوناس** عمل على تناول المفهوم وفق مسؤولية ذاتية كونية، نتيجة ما آلت إليه الروابط المعيارية والتطبيقية بمساعدة التكنولوجيا(...) انعكست سلبا على حياة الإنسان المعاصر بأبعادها الأنطولوجيا والسياسية والأخلاقية"[1]، لأن المسؤولية ليست خاصة بمجال معين بل لها عدة ميادين لكن أهم ما ركز عليه **يوناس** هنا جانبها الوجداني والسياسي معا، أي القانوني والقيمي أو الأكسيولوجي الجديد فجميع هذه الميادين التي حصرها **يوناس** في مبدأ المسؤولية اشترط أن تكون مرتبطة بكل ما هو إتيقي جديد خاص بما خلفه العلم من انعكاسات نتيجة لتصرفات الإنسان غير المسؤولة اتجاه البيئة، لأنه اعتمد في تعامله مع محيطه الإيكولوجي باللامبالاة القصدية.

[1] عبيس مطلب: أخلاق المسؤولية عند هانس جوناس، النظرية الأخلاقية، المرجع السابق، ص 318 .

فقدم **يوناس** في مؤلفه مبدأ المسؤولية "كرد فعل ومحاولة فلسفية لمحنة الإنسان المعاصر، مدركا خطر التدمير الكامل والحقيقي الذي يمر به العالم ما دعاه إلى كتابة مؤلف آخر بعنوان حتمية المسؤولية بحثا في أخلاقيات العصر التكنولوجي "[1] ليكون **يوناس** قد اهتم بالواقع البيئي وبالمسؤولية وأخلاقياتها، ليخرج البيئة من مجالها العلمي الجامد المعتاد عليه إلى مجالها الفلسفي الوجداني، ربما لأن **يوناس** عاش فترة ما بين الحربين العالميتين وما تسببته من اختلالات بيئية، علمية، أخلاقية خاصة مع تطور الأسلحة النووية وما تركته من دمار شامل أثر على الإنسان والبيئة فكان العالم يعيش موجة قلق مروعة.

تزامنت مع ظهور كتاب **يوناس** مبدأ المسؤولية "حيث تقع المسؤولية كمبدأ لابد منه لتعتبر مناقشة شجعت **يوناس** في القلق من أجل المستقبل بضرورة حتمية مع دوام حياة الإنسان الأصلي على الأرض، وأسس النظرية **ليوناس** تحشد التقاليد الفلسفية بقدر كبير من التعقيد في الواقع والميتافيزيقا"[2] كفلسفات طالب بها **يوناس** محاولا تطبيقها على أرض الواقع لحل المشاكل البيئية غير الأخلاقية، فهمه الوحيد إنقاذ مستقبل البيئة الراهنة والإنسان لأن لها حق في الحياة أيضا ولا علاقة لها بالوضع البيئي السائد اليوم.

فأعلنت "التحليلات الفلسفية الحاجة إلى إعادة تحديد قواعد المسؤولية للحفاظ على التدابير التي هي مستجدات أدخلها التطور التكنولوجي، مطالبين بإعادة هيكلة السياسة لأن آثار التكنولوجيا قوية تؤثر على العالم في مناطقه المختلفة في مجموع الدمار المشترك، ومن العبرة على العالم أن يتعلم الآن التفكير في المشاكل الناشئة عن استخدام

[1] عبيس مطلب: أخلاق المسؤولية عند هانس جوناس، النظرية الأخلاقية، المرجع السابق، ص320.

[2] Annette disselkamp, **hans jonas,trente ans après**,Op.cit,p01.

التقنيات الحديثة بمسؤولية"[1] جماعية عالمية لا تنحصر على فئة خاصة، فلا يمكن حصرها فيما هو أوروبي فقط لأن البيئة هي ملك للجميع أي تتصف بالشمولية، لكن قبل هذا هي ملك لنفسها فلو تعامل معها الإنسان منذ البداية بهذا المنظور لما استطاع الوصول إلى حلقة مفرغة يصعب الخروج منها، فالضحية الأول هي البيئة التي تعاملوا معها بطريقة غير إنسانية تماما.

لنجد أن **يوناس** "ضد استخدام القوة التكنولوجيا داعيا بكل مسؤولية لمعالجة المشاكل السياسية ووضع حل بالإحساس بالمسؤولية كمبرر وجودي، وعلى الإنسان أن يكون مؤهلا لها كوجهة نظر مستقبلية تقبل فيها مسؤولية الفرد التوارثية (...) فيؤكد **يوناس** عن مظهر الأخلاق وفق إدراكها حتى يستطيع أن يعبر الإنسان عن إنسانيته"[2] المخالفة للنزاع السياسي المساهم كثيرا في الأزمة البيئية والتطور السريع للتكنولوجيا، فهو معارض تماما لفكرة القمع والسيطرة الرقمية لأن الآلة جعلت الإنسان لعبة تتحكم فيه بدلا من التحكم فيها فيأتي مبدأ المسؤولية ليفرض سيادته على الإنسان والعلم والأخلاقيات خلاف كل المسؤولية السابقة الآنية.

لأن "مبدأ المسؤولية بهذا الشكل دائم مصطنع لم يقدم اليقين على المدى الطويل بل قام بتهديد التكوين الثقافي بالرغم من جميع الحريات، وذلك منح التعسف في تقرير المصير من بيانات عقلية الوجود الإنساني وحتى ما هو قبل على وجه التحديد، مما أدّى إلى عدم اتساق مصير الإنسان "[3]كعنصر ضروري في الوجود بالإضافة إلى المصير البيئي، فعلا **يوناس** عاش حالة قلق وخوف على كليهما من مجريات الواقع الناتج عنه

---

[1] Hicham stéphane afeissa , **qu'est-ce que l'écologie?,** Op.cit ,p16.

[2] عبيس مطلب: أخلاق المسؤولية عند هانس جوناس، النظرية الأخلاقية، المرجع السابق، ص ص322-323.

[3] نفسه، ص324.

انقلابات كبيرة، فلابد علينا نحن الجيل الآني تحمل المسؤولية المتكاملة من طرف أعمال السياسي، العالم، المجتمع، كلها تكتلات ينبغي عليها أن تتعامل بمبدأ الإتيقا الجديدة كإحدى الصفات الشاملة للحفاظ على النظام البيئي ولا تنحصر فقط على شخص معين أو مجال خاص بل بصفة عالمية.

أيضا يضاف تعريف لمبدأ المسؤولية هو "مشروع أخلاقيات الحياة مع تطورات التكنولوجيا المتعرضة للخطر بالمعنى المزدوج (...) وتحقيق التوازن بوجود مسألة خطيرة هي سلطة السيطرة غير المحفزة ضد الطبيعة، بل انتحار الإنسانية لاسيما مخاطر التقنية وهنا تكمن مهمة الرجل"[1] المسؤول الأول عن تقنين ما هو غائب من الساحة القانونية المرتبطة بالبيئة ليس لأجل ردع الإنسان أو السيطرة والتحكم فيه مثلما تحكم في البيئة بل لغرض الاستمرار داخل المستقبل البعيد عن خطأ الممارسة المتبعة في المسؤولية السابقة المتولد عنها أزمة خاصة بالمسؤولية في حدِّ ذاتها مادام الإنسان متشبع بأفكار على النحو السلبي سواء كان بقصد أو بدون ذلك فهذه النتيجة كانت لعدم اتخاذ القرارات وهي لا تخدم الواقع الإيكولوجي أكثر من غيره فلا فائدة منها ويترتب علينا تجاوزها.

بالنسبة **ليوناس** :"نجد مسألة تحديد المسؤوليات بالتجربة تنطلق من هشاشة البديهيات الأخلاقية (...) ويجب أخذ اعتبار الحتمية المصحوبة بالمسؤولية استنادا إلى بيئتنا الاجتماعية والمهنية، إذن نحن مسؤولون عمّا نقوم به ومن ثمة محاولة إظهار أن الفكرة المتماسكة من المسؤولية بحاجة إلى التخلي عن المفهوم المحكم، في اعتبار مسألة الشروط اللازمة لممارسة الإرادة الحرة كشرط للمسؤولية"[2] كي تترفع عن القيود الفكر المرتبط بالواجب والحق الكلاسيكي، فوجب علينا فصلها عن الأخلاق الآنية المرتبطة

[1] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,pp17-18.

[2] Daniel françois wachter, **repenser la confiance, l'autonomie et la transparence**, In ;traité de bioéthique, Op.cit,pp133,134.

بالذاتية البشرية لا غير كي لا تبقى في ظل المفهوم السابق المرتبط بالمجال السياسي وممارسي السياسة من رجال الدولة إلى الهيآت التابعة لهم قبل المجال الاجتماعي وانعكاساته، وهنا **يوناس** ضد الفكر السائد الذي لم يقدم للإنسان أية حلول تضمن له الاستمرار ولم تكن أية تجربة إلا وانجر عنها تجرده من انسانيته الأخلاقية والبيئية.

على اعتبار "أن مسألة المسؤولية والشعور بالذنب قضيتان منفصلتان، ولكن في هذه الحالة ينبغي التخلي عن مفهوم المسؤولية وأيضا تعيين المسؤولية بطريقة جديدة بحيث تؤكد على الإرادة الحرة وإكمالها بفكرة الجدارة الحرة، ويجب أن يكون مسؤولا ليستحق العقوبة لأنها كانت حرة وسيتم تعيين مسؤولية جديدة تعتمد على النظرية الوقائية الموافقة على تفادي جرائم المستقبل المدعمة بالواجب"[1]، أي لا يمكن معاقبة شخص ما على سبيل المثال إذا لم يرتكب الفعل الخاطئ وهنا تسقط عليه المسؤولية المرتبطة بإرادته الحرة في ممارسته السلوك المنافي للواجب، والميزة المركزية لهذا النوع من المسؤولية منحصرة في هذه الحدود دون ذلك على حسب المثال المقدم، فاضطر الإنسان المعاصر إلى تفادي وتجاوز نماذج المسؤولية السائدة بوتيرة متسارعة جدا لأنها لا تتفق والواقع البيئي بل تبقى صالحة للفكر التكنولوجي الحديث والمعاصر المسيطر عليه.

ليعطي **يوناس** مفهوم المسؤولية "وظيفة أخلاقية دقيقة ينطلق من قناعة قدرة الواجب الأخلاقي الجديد المتمثل في العناية بالطبيعة، فمسؤولية الأخلاق والعلم تنطلق من ضرورات حتمية ويدعو إلى النظر في تأثير العمل الذي أثار القطيعة بين الإنسان والطبيعة"[2]، كون فكر **يوناس** البيئي مستقبلي لن ينجح في تحقيقه باستناده على العشوائية

---

[1] Daniel françois wachter, **repenser la confiance, l'autonomie et la transparence**, In ;traité de bioéthique, Op.cit ,p136.

[2] عبيس مطلب: أخلاق المسؤولية عند هانس جوناس، النظرية الأخلاقية، المرجع السابق، ص328.

أو الصدفة حتى لا يبقى حبيس المثالية مثل فلسفة **أفلاطون**، بل كان صريحا وواقعيا في فكره المنافي لراهنه المعيش المنبثق عنه مبحث جديد في الفلسفة المعاصرة هو إشكالية البيئة أو الإيكولوجيا المؤنسنة، باعتبارها كائنا يتمتع بالحياة على حد تعبير **يوناس** كي لا تبقى القطيعة بين المحيط والكائن العاقل مجسدة كضرورة حتمية تفنى بممارسة الأخلاقيات ومبادئها المسؤولة المتقيدة بإتيقا البحث العلمي وأهمها الواجب الطبي بكل ميادينه وتنبؤاته الضارة للبيئة.

المتمثل مستقبلها في المسؤولية **يوناس** "لأن أخلاقيات البيئة يتم توصل لتحليلها الوجودي من قبل المسؤولية المعنوية بشكل من أشكال المسؤولية"[1] سواء الحاضرة أو المستقبلية، باعتبارها جوهرا بشريا تشترط الوجود الأخلاقي المغاير لما كان معتادا عليه، فالمسؤولية المعاصرة هي ممارسة الرجال بالدرجة الأولى لفائدة رعايا الجيل القادم وأضيفَ إليها، مجالات الحفاظ على البيئة بشرط التعاطف معها بمبدأ المحبة الموجه للبيئة من منظور الالتزام الإتيقي الإيجابي.

وليس المعنى السلبي مثل "موضوع متغير يقودني إلى الواجب، ويكون كل في نزاهته يسير إلى الأمام ويحمل المسؤولية في مسألة بعيدة، لأنها وسط في الأخلاق وفهم علاقات المستقبل المستحيل من الناحية العقلية والفكرية داخل مجال الرجل في الحياة الآنية"[2]، كونه العنصر الفاعل داخل المجتمع العالمي الذي واقعه فرض عليه المسؤولية الايجابية مشددا عليها **يوناس** المخالفة لمفهومها السلبي، لكن لن يتحقق ذلك إلا في حالة اقترانها بميدان البيوتيقا التي أضحت أخلاقيات عالمية، فكل من الأخلاق وواجب السلطة والمسؤولية هي قضايا فلسفية محضة تمارس بكل الطرق لكنها مع **يوناس** هي جديدة في مضامينها.

---

1 Annette disselkamp,**hans jonas,trente ans après**, Op.cit,p02.

2 Hans jonas, **pour une éthique du futur**, Op.cit,p88.

يتم تحويلها بطريقة حاسمة لأنها "أدخلت التكنولوجيا الحديثة أنيم حجم عمل جديد مع الكائنات، كما أنها لم تعد تعتمد على إطار الأخلاقيات السابقة من خلال السلطة بطريقة مختلفة تحت علامة القلق بابتعاده عن القديم والعمل بالأخلاقيات القادمة، لأن لها بعدا جديدا لم يعالج من قبل اتجاه الطبيعة كالصورة الأولى الموروثة، إلا أن هذه الطبيعة اليوم ضعيفة من خلال الضرر الذي تسبب بالفعل الإنساني (...)هنا كانت بدايات علم البيئة الإيكولوجيا"[1] المستندة على المسؤولية القريبة من الواقع البيئي وهي خاصية لم يسبق لأي فيلسوف أو توجه فلسفي في أي حقبة زمنية من تداركها أخلاقيا بمسؤولية البيئية فكان الانتقال من مرحلة إلى أخرى مغايرة لها، سواء نتج عنها ما هو ايجابي أو سلبي إلا أن جميعها لم تنتبه لأهميتها إلا مؤخرا وفق **يوناس**، لكي لا تكمل الفترة المعاصرة مشوار العصور السابق بقتل ما ورثه البشر من أفكار عبر الأجيال ضد البيئة.

نتيجة "سيطرت القدرات التقنية في غياب السلطة والقوانين فإن ما ينتج عن ذلك جملة من التصرفات اللامسؤولة التي ينجر عنها أضرار بالبيئة بأكملها، ويمكن للإنسان تفادي ذلك إذا ما استرشد بمبدأ المسؤولية في نظر **يوناس**، لأنه ينطلق من ضرورة الشعور بالمسؤولية لبناء أخلاق كما أن موضوع المسؤولية يختص بكل ما هو ضعيف وسريع التأثر في الوجود، نحن مسؤولون عن كل ما هو قابل للتغيير والتحول وكل ما هو مهدد بالتلف والزوال"[2] خاصة إذا كان هذا الزوال مرتبط بالبيئة وبالكون وكل ما سوف يحضر من المستقبل، فالإنسان اليوم مضطر وليس مخيرا في رأي **يوناس** بتبني حلول سريعة للحد من سرعة التقدم العلمي، لتكييف الواقع العصري بمسؤوليات متكاملة الهدف البيئي فكل العالّم وكل ممارس للتطور إلا وعليه تحمل مسؤولية أفعاله مستقبلا.

---

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit, pp30.31.

[2] زهية العايب: أخلاق البيئة والمسؤولية عند هانس جوناس، الفلسفة الأخلاقية، المرجع السابق، ص456.

فيجب على العالِّم "تحمل مسؤولية نتائج نظرياته واختراعاته العلمية، وأن تكون لديه ملكة خاصة للتنبؤ بالنتائج المترتبة على اكتشافاته العلمية، هو ما يذكرنا **بأنشتاين** قبيل وفاته 1958 حينما رأى أن يوقع على بيان تحذير مشتملٍ على هذا الإيضاح: إن استعملت القنابل الهيدروجينية على نطاق واسع وجب أن تتوقع الفناء العاجل لجزء من الإنسانية"[1]، فيطرح سؤال من يتحمل المسؤولية العالِّم أم ممارسُ هذا العلم؟ لكن **يوناس** يؤكد أنه لربح الوقت لصالح البيئة أولا يجب تكثيف التضامن المسؤول سواء كان سياسيا أو اجتماعيا أو علميا وحتى فلسفيا للخروج من الأزمة البيئية.

"بالتفكير الأخضر للمسؤولية التي طورت في أوربا على مدى العقود الثلاث الماضية، وسوف تظهر كيف أنها استطاعت حماية نفسها من انعكاس ما بين الحربين والتوسع التكنولوجيا والتحكم في الطاقة الذرية، وسيكون تحد لإثبات ليس لتجزئة الطبيعة بل الشعور بالطبيعة الجوهرية من خلال تفكير الإنسان نفسه"[2] بأي نوع من المسؤولية التي جزأها **يوناس** يعمل بها، سواء المسؤولية الأبوية أو مسؤولية رجل الدولة بغية الوصول إلى حل يخدم مستقبل البيئة والجيل القادم عن طريق أخلاقيات التطبيقية نظرا لقوة حضورها في العلم التكنولوجي.

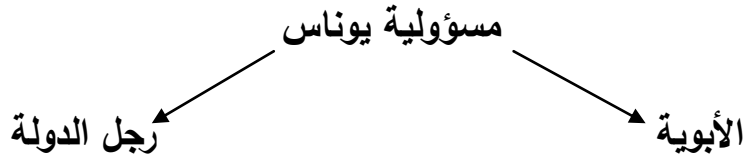

نمـــــاذج المسؤوليـــة الجديـــــدة

الشكل 9 يمثل المخطط أصناف مسؤولية **يوناس** الجديدة لصالح البيئة ومستقبلها كبديل للمسؤولية الكلاسيكية، التي ترفض الاعتراف بحقوق البيئة بل سعت للسيطرت عليها.

[1] إكرام فهمي حسين: أثر التقدم العلمي على الإنسان، المرجع السابق، ص444.

[2] Hicham stéphane afeissa, **qu'est-ce que l'écologie?,** Op.cit,p16.

2/المسؤولية الأبوية :

يفضل **يوناس** هذا النوع من المسؤولية بأنها مسؤولية فطرية لا تتطلب شروطا قانونية توجه الإنسان، بل تمارس بشكل مطلق وبعفوية دون أية اتفاقية لأنها ناتجة عن رضى داخلي، فعندما يمارس مثل هذا النوع من المسؤولية يكون الإنسان مرتاحا تماما لدرجة السعادة النفسية التي يّتبعها راحة الضمير.

لأنها مسؤولية البشر والعنصر المشترك فيها يمكن تلخيصه في المفاهيم التي أشار إليها **يوناس** منها: "مجالس الإدارة، ووجود السعادة للبشرية مرجعيتها الأب وهي مرجعية أساسية، فالإنسان ذو طابع أضعف قابل لإلغاء عمليات طبيعية غير مستقرة حيث يمكن تطبيقها في شيء واحد، هو الحماية المشتركة داخل إدارة المجتمع مع الرجل الذي له حق لذلك الجميع ليس بحاجة إلى تبرير آخر، لأن الرجل كائن مادام يتمتع بالحياة عن طريق مسؤوليتهم الخاصة فالرجل والمجتمع لهم خوف واحد"[1] مثل خوف الأب على أبنائه لأنه المسؤول الأول عن الطفل الذي يشعر باتجاهه بالالتزام الضروري، حيث تكون هذه المسؤولية في الكثير من الأحيان تمارس لكن دون شعور الوالدين أنها شكل من أشكال سلطة المسؤولية المفروضة عليهم، ويكون الأب شرطا لنموذج مسؤولية الوالدين التي سوف تنتقل من الأسرة إلى المجتمع لاحقا ثم إلى الميدان السياسي في نموذج مسؤولية رجل الدولة لتنتقل من مجالها الضيق إلى الميدان المفتوح.

لنفهم أن هناك "نوعان من المسؤولية الأبوية ومسؤولية رجل الدولة، الذي هو جوهر المسؤوليات مقدما صورة شاملة لها خصائص مسؤوليات الالتفاف على جميع الجوانب والمصلحة العليا، هي المسؤولية الأبوية في جوهر النموذج الأصلي للمسؤولية الوراثية

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p193.

الأصلية، فالطفل في جميع إمكانياته لا يحتاج فقط إلى الاحتياجات الفورية البيولوجيا والتي بطبيعة الحال تأتي في المقام الأول لجميع الاتجاهات، وهذه من أفضل صور قلق وتوتر الوالدين"[1] لأنهم يقتبسون مصدر التزاماتهم الموجهة نحو أبنائهم من سلطة والديهما (الأجداد) التي تترك أثرا بداخلهم فهي ذات طابع وراثي، منبها **يوناس** أن الأسرة هي دولة مصغرة تنشأ لرعاية أطفالهم بمختلف احتياجاتهم المتنوعة فالوالدان يسعيان إلى تحقيق كل ما يحتاج أبنائهم على حساب مصالحهم بسبب الخوف والقلق اتجاه مستقبل أبنائهم في المقام الأول.

وتبقى "المسؤولية الأوضح هي طريقة مسؤولية الوالدين وهي الأكثر جماهيرية والأكثر حميمية والأكثر عالمية من قبل، لتحل محل المسؤولية خاصة والسلطة الأبوية لها شأن عكس ذلك في الوقت القديم والآباء في امتحانات تنافسية داخل الأسرة كانت قوية، ولا يمكن إلغاء الأسرة باعتبارها شكلا من أشكال التعايش البشري تضم عدة أجيال"[2] لأنها المنشأ الأصلي والأول لكل حضارة، تترك خلفها وأمامها كل ما هو جيد أو سيئ والمسؤولية لها مقامات عليا تمارس داخل كل أسرة، بمختلف نماذج المجتمعات العالمية فلا يمكننا إنكار أنها الموطن الحقيقي والجذري للدول الذي تطور لاحقا إلى نطاق مفهوم الأمة حيث كل أسرة تسعى لأفضلية في مقابل الأسر الأخرى ليس من أجل التباهي من حيث الممارسات، بل بهدف توفير الرقي الخلقي والمادي للابن لا غير فالأب يرى نفسه في ابنه محاولا توفير أقصى ظروف الرفاهية، لضمان راحته النفسية والجسدية على المدى الطويل ولا ينحصر تفكيره على المدى القصير.

---

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit ,p200.

[2] Ibid,p203.

تاركة "المسؤولية الأبوية رمز كاملا من المعتقدات والأعراف الاجتماعية واللغة التي جعلت الفرد عضوا في المجتمع واسع الملكية، وتشمل في جوهرها سلامة الشخص بعبارة أخرى فإن المواطن هو هدف جوهري للتعليم، وبالتالي هو جزء من مسؤولية الوالدين وعلاوة على ذلك حتى بالنسبة لأولياء أمور الأطفال والدولة نفسها تدعم مسؤولية تربية الأطفال، وأول مرحلة في معظم المجتمعات موكلة فقط على دراية المنزل لأنها المراحل التي يعيشها الطفل تحت المراقبة"[1] المستمرة فيتشارك الوالدان في المسؤولية لتميزها بعدة وظائف لدرجة تقاسمها مع بعضهم البعض، وأصعب مسؤوليات التعليم ذو وظيفة هامة يقوم بها أولا الوالدان داخل الأسرة بتلقينه المعرفة الأولى من العادات، التقاليد والعقيدة التي تتبلور لاحقا في شخصية الطفل عند سن البلوغ، وتمثل أكبر جزء من مهام الوالدين بصفتها الأسس التي تحتاجها الدولة التي تجدها مبنية لتكمل وظيفة التعليم الإجبارية عندها تكشف نتائج مسؤوليات الوالدين.

فقد أصبح "الجميع يعرف ما هي شروط الشعب الفرعية في حالة وعي الآباء والأمهات من كونها نقطة انطلاق لتشكيل حياة ذاتية جديدة تماما، تظهر بشكل استئناف فوري من أن الطفل يحتاج للرعاية ولمحبة الزامية من طرف الأم خاصة الأطفال حديثو الولادة، ودائما هناك تضامن بين الآباء لأنها حالة ذاتية وليست موضوعية من إحساس قوي يتم نسجها في علاقات تحتفظ بالأولوية في العلاقات البشرية"[2]، لأنها مسؤولية مباشرة وفطرية من مصدر غيبي يمارسها الأب والأم بعفوية صادقة دون طلب أو مقابل بل يرافقها الشعور بالسعادة، الذي لا نجده في مسؤولية الباحث أو رجل الدولة فلكي نستطيع الاستمرار يجب أن نقتبس نموذج مسؤولية الوالدين من منطلق الواجب الأبوي.

---

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p202.

[2] Ibid,p204.

ينعكس "في قلق مسؤولية الرجل داخل الدولة مثل الأب الذي يحتوي على شكل من الوصايا التي ليست جزءا من جوهر السياسة، وحتى الجمهوريات الأكثر استنارة تحتفظ فقط بالشرعية الحكومية التي لا تقوم على إرادة الأغلبية باعتمادها على سلطة المسؤولية (...) يجب أن تؤدّي المسؤولية بموضوعية مثل مسؤولية الوالدين المرتبطة بالوجود المادي والمصالح العليا من أجل الأمن والسعادة بسلوك متوافق"[1]، كلها مبررات أسقطها **يوناس** بين مسؤولية الوالدين ومسؤولية رجل دولة وانعكاساتها على البيئة والمستقبل الإنساني، ليؤكد أن هذا الرجل له نفس الدور الذي يقوم به أب داخل أسرته بتعامله معها بسياسة مترفعة عن مصالحه الذاتية، بل الأب أكثر موضوعية وأخلاقا في ممارساته لنموذج مسؤوليته، لذا يجب ممارسة هذا النوع من المسؤوليات على أغلب الدول التي تسعى لتجاوز كل ما هو سائد لصالح البيئة.

ما سيكون من شأنه "أن يعيد للإنسان أخلاقياته منذ فترة طويلة كانت تظهر في شكل سجن ربما تحتاج إلى تضييق المجالات التي بالمناسبة لا تشمل الفرد فقط، لذلك على الدولة أيضا أن تتكفل بالعامة والصورة تأخذها من الشمولية، هو الشعور بالراديكالية لهذه الحالة المتطرفة لكن لكي يعزز الرجل علاقته ومسؤولياته مثل مسؤولية الوالدين المختصة في صالح الدولة خصوصا مسؤولية الدولة الحديثة (الرأسمالية، الاشتراكية) في مقابل المسؤولية الأبوية هي المثال الجيد في الماضي"[2] عليها أن تستمر في حاضرنا ومستقبلنا، رغم ما تشهده الدول العصرية من تطورات في كل ميادين الحياة بهدف حماية المواطن على نطاق آني لأن تطبيقها للمسؤولية كان بالمفهوم الضيق التقليدي البعيد عن الممارسة المستوحاة من مسؤولية الأبوية، التي لم يعيروها اهتماما حتى تكون نموذجا لباقي مسؤوليات المجتمع لتفادي مختلف الأزمات المعاصرة أهمها الأزمة البيئية.

---

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p201.

[2]Ibid,p203.

3/ مسؤولية رجل الدولة :

تتجسد هذه المسؤولية في قمة النموذج الأصلي الأبوي للرعاية بتعبير **يوناس** فيقول: "الواجب الجديد يتجه أكثر فأكثر إلى سياسة العامة منه إلى السلوك الفردي الخاص، ومن هنا يجب أن يكون رجل الدولة قدوة للاستقامة والنزاهة وسمو النفس، أما القول أنها مسؤولية تامة هذا ما يجعلها مقترنة بصورة الشخصية الأبوية، ومسؤولية رجل الدولة تعاقدية لقد تم اختيارها وقبولها لأنها مؤسسة ومشروطة، بذلك فهي قابلة للفسخ أو الإبطال ويجب أن يهتم بكل ما يحدث تحت رعايته أي القرارات في حدود السلطة"[1] ليس لتسيير مصالحه الخاصة بل لخدمة رعاياه الذي هو مسؤول عنهم مثل مسؤولية الأب لطفله، **فيوناس** يرى في رجل الدولة أب الشعب في تحقيق كل ماله نفع للشعب لكن ليصل إلى هذه المرتبة من الوعي الجديد بالسلطة عليه أن يتبنى التزامات جديدة تسهل عليه مهامه كرجل دولة، واعيا بقيود مسؤوليته فلا يمتلك المطلقية مثل الأب بل هو مؤقت في سلطته القابلة للتغيير، لكن ليتجنب ذلك يجب إدراك ومراجعة نمطية تفكير مسؤولية الأب الناجح مع أسرته بإعادة تكييفها على نطاق واسع من قبل مسؤولية رجل الدولة.

ليكتسب "بعدا وقتيا ونوعية أخرى في الاتصال مع المسؤولية والمستقبل متأثرًا بالمسؤولية بأكملها، فيصبح الكائن من جميع الأعمال الفردية مسؤولا عن رعاياه لانتمائه إلى مجال التنبؤ غير المطابق لتوقعاته بسبب العفوية وممارسة الحرية تجاه حياة غير معروفة، فالمسؤولية نفسها لم تعد قادرة على تحمل مسؤولية المسؤولية لذا يجب دعم أفق

[1] زهية العايب: أخلاق البيئة والمسؤولية عند هانس جوناس، الفلسفة الأخلاقية، المرجع السابق، ص459.

المسؤولية التي تحقق مستقبلا ليكون قادرا على اتخاذ تنازله أمام القانون"[1]مثل تنازل الأب عمّا يحتاجه، نظرا لأهمية انشغاله الوحيد بمستقبل أولاده فمسؤوليته لها ازدواجية الحاضر والمستقبل الذي يكون الوالدان قد تنبآ له لفائدة أبنائهم وهي ميزة موجودة في هذا النوع من المسؤولية فقط، فرجل الدولة بمسؤوليته الجديدة يكون مقيدا أيضا بالحاضر والمستقبل لخدمة الأمة وكل ما تحتاجه من ضروريات أهمها مستقبل المحيط البيئي وهنا تكمل وظيفته .

"الموجودة بين المسؤولية الأبوية والمساءلة السياسية واضحة كالوالد لديها لكي يكون الوضع من وضع الطفل بمسؤولية الأبوية، فهذه الهيكلة أرادت أن تقدم من خلال دينامية موافقة لهدف المواد البيولوجية المستقلة والمحددة وبمجرد أن يتم التوصل إليها لا تتبع من جانبها القانوني وفقا لمقاييس نجاحها، وأصبح لنفس الكائن له مسؤوليات سابقة على وجه تحديد المسؤولية غير المندرجة في الأبوة والأمومة كآفاق مستقبلية"[2] المسار، تتحدد تبعا للمسؤولية الأبوية كشرط وليس كمشروط ضمن مهام رجل الدولة في المجال السياسي، لأنها فرضت نفسها من زاوية اهتمامها بالمستقبل دون مقابل وبأقل نتائج سلبية هذا الإسقاط التماثلي الذي قام به **يوناس** هو واقع أكيد يجب تطبيقه في المجال السياسي حتى يفهم الراهن المتأزم ايكولوجيا قبل كل شيء.

"للتحكم في إمكانية المستقبل من جانبه السياسي على عكس مسؤولية الوالدين لفترة محددة وفقا لطبيعة الكائن، لكن أخرى تطغى عليها معرفة النطاق الاستباقي والنتيجة لابد منها بدورها العام على وجه التحديد، ليس فارغا بل بوعي رجل الدولة الذي لديه القانون

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p210.

[2] Ibid ,p211.

في البعد المستقبلي الذي يفيض إلى المجهول بشكل هائل وهي لا تفعل أي شيء لمنعه"[1] بل مسؤوليتها محدودة قاصرة على تنبؤ بالمستقبل الذي أصبح مجهولا ومتوجها نحو الخطر المميت للإنسان والبيئة، ودور المجتمعات السياسية اليوم أن تفهم السبل المخطط لها من قبل مسؤولية رجل الدولة التي من المفروض أن تكون قد تجاوزت فكرة إثبات ذاتية وجود أي حقبة سياسية حتى يشهد عليها التاريخ الإنساني، كلها مظاهر عايشها **يوناس** في عصر نتج عنه صراع البشر ضد البيئة، فحاول تقديم نماذج **(يوناس)** صالحة للمسؤولية السياسية وفق ما حققته المسؤولية الأبوية في اشتراكهم نحو المستقبل الشامل للكون بأسره.

تبقى "السمات التي يعطيها **يوناس** إلى المسؤولية الأبوية تمثل قاسما مشتركا مع المسؤولية السياسية فكما تتسم الأبوية بالكلية والاستمرارية والمستقبل، نجد أن المسؤولية السياسية تتسم أيضا بالكلية حيث أنها تمتد إلى جميع أفراد المجتمع وإن استمرار هذا المجتمع يجعل هذه المسؤولية مستمرة عبر كل الأوقات، لا تسمح المسؤولية السياسية لنفسها أيضا بإجازة كما أن الغرض من المسؤولية أيضا هو التوجه نحو مستقبل أفضل للمجتمع ولأعضائه"[2]، لأنه في حالة تكفل رجل الدولة لمتطلبات مجتمعه يكسب رضا ضميره وأمته وهذا ليس جزءا من مهامه بل هي كل مهامه المطلوبة، ولكي ينجح عليه أن يسخر حياته ووقته للدولة دون أي مقابل لأنه في وظيفة سامية مثل وظيفة الوالدين هدفها حماية الأسرة وهو هدفه حماية الأمة بشكل مطلق في حدود سلطته القانونية الهادفة للخير المستقبلي.

---

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p228.

[2] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة، (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص231 .

فتشبيه **يوناس** "للحاكم بالأب لا يكتفي بالبعد الخاص بالمسؤولية فقط لكنه يضيف البعد الخاص للعاطفة، يرى أن هناك تشابها بين عاطفة حب الأب اتجاه أبنائه وعاطفة الحاكم اتجاه المحكومين على الرغم من أنه ليس الأب لأنه ابن لشعبه ووطنه يفرض نوعا من أنواع الوصاية على الشعب باسم هذا الحب (...) فالأب يتصرف أحيانا ضد رغبات أبنائه لتحقيق ما يزعم أنه يحقق مصلحتهم، ما دام الحاكم مثل الأب فهو يتصرف ضد رغبات المواطن لتحقيق مصالحهم"[1]على الوجه الصحيح، فالشيء المشترك بينهما هو الجانب العاطفي الشعوري النابع عن الوعي الذاتي، عندها تضاف سمة أخرى لمسؤولية **اليوناس** من منطلق حب الأب لأبنائه عفوي وفطري في مقابل رجل الدولة حبه لمجتمعه يكون قد انتقل من المحبة العفوية إلى المحبة المتعمدة، بقياسها على الجانب الروحي والمادي فكلما أحب الحاكم شعبه استطاع أن يقدم لهم دون أية انقطاع حتى وإن كانت منافية لرغباته لأنه أدرى بمصالح الدولة مثل الأب إذن فهي شعور الواعٍ له أهمية كبيرة.

يجب "أن تتصف بها مسؤولية رجل الدولة لأنها طرازية تطرح التساؤل عن حياة الجماعة بنسقها السياسي ولو كان حافزه تذوق السلطة، ليتطلع بها إلى الجماعة ويجهد لصون الهوية في الزمان، وأخيرا فإن عمله يستهدف موضوعا له مستقبل وجود البشرية القادم"[2] كونه مرتبطة بمستقبل هوية الأمم الأخرى النابعة من الأمة الحاضرة، بسلطتها التي يجب أن تكون لها آثار إيجابية لاحقا لأنها تجسد ممارسة لا تفنى أو تزول، فيشترط **يوناس** التفكير البعدي بإتيقا عالمية داخل المسؤولية الجديدة.

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة، (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص ص232-233

[2] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p45.

"يتبناه الرجل فهو مجال الاحتمالات لأن الخير والشر يمكن أن يحدثا ذلك لقيمته ولقدرته على تجاوز الفرص السانحة التي تحدد كينونة الإنسانية، وهذا الاحترام يكون من طرف الرجل لأن الأجيال لها حق الرجال"[1] بمسؤوليتهم التي تحدد المسار الذي يتخذونه كمصدر ثقة لا يرتابه الشك، لأن حكمها غير مقتصر على فئة معينة بل بصفة شاملة لها صدى عالمي مستقبلي، فعليه التفكير فيها أيضا بحكمة مستقبلية مهما كلفه الأمر.

ليؤكد **يوناس** "على وجود مصاهرة حميمية بين المسؤولية الأبوية والسياسية، فكلتا المسؤوليتان تتعاونان في مجالات مشتركة بحيث تكمل إحداهما الأخرى"[2]، لأن المسؤولية بالنسبة لرجل الدولة ليست بالموضوع الجديد يكون قد مارسها أولا مع أسرته أو مورست عليه من قبل والديه كونه جزءا من المجتمع، وتطبيقاته تكون بمدى شعوره وإحساسه بهذا النوع من المسؤولية الأبوية وهنا يكمن سر نجاح سلطته داخل الأمة.

تبقى "الأمثلة الأخلاقية التي تتفق مع الواقع كجزء من عقلانية المسؤولية السياسية للرجل وللمستقبل، تعتمد لتخطيط على الأخلاقيات المبنية على مشروع القلق لصالح المستقبل، فيما يتعلق بالجانب الزمني الذي يعنينا هنا أسر نظرية القديمة"[3] المؤسسة لأخلاق الأنانية وجشع مركزية الإنسان العاقلة، فلا يمكن أن تستفيد منها مسؤولية رجل الدولة بالنسبة **ليوناس**، بل يجب أن تنفصل عن الأفكار السابقة القادمة تحديدا من عصر الثورة الصناعية بتبنيها مبدأ الخوف على المستقبل الإنساني والبيئي في المجال السياسي المستنبط من المسؤولية الأبوية بحكم طبيعة ميدانها الناجحة في أغلب الأحيان.

---

[1] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p45.

[2] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص233 .

[3] Eric pommier, Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p46.

4/ تماثلات المسؤولية الأبوية ورجل الدولة :

تمتد "المسؤولية في عصر التقنية بمثل امتداد قدراتنا في المكان والزمان وأعماق الحياة الإنسانية القادمة الموكل إلينا حمايتها لأنها عرضة للفناء حقا، ففكرة المسؤولية تمضي أمام الطفرات الهائلة التي تصيب الفعل الإنساني في عصر التقنيات، هكذا تظهر فكرة جديدة عن المسؤولية بوصفها حفاظا على الحياة المستقبلية البعيدة غاية البعد ومبدأ المسؤولية سيفرغ من جوهره الأخلاقي النظري وسيقابله عهد ما وراء الواجب"[1] المفارق للواجب الأنواري، الذي لم يعد يواكب ظروف العصر فلا بد من تجاوزه داخل المسؤولية بمفهومها الجديد لأنه عصر التقدم التكنولوجي، والسرعة غير المحدودة فرضت تغيير المسؤولية في ظل هذه التحولات والتجاوزات المفارقة للأخلاق الكلاسيكية ولواجب المسؤولية الآنية، كي لا يذهب مستقبل البشر نحو الهاوية فهُم اليوم في دوامة من الصراع بين التخلي عن التقنية والحفاظ على المستقبل القادم.

تحت حماية مسؤولية **يوناس** "الموجه كمسؤولية أخلاقية وكمبدأ في الحياة لوجود أجيال قادمة ويبدو أنها تطلبت منه مسؤولية من نوع جديد للمرة الأولى، فلا يرى الرجل مسؤولا عن الإنسانية كمجرد قيمة مثالية، بل كفكرة الواجب للحفاظ على الإنسانية في وجودها وكرامتها اتجاه خطر الانتحار الإنسانية، من ضمن ذلك أن تكون الدعوة من أجل استمرار البشرية فنفهم على أنها إنجاز النهائي الوجودي في الحياة"[2] المتغيرة، إذن لابد من تغير المسؤولية نحو الشمولية والوجود بأخلاقيات تطبيقية، تتفق مع مسؤولية العلم والبيئة لأنها تغيرات فرضها واقعنا الصعب نتيجة الخوف والقلق من المستقبل الذي تجرد

[1] جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص41 .

[2] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit, p26.

عن جانبه الاتيقي المسؤول، فكان ينبغي ممارسة السلطة القانونية النابعة من مسؤولية رجل الدولة والأبوية بتعبير **يوناس** لأنها أدركت مبدأ الشعور بالخوف من الخطر القادم.

بتحملنا "مسؤولية الأجيال القادمة عن طريق الاعتماد على مفارقة الأخلاق والحياة كما قررها **يوناس** لوضع اليد باليد، من خلال الحركة التناظرية بين اثنين من النماذج البارزة من المسؤولية الأم والطفل والدولة التي تواجه ناخبيها، ما يستدعي النموذجين ضد التهديد الذي تمثله تكنولوجية الإنسان للإنسان"[1]، والمقصود به نموذج مسؤولية الأبوية ورجل الدولة اتجاه البيئة باستدراك أفعالنا الحاضرة لإصلاح ما أمكن إصلاحه من مخلفات التقنية، فأضحت سلطة المعرفة فوق أي اعتبار ولا يمكننا أن نتمادى أكثر في هذا التوجه الضار للبيئة وبالمستقبل، إلا في حالة التدخل النافع والملخص في مسؤولية رجل الدولة التي لها خاصية التدبير والتعميم لردع كل ما هو غير أخلاقي.

البعيد عن "مبدأ المسؤولية الذي يبدو على أنه عين روح الثقافة ما بعد الأخلاقية فإذا امتنع فصل نداءات المسؤولية عند تقديم فكرة الإلزام الأخلاقي، فكانت سمة هذه النداءات المميزة هي أنها تدعو في أي مكان إلى تضحية بالذات، لأن أخلاقنا النظرية عن المسؤولية هي أخلاق نظرية معقولة لا يعمرها جهد مصالحة القيم والمصالح (...) ومبدأ المسؤولية عبء على نوع من الذرائعية"[2] لرفضها فكرة التضحية بالذات والمركزية البشرية لتأسيس أخلاقيات البيئة بنموذج المسؤولية الجديدة، حتى يتمتع بني جنسنا بالاستقرار داخل فضاء بيئي صحي وفي نفس الوقت تحافظ البيئة على عناصرها الأساسية.

---

[1] Eric pommier, **Hans jonas**, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p27.

[2] جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص41.

لذلك رسم **يوناس** نموذج المسؤولية المعاصرة :"إنها تتناول المستقبل الأبعد للإنسانية وهي تمتد خلفنا بعيدا جدا عنا، باعتبارها تدل في آخر المطاف على مهمة في مستقبل لا محدود مادام الوجود أفضل بما لا نهاية له من اللاوجود، فإن من واجبنا صيانة هذه الإنسانية داخل الوجود ذاته"[1]، لأن مبدأ الحياة هو ضرورة إنسانية بالنسبة لكل البشر منذ الخلق الأول بتوفير كل ما يسير حياتهم داخل الوجود ويجعلهم يستمرون فيها، لذا فالجيل القادم له الحق في هذا الوجود أيضا فمن اللاعدل أن نسلبهم هذا الحق ليجد نفسه في موقف اللاوجود الذي لا علاقة لهم فيه، والمطلوب منا تحمل مسؤولية أفعالنا بأي نوع من المسؤوليات وبخاصة التي أكد عليها **يوناس** لأنها تعطي الأمل وتجدد مسؤولية رجل الدولة.

"المقتبسة من واجبه بالالتزام دوم استسلام للخصم (مركزية البشرية) والتجريد من إنسانية الإنسان نفسه بتقصير جوهرها، لأن هناك تعارضا مع صورة البيئة وحمايتها من خلال ممارسة الكرامة باعتبارها من الطبيعة البشرية، فنحن بحاجة إلى فكرة الإخلاص المتعلقة بالحياة بكاملها"[2] متجسدة في جوهر المسؤولية **يوناس** بتبنيها إتيقا جديدة تضمن مستقبلا بيئيا من خلال الشعور بالخوف والقلق، وأنواع المسؤولية **يوناس** تم إسقاطها على الممارسات الباحث الأكاديمي والأعمال الطبية لصالح البيئة لما نتج عنها من إيجابيات أخلاقية تعبر فعلا على السمة الحقيقية للبشر وعلى الوفاق الطبيعي.

[1] جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص84.

[2] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p262

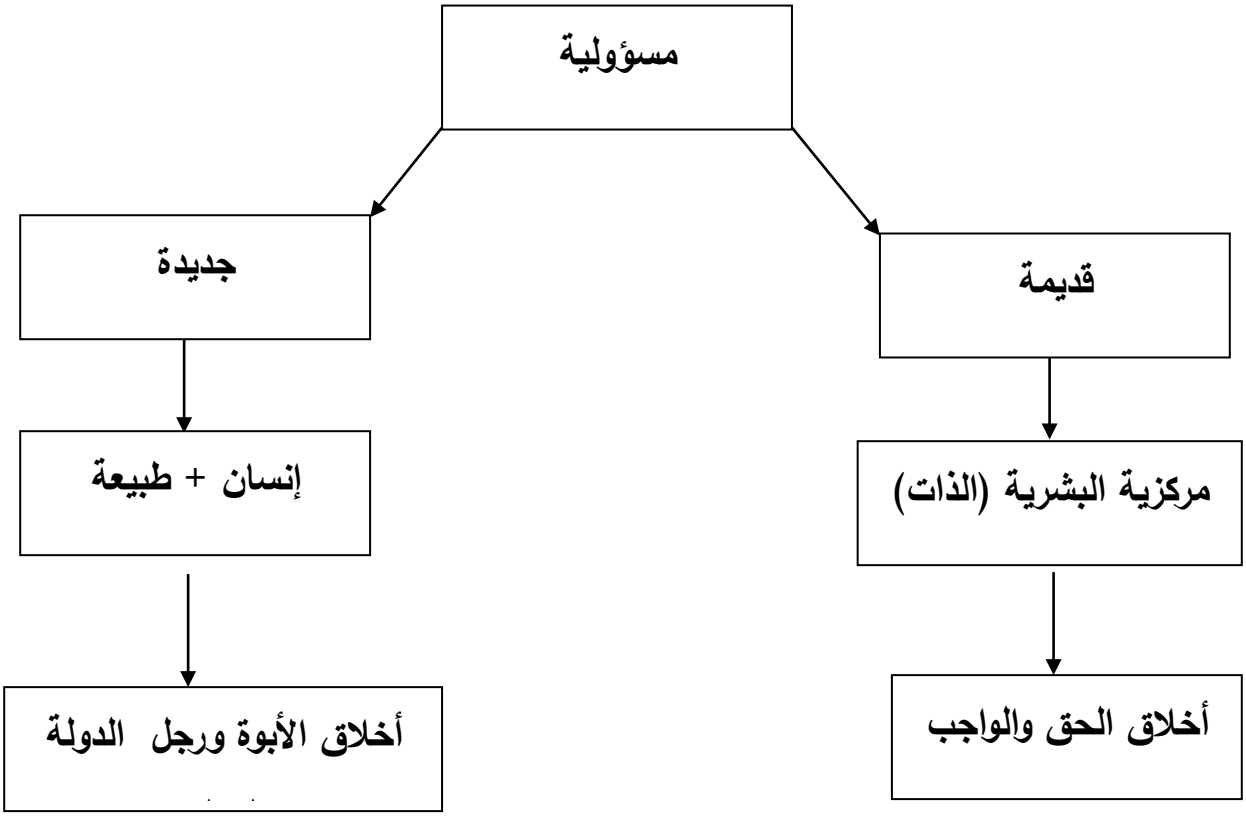

مسؤولية البيئة المستقبلية

الشكل10

يقدم هذا المخطط نماذج المسؤولية الجديدة التي أسسها **يوناس** في مبدأ المسؤولية اتجاه البيئة، حيث عقد مقارنة بين الطرح الكلاسيكي للمسؤولية والطرح المعاصر بغرض الحفاظ على الحياة بصفة عامة، فالتفكير الأول يكون للبيئة وليس الإنسان.

المبحث الثالث:

مسؤولية الطبيب والباحث الأكاديمي

1/ مسؤولية الباحث داخل العلم والبيئة :

وجب على الإنسان اليوم حصر أفعاله داخل إطار إتيقي منظم ليتجنب المفارقة بين العلم، البيئة، الحياة متجردا من العادات والسلوكات الضارة بنظام الحياة حاضرا ومستقبلا، ما استدعى حضور بحث فلسفي من قبل **يوناس** مبسطا فيه حلولا نسبية بأنموذج المسؤولية ليقيد الفعل البشري، وهنا تحديدا يقصد به ممارسة الباحث والطبيب في سياقها الإتيقي والقانوني، فهل ركز **يوناس** على المسؤولية الذاتية الخاصة بالضمير الباحث والطبيب أم الخاصة بسلطة القانون أكثر؟

"نتساءل دائما: هل الباحث يتحمل مسؤولية بحثه ؟وهل يمكن أن يكون مذنبا بسبب بحثه؟ قد بدأت هذه الأسئلة لاحقا من خلال تعذيب الضمير،فسابقا كان الباحثون لا يتمتعون بوعي أفضل أي ما الغرض من شرعية البحث إن لم يكن على وجه التحديد في صالح البيئة مثل انعكاس المعرفة النووية ومساهمتها في صنع القنبلة النووية، فيمتد هذا الاضطراب إلى فروع أخرى من العلم لعدم تقيده بالمسؤولية التي اخترقت بحوث محمية والفيلسوف، فهنا نشارك في هذه المناقشات للمسؤولية"[1] التي أصبحت جزءا هاما لا ينفصل عن أي موضوع أو بحث علمي معاصر، كقانون مشترط لكل باحث أكاديمي التقيد بهذا النوع من المسؤولية الأكاديمية، حتى تكون هناك مصداقية لأي عمل معرفي هدفه المحافظة على حياة الإنسان وكل ما يحيط به بإنتاج عمل اتيقي داخل البحث المعرفي.

لكن يمكن للمرء أن يتساءل: "عمّا إذا العلم والقيم أمكن أن أتكون مستقلة إذا كانت تسبب تدخلا بالفعل المتبادل في معرفة الشيء، مثل الالتزام بالمسؤولية فهي حالة خاصة

[1] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**,trad,ericpommier,les éditions du cerf,paris,2012,p33.

في البحوث وفقا لقواعد صالحة داخل العلوم التي لم تلتزم بالمسؤوليات اتجاه الصورة الجيدة، فالعلم الناجح والفعال الذي يهتم بالحقيقة وتأثيراتها على العالم في نتائج البحث وتطبيقاتها على الطبيعة، مثل علم الكونيات والفيزياء الفلكية اللذين يهتمان بنسيج الكون في ماضيه وحاضره ومستقبله"[1] لأن العلوم لا يمكن الفصل بينها، فكل علم مكمل للآخر من حيث النتائج بشقيها مدام هناك تناسق معرفي في مجالات وتخصصات كانت سابقا منفصلة عن بعضها، إلا أن الواقع المعاصر فرض أكثر هذا التجانس الهادف فكان لابد من فرض مجموعة من الضوابط المقننة لتنظيمه تشمل ذاتية الباحث في مجال الأخلاقيات الجديدة والبيوتيقا المعاصرة، لكن باعتمادها هي الأخرى على أسس نبَّه لها الفلاسفة مناقضة للقوانين السابقة داخل هذا المجال المتغير، لذلك عندما قلنا أن **يوناس** أكد على مبدأ المسؤولية الجديدة الباحثة في ضمير الفرد وفي النزاهة والفساد الأخلاقي وحتى الاختلاف العقائدي لصالح البيئة والإنسان المستقبلي.

"بالانتقاء الطبيعي لأخلاقيات البحوث والسيطرة عليها بمنطق تكييف ولا نضع المعايير بل الضمير بحرية وسعي للتوافق للحد من العمل العلمي، لأننا علينا البقاء على قيد الحياة داخل البيئة في مقابل الوجود غير المبالي للقيم، فيجب التعامل بموضوعية اتجاه البيئة لأن العلماء ينفون أية مسؤولية اتجاه الطفل بسبب البيئة في مقابل أن تطالب باحترام، وذكر **يوناس** أنه يجب تعويد أنفسنا عن كيفية اهتمام بوجودنا"[2] الذي انجر عنه خوف **يوناس** على الإنسان القادم والأكثر منه على البيئة التي أصبحت غير قادرة على الاستمرار كما سبق ذكر ذلك، موجها **يوناس** مسؤوليته المعاصرة في مختلف ميادين

[1] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,p34.

[2] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit, p69.

السياسة بمسؤولية رجل الدولة والعلمية مسؤولية الباحث الذاتية واليومية مسؤولية الأبوية التي يمارسها البشر، حتى نستطيع التعايش مع كل ما هو سلبي نتج عن أي تطور تكنولوجي جرد الإنسان من طابعه الأخلاقي المتمثل اليوم في الإتيقا، فالمسؤولية المطلوبة هي المسؤولية الذاتية اتجاه الموضوع البيئي حاضرا ومستقبلا وليست الذاتية المتسلطة على محيطنا الطبيعي.

"لأن الهدف العلمي يهيمن على علم الأحياء منذ البداية خاصة في نشاط البحث اليومي خصوصا البحوث الصناعية تصبح أبحاثها أهداف الباحث فقط والحفاظ على سرية النتائج السلبية، لذلك يجب حضور المسؤولية كجزء من تعزيز الحياة لتفادي هذه العمليات السلبية بشكل كبير لأنه يسمح لنفسه تحمل مسؤولية النتائج الجيدة فقط، ويبقى علينا التخلي عن التكنولوجيا ونشوئها لكننا لا نستطيع التخلي عنها لضرورات الحياة وبالتالي هناك ازدواجية فيجب حضور المسؤولية"[1] الوجدانية أولا والمقننة ثانيا، كي يتجرد الباحث عن أنانية إثبات الذات بأي ثمن لكل عمل معرفي بترويج العمل البحثي بكل ما يقدمه من إيجابيات دون التصريح بسلبيات أو الآثار المحتملة لأي نشاط علمي، لعدم تجاوز العلماء الذاتية المؤسس لها منذ العصر الأول لغاية العصر الحديث، فجل الأزمات المعاصرة انطلق موضوعها لإثبات الذات المقترنة بالمعرفة التي نبه إليها **يوناس** في فلسفة المسؤولية الجديدة الموجه للباحث قبل أي شيء.

"بتوفير المسؤولية اتجاه عمل التقنية بشكل إتيقي تحت بحثه لأنها خالية من القيم ولاشك فيه أن العالم لديه التزام اتجاه الحقيقة فنيته هي معرفة ما هو الشيء، كل هذا يندرج تحت روح الباحث ولا ينبغي تزوير مسار النتائج لصالح الفرضية لنصل إلى البعد

[1] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,p35.

العلمي ضمن نشاط كان سابقا نظريا، حيث إنه عمل اتجاه البيئة من خلال تناقض التكنولوجيا بين سلطة الخير والشر وفقا لاستخداماتها، ما يجعل من دقة الباحث احترام مسؤوليته"[1] منذ انطلاقه من اللحظة الأولى في بحثه فيجب فهم نيته الواضحة أولا بالنسبة له، حيث تكون لغرض موضوعي هادف بعيد عن أي خلفيات أو أنها نية من أجل إثبات مصداقية البحث تكون غايته بعيدة عن الموضوعية، بل هي الالتزام بالواجب العلمي لخدمة المستقبل بصفة عامة بالتركيز على أهمية جانبه النظري الاتيقي الذي يؤسس لاحقا للجانب التطبيقي المجسد على أرض الواقع .

"فيكون بتحمل مسؤولية الباحث عواقب تصرفه التي تنطوي في المقام الأول على المسؤولية لأنه لم يعد ذلك الباحث المعزول في غرفة دراسته أو في مختبره، لكن الفرد جزء من البحث والعمل بصفة جماعية من طرف لجان اختيار المشاريع البحثية، المتنبأ بعواقبها لإجازتها أو منعها لأن البحث هو جملة من القرارات خارج المجتمع العلمي والاهتمام بالإنسانية ومستقبلها، ثم يجب على المرء أن ينظر إلى الحقيقة مثل اللجان لأنها تحولت إلى ساحة حرب على المدى القصير لمصالح خاصة"[2] تتجاوز الباحث إذا كان يمارس بحثه وهو تحت سلطة اللجان التي لم يستفد منها كثيرا، فتعتبر أمرا غير كافٍ للمراقبة العلمية لأن كل تقرير يقدم لهذه اللجان لا يمثل مسؤولية الباحث كونها قابلة لتغيير قراراتها لهدف شخصي يخدم مصالحهم الذاتية، لكن **يوناس** يؤكد على المسؤولية الشخصية للباحث دون الحاجة للتقيد بأية لجنة أو سلطة قانونية فالمنطلق هو الأساس الاتيقي للعمل، من خلال قلق الباحث على مجتمعه وعالمه بالدرجة الأولى بالرغم من كل الصعوبات.

[1] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p65.

[2] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,p36.

"أهمها الصعوبة العملية للموضوع ولمسؤولية البحوث فيمكن أن تثبت حسن النية بإثارة وتسريع مسألة العلم والمسؤولية والوعي الضروري، لهذا الغرض في الواقع قد بدأ بالفعل بين الباحثين في قضية الضمير التي تم ذكرها فهم أنفسهم انتقدوا طريقة العلم في حد ذاته، لأن له اثنين من القناعات تحتاج إلى مراجعة اللامبالاة بالقيم في العلم، والثاني في الحرية المطلقة للبحث فيجب أن يتبنى مهنة الايمان من خلال مناقشة مفهوم العلم والمسؤولية"[1] المستعصي تطبيقها على الميدان العلمي حاليا، لأن الحرية المنطلق منها أي باحث جعلت منه إنسانا ضارا لنفسه ولغيره وللمستقبل فكل ما اخترع واكتشف من طرف التكنولوجيا أصبح تدميرا أكثر منه خدمة للمصالح، لأنه في اعتقاد الباحث والدولة له كل الصلاحيات داخل أي بحث في سبيل التطور، لتتواصل الوتيرة بين العلماء لدرجة الدقة ولم يقدم باحثون سابقا تصريحا ما قد ينتج عن العمل المقدم إلا عند الفئة الأقلية مثل **أنشتاين** الذي صرح عن الآثار الضارة للقنبلة النووية إذا استعملت على نطاقها الواسع في المثال السابق.

يضيف **يوناس** "أن الخطر لم يتوقف عند الانبعاثات الايجابية التي كانت مطلوبة لكن الصحوة اليوم تسمح للتقنيات الحد منها من خلال الخوف اتجاه بعض التوقعات التقنية نتيجة آثارها الضارة، **فيوناس** يستحضر أن استخدام انبعاثات ملتزمة من عمل العلماء التي من شأنها السيطرة على قوة العلم اتجاه المجتمع المدني الذي من المستحيل أن يقاوم سباق التقدم الحاصل على الساحة العالمية، والامتناع عن الأسلوب الذي يسمح بالمراجعة والابتعاد عن قضية المصالح على المدى القصير"[2] كل هذا يمكن استدراكه وفق **يوناس** بتدخل العمل التجريدي (الفلسفة) داخل العلم التجريبي، لأن الفلسفة تحاول

[1] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,p37.

[2] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p66.

إيقاظ الذات الشاعرة للعالِم ليس بتطبيق السلطة المدنية الرادعة بل بحضور الضمير وأيضا لا تنفي التقدم المقيد، لكنها تؤكد على ضمان سبل استمرار الحياة على المدى الطويل بتغيير المسار السلبي للعلم، لأن الفيلسوف ينبه العالِم لما تجاهله ليس لإعاقة المعرفة بل لتنبيه ما فاته بحكم طبيعة مجاله التي غاب عنها جانبها الميتافيزيقي والاتيقي كونه فردا من العالم والبيئة الطبيعية لذلك عليه فهم نوع مسؤوليته النافعة.

"فأكدوا على المسؤولية اتجاه البيئة بسبب استخدام المعرفة المحايدة في كل ما هو محايد للقيم، الواجب، العقيدة، فهي تعارض السلوك اتجاه الطبيعة ويشمل هذا الأخير واجب سلامة الإنسان في المستقبل وبالتالي المسؤولية اتجاهه، فيجب على الإنسان أن لا يتعامل بتهور من خلال الواجب، وتكمل فائدة التفكير الملموس في خطة العلوم والمطلوب الموضوعية وليس الذاتية"[1] الضارة الناتجة عن الإنسان الكلاسيكي والمعاصر لأن **يوناس** يعطي بفلسفته أملا للخروج من قوقعة الخوف اليائس إلى القلق، الذي يعطي أملا داخل عمل الباحث الموجه بالواجب المبني على القيم والعقيدة التي جمعها **يوناس** في المسؤولية الجديدة، وليست القانونية فقط بل مسؤولية الضمير الصادقة المترفعة عن الذات البشرية كشرط للباحث.

فنظرا **يوناس** "إلى المسار الآخر الذي يقصد به الفيلسوف اتجاه العلماء داخل المجتمع المسؤول عن فرصة الرقابة الذاتية، لأن المسؤولية من جهد الفيلسوف باستناده إلى مسؤولية الخوف المنعكسة على نشاط الباحث، لكن **يوناس** أكد أنه قبل أي بحث يجب جلب الوعي فالعالِم يمكن تصور ضميره الأخلاقي والعمل أكثر بمسؤولية وهو افتراض مزدوج من خلال اللامبالاة بالقيم والحرية المطلقة للبحوث، بل يجب توفر النزاهة

[1] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,p42.

كسعي علمي لأنها شرف في ارتباطها بالقيم فهي حقيقية"[1] لا ينبغي أن تكون نسبية بل يجب تفعيلها لتكون مطلقة وتمارس بشكل عفوي ومباشرة، دون الحاجة لمراقبة الدولة والمجتمع العلمي بل تكون تحت مراقبة سلطة الضمير الإنساني، الذي هو خاصية بشرية لا غير وإن لم يحضر فلا توجد أية سلطة أخرى تقوم مقام الضمير، لتوفير النزاهة الأكاديمية حتى يستطيع الباحث مواصلة مشوار بحثه، الذي يكون أيضا مقترنا بالنية النافعة وليست الضارة ليكَون معرفة راقية وصالحة للإنسان المستقبلي وبيئته.

"كضرورة لابد منها في حد ذاتها لأن العلم مستمد من جعل المعرفة هي النموذج الأرقى للعلم الواضح والمدروس، إلا أن هذه الحقيقة غير مقننة اتجاه البيئة ومع ذلك يجب الخروج من ظاهرة شعور البشر بالمصلحة والرغبة، وأن يكون شرف الذاتية حاضرا فيجب الوقوف ضد هذا النوع من أجل مبدأ بسيط هو الاستمرارية (...) بتغيير طريقة الباحث الذي هو أداة لغرض محدد"[2] نفعي لا يترك أثرا ضارا، فينبغي عليه تفادي مسار الباحثين السابقين الذين كانوا متشبعين بالأفكار الفلسفية والعلمية الحديثة جعلت السلطة والمركزية البشرية فوق أي اعتبار، دون التفات إلى البيئة الجامدة وهذه الصفة لازمت البيئة على أنها غير حية يمكن استغلالها فهي ملك للبشر لا غير، لذلك **يوناس** كان نقده لاذعا للفترة الحديثة التي أدت بالبشرية إلى الانتحار السريع فغرض أي بحث هو تقديم حلول لمشاكل معينة، لكن الجشع البشري جعله يتجاوز الضروريات والأمر المهم أنها قتلت البيئة لأن الباحث الأكاديمي غير مقيد بمسؤولية الضمير والأخلاقيات الموجهة نحو الآخر غير حي.

---

[1] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p67.

[2] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,pp40-41.

"بابتعاده عن الموضوعية الموسعة في صورتها المفتوحة لقيمة الأشياء فيجب التخلي عنها بسبب الدعوة إلى عدم الاكتراث للقيم التي اتخذت عمليا أمرا مفروغا منه في علم الأصوات الطبيعية، وفي مجال العلوم الاجتماعية عن طريق **ماكس فيبر** لأنه ينفي أن البيئة هي مكان للقيم (...) فالقيم هي شريان الحياة للكائن وأنها تنسب في التحيز للباحث ضمن قيمة اللامبالاة المنهجية، فينبغي وقف هذه القيم وقمعها في اسم الموضوعية وأكثر اعتدالا من الحيادية"[1] سواء طبق الأمر أو لم يطبق بالشكل المطلوب لحماية حياتنا وكوكبنا، فإنه في نهاية المطاف سيجد الإنسان نفسه مجبرا على ضرورة تجسيده، لكن المشكلة حسب **يوناس** أن الإنسان المجبر هو الإنسان المستقبلي بالدرجة الأولى، ما يشترط على الباحث الآني الخروج من الأنانية والاعتماد على الموضوعية لأن البيئة والأجيال اللاحقة جزءٌ من حياتنا، فمن غير الحقّ أن يتحمل غيرنا عيوبنا وأخطاءنا.

ليفرض **يوناس** "أن البيئة قادرة على الانفتاح على العالم فهي ليست مادية فقط لكن هناك من يقابلها من الرجال وهو الكائن المتعطش للمعرفة من خلال حيويته مثل أي كائن حي لأن لديه الحرية في امتلاكه للوعي، وهنا الرجل يكون أكثر قيمة من البيئة والذي يفرض واجب الوجود والمسؤولية عن حياة الطفل، فالإنسان اعترف بالواجب على المستوى الوجودي لتفويض شرعية النشاط العلمي حيث أن جميع البحوث تحتوي على اقتحام عالم الطبيعة"[2] البعيد عن مبدأ حق الحفاظ عليها، فقلق **يوناس** كبير رغم بحثه في المسؤولية الجديدة لكنها لم تعمم بالممارسة داخل المجتمعات العالمية، إلا عند فئة معينة فيكون محتملا عدم نجاح هذه المبادئ وعدم استقبالها، عندها يزداد عجز البيئة لصعوبة فهمها كحقيقة معاشة فالتمادي ضدها لازال قائما لأن الباحث مصدر علمه البيئة.

---

[1] Hans jonas ,**l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,pp43-44.

[2] Eric pommier,**Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p70.

"ما يزيد قلق الفيلسوف للتخفيف من حماس البحث ولكن للفت الانتباه إلى شرعية تهدف لاستمرار العلوم بأخذ الاعتبار بالواجب لضرورة الحفاظ على البيئة، إلا أن الحاجة الواقعية للبيئة هو الحد من قوة التكنولوجيا المتدفقة بفعل العلماء داخل الطبيعة بتحييد القيم الموجودة فيها، فالتكنولوجيا كان لها لعبة تشجيع على صعود العالم والمطلوب ليس وقف البحث بل إعادة توجيهه بمنظور طويل الأمد، من وجهة نظر أخلاقيات عالمية باعتبارها حتمية مسؤولية"[1] غير منحصرة على فئة معينة من العالم، فكما قلنا أن كل مجال في العلم يكمل الآخر فإن البيئة أيضا مكوناتها تكمل بعضها وفي حالة لحق الضرر بأحدها سوف ينتقل إلى باقي أجزائها، لأنها تمتاز بالتنوع والوحدة فإذا ما تسبب الباحث بإيذاء البيئة عندها يؤدي كل البشرية، لذا **يوناس** لم يتنازل عن تبني فكرة توجيه نتائج البحث العلمي على المدى الطويل بمحاولة التجرد من التكنولوجيا المعاصرة.

"عن طريق فرض على العالم الشعور بالقيم ونماذجها وهو فعل أخلاقي ضد الظلم كمجال مشترك على الباحث في العلوم الإنسانية، ثم إنّ تحقيقنا يترك في العلوم الطبيعية كأساس لعدم التحيز عن طريق طرح سؤال حرية البحث وحاضره، لعدم الاكتراث بجوانب القيم التي تتيح الحرية الكاملة في السيطرة على العلم (...) لتبقى المشكلة الأخلاقية تتعارض ليس فقط عن طريق إجراء البحوث الحديثة، ولكن حتى من قبل نتائجه اللاحقة"[2] قاصدا **يوناس** هنا النتائج السلبية المعاصرة كما وضحنا، فإن كان المنطلق المعروف للعلم أنه يبحث عن النور رافضا للجهل، فكيف وجد نفسه في ظلام الجشع المعرفي ؟ والمقصود بالعلم تطبيقاته غير الأخلاقية لغياب ضمير العالِم، الناتج عن البعده للميتافيزيقيا وانعدام هذه السمات في أي بحث بمثابة قتل للعلم والبيئة، فمدام

[1] Eric pommier: **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p72.

[2] Hans jonas: **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,pp45-46.

الإنسان تقبل فكرة الواجب لصالحه سابقا، عليه تقبل فكرة المسؤولية اتجاه البيئة بتحميل الباحث مسؤولية أعماله العلمية بتفكير اتيقي في كل ما يوافق المستقبل بجميع أبعاده.

"انطلاقا من فرضية أن العلم مسؤول عن الفوائد باعتبارها جزء من المسؤولية حيث يمكننا القول على حد تعبير **يوناس** يجب حضور نوع من الحصانة الأخلاقية للعلم لتحقيق المعارف النظرية بالإضافة إلى المسؤولية السياسة لتحليل المخاطر، لأن الحدود بين العلم وتطبيقاته مكسورة، وفق **يوناس** لم يوجد بعد من يتحدث عن ممارسة الحرية داخل البحث بمخاطرها، لأن العالم مسؤول عن اكتشافاته"[1] فواجبٌ عليه ضبطها وتقنينها لكن ناهيك عن التمنيات لا تتحقق إلا عند شعور الإنسان بالموت الحتمي، في مقابل حلم الحياة الذي لا غنى عنه لكن للأسف أصبح هذا الحلم كارثة تستدرك في حالة الحد من التطور غير المسؤول، ورغم ذلك يجد الإنسان اليوم صعوبة كبيرة في تقليل منه وليس التخلي عنه لعدم التقيد بالمسؤولية الأكاديمية منذ البداية.

"فأصبح العالم مختبرا من الانفجارات الاقتصادية المؤثرة على البيئة، هكذا يتضح من التحليلات أن الممارسات الميدانية للبحث وتدخله في الواقع الخارجي نتج عنها أثار سلبية على العالم، كما يأتي في نهاية الحرية غير محدودة الورشة التي قتلت فيها المسألة النظرية والوضع الفني، فيجب تدخل معايير تفصل في الأمر بمثابة قوة جديدة تقيد البحوث وتوضح شرها"[2]، نظرا لتجاوز البحوث المكونات الجامدة لتنتقل إلى استغلال الكائنات الحية تشمل الإنسان بتطوره العلمي والتقني الذي أنتج تناقضا، لكن إذا بقي الإنسان يفكر على هذا النحو كما أكد **يوناس** لا يستطيع إنقاذ ما تبقى داخل الكون فعلينا ردع أساليب الباحث الممارسة كونه المشترك الأول في ظلم البيئة والمستقبل.

[1] Eric pommier: **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p73.

[2] Ibid,p74.

لذلك لم "يكن قادر **يوناس** على إظهار الحرية للعالم من خلال حتمية التقنية لأن الباحث له شعوره بالمسؤولية المقيدة لحرية البحوث التي تنشأ أكثر بشكل خاص في حالة التجريب على البشر، وهي قضية جديدة يجب أن تعالج إذ كنا نريد توضيح القضايا الأخلاقية المرتبطة بالبحث العلمي"[1]، فتكون مسؤولية الباحث حسب **يوناس** مبنية على نقاط جوهرية الخاصة بالإنسان الذي يسعى لتطبيق المعرفة الحقيقية، فأول شرط فيها هو التمتع بالنزاهة والضمير الذاتي وبالواجب والقيم والعقيدة، وكلها مفاهيم تعالج في مجال العلوم الإنسانية من قبل الفلسفة التطبيقية والفلاسفة لأن لهم دورا إيجابي، وهذا أكبر همٍّ ألقى به **يوناس** على عاتق كل فيلسوف معاصر من منطلق أن الإنسان ذو قيمة، لكن البيئة أكبر القيم فيجب الحد من أعمال الباحث خصوصا في جانبها الطبي من استنساخ وتلاعب في الجينات الوراثية.

<table>
<tr><th colspan="5">مسؤولية الباحث</th></tr>
<tr><th colspan="3">الذات</th><th colspan="2">الموضوع</th></tr>
<tr><td>النزاهة</td><td>الشرف</td><td>الضمير</td><td>القيم الجديدة</td><td>العقيدة</td></tr>
<tr><td colspan="5">استمرار الإنسان المستقبلي+ استمرار العلم والبيئة معا</td></tr>
</table>

يوضح الجدول التالي أهمية مسؤولية الباحث اتجاه البيئة وتأثيرها على المستقبل

[1]Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p75.

2/ مسؤولية الرجل داخل المجال الطبي :

وجدنا مهنة الطب تعرف "أنها ممارسة فنية مؤسسة تتمتع بموقف فوري للحاجة الطبيعية التي هي الحالة الأقرب إلى الواقع فالغرض منها مهم وفريد من نوعه من خلال خصوصيته أولا، فالممارسة الطبية الهدفها النهائي المتمثل في تنظيم حياة الإنسان"[1] لأن مهنة الطب من أرقى وأسمى المهن الأخرى بتعاملها مع الإنسان مباشرة، ما يجعلها أكثر مسؤولية من طرف الطبيب اتجاه المريض الذي يعتبر أمانة في يده فيتطلب منه الحكمة في صنع القرارات المتعلقة بمرضاه، وهذه المسألة ليست قضية بسيطة مثل التعامل مع المكونات الجامدة من قبل علماء الفيزياء بل تعد قضية حياة أو موت، استمرار أو انقطاع إذْ المجاله يتطلب جملة من الضوابط الاتيقية والأكاديمية القانونية، وحضور ضمير بجانبه الديني ليتحدد مسار الطبيب ومسؤوليته.

"بتزايد تقدم العلم والتكنولوجيا السريع داخل الطب الحيوي كمكان خاص عكس العلوم الأخرى التي تميل لضمان السيطرة البيئية بتطبيقها مباشرة على البشر مستخدمة تقنيات الطب الحيوي لأهداف لا علاجية بل لتلاعب بالإنسان، لذلك لابد من تحديدها في حدود مقبولة وأخرى غير مقبولة تدعي حق السعادة، فما كان يبدو تقدما هائلا أصبح تهديدا لحقوق وحريات الأفراد تستدعي ظهور أخلاقيات علم الأحياء ضد سلطة التقنية والعلمية"[2]، المدروسة من قبل البيوتيقا الطبية عند **يوناس** تمثل سلطة المسؤولية داخل الطب والبيولوجيا لاقترانها بوسائل التكنولوجيا المقدمة في البداية، كدعوة لمساعدة الإنسان لتجاوز مخاوفه الصحية فالحاجة تؤدي بالمريض إلى الاستعانة بمثل هذه الوسائل التي يقررها الطبيب بمسؤولية هادفا لعلاج المرض لا للتجريب.

---

[1] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,p47.

[2] Jacqueline dalgo depoorte,**lutilité des comités d'éthique** rev.trum,dr,h(54/2003).p549.

"طبقا لخبرته لأنها خاصية أساسية من الفن الطبي تكمن في أن حقيقة الطبيب كل مرة يتعامل بشكل علاقة مع المريض لأنه يحتاج إلى الاعتماد على حقيقة تأمين العلاج الكائن الحي كجزء من الطبيعة، فعلينا تحديد هدف الفن الطبي لجعل حياة البشر ممكنة فالجسم البشري يحتاج إلى مساعدة بموضوعية معتمدة على التقنية مثل جراحة المريض (...) فلا ينبغي أن تكون قيمة الشخص هي معيار حاسم لجهد الطبيب"[1] لأن للمريض جملة من الحقوق يجب أن يوافق عليها أولا، ثم تطبق عليه لأنها ممارسة اتجاه جسده فمسؤولية الطبيب تكون حتمية على مدى موافقة، ورضى المريض لتبقى المهمة الأولى للطبيب هي تشخيص الحالة بطريقة يقينية لفهم كيفية العلاج الذي لا يكون دائما في حاجة إلى الاستعانة بالتقنية، إلا في حالات الضرورة التي يضطر فيها الطبيب للحفاظ على حياة المريض باعتباره جزءًا من الطبيعة، فتبني مبدأ المسؤولية كموقف قانوني وأخلاقي ضروري يساعد الطبيب في مهنته الإنسانية حتى يتجنب خطأ.

"التجريب على البشر المختلف عن العلوم الفيزيائية التي يمكن إجراء البحوث على عينات تكون بمثابة نماذج قابلة لتعميم نتائجها، وعلى الرجل التحقق من فعالية العلاج لتحسين مصداقية البحث مؤكدا **يوناس** على موضوع التأملات الفلسفية، حول التجارب على البشر منظرا إليه في مجال أخلاقيات مهنة الطب"[2] فيما يتعلق بمبدأ التعميم كمصداقية للتجريب البشري النسبي باختلافه من شخص إلى آخر حسب طبيعة البنية الجسدية للمريض، وعلى الطبيب أن لا ينطلق من الأحكام المسبقة دائما في تشخيص المرض كي يستطيع فهم الوسيلة المستند عليها بعدما أصبح الطب اليوم طب التكنولوجيا والتي فعلا ساعدت الإنسان إلى حد كبير، لكنها انقلبت عليه سلبا بالزيادة المفرطة

[1] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,pp50-51.

[2] Eric pommier,**Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p75.

المتطورة في استعمالاتها المتجاوزة للإنسان، فكان لابد من تدخل العلم النظري في نتائج الطب التقني والمقصود بها الفلسفة التطبيقية وانعكاساتها على البيولوجيا والبيئة.

"بعدما أجريت التجارب على السكان المعرضين للخطر في غياب الموافقة ومنذ ذلك حين تم إنشاء لجنة أولى من الناحية القانونية في معظم بلدان أوربا والولايات المتحدة ليحدث توازن بين حرية البحث العلمي والحماية اللازمة للأفراد، بمناقشة القضايا التجريبية للموازنة بين المريض والجهات الراعية واحتياجات المجتمع كله، والمبادئ الأخلاقية تم إدراجها في النصوص الطبية بما في ذلك لجان البحوث الطبية"[1] التي فرضتها الظروف من أجل ضبط تطبيقات الطبيب، ومسؤوليته الناتج عنها أخطاء طبية متبوعة بالفهم الخاطئ للمسؤولية فلم يستفيد منها في هذا المجال إلا مؤخرا بعد تغيير المبادئ السابقة لمواكبة التغيير الحاصل.

"بتضييق المسؤولية الطبية والإنسانية المتعلقة بمسألة الجراحة من حيث أنها موضوع المسؤولية التقنية بصفتها مهنة غير واضحة لتعاملها مع المريض، ويمكن اعتبارها علاقة تعاقدية تحكم مسبقا بصورة حصرية بالنظر إلى الطبيب والمريض، على أساس الوحدة إذن فالمسؤولية موجهة إلى المريض وفقا لقواعد"[2] فلسفية لها دور الموجه داخل المبحث الأخلاقيات الجديد ضمن كل عمل طبي، لأن مسؤولية **يوناس** داخل مجالات العلم لا تخلو من جانبها الإتيقي خصوصا في الميدان الطبي المتميز عن المجالات الأخرى كونه علما حيويا، تجاوز كل التصورات والحدود الإنسانية والبيئية فالطبيب مع المريض هما في حالة تعاقدية إلزامية وحتمية، لأي قرار يصدر له علاقة بالمستقبل وليس للحظ كي يستمر في الحياة.

---

[1] Jacqueline dalgo depoorter, **lutilité des comités d'éthique**, Op.cit,p550.

[2] Eric pommier,**Hans jonas, Le principe responsabilité**:, Op.cit, p94.

"بمحالة الطبيب تحقيق الحفاظ عليها إلى الحالة الطبيعية لأن الطب يفترض قدرة الأفراد على وصف حياتهم سلبا أو إيجابا منذ بداية النشاط الطبي، ليس كأداة محايدة للقيم بتعيين قيمته الإيجابية لأن الفرد يعطي لصاحبه كل مسؤوليته، وهي نقطة الانطلاق هامة لعلم الأحياء حتى يجعل البحث ممكنا بعد التأكد من العلاقة بين الطب والمهنة مثل الدواء، فهو حالة بيولوجية فرضتها الضرورة التقنية"[1]بصفته إحدى الطرائق العلاجية للمريض، ولا يجب أن ينظر إلى الدواء على أنه الوصفة السحرية التي يجد الإنسان ضالته فيها دائما فلا يفترض تعاطي الدواء مباشرة في كل حالة من الاضطرابات الجسدية، قد تكون حالة طبيعية تنتج عن تفاعلات الجسم بعيدة عن مخلفات التقنية اللامسؤولة التي أدخلت المريض في حالات لاإرادية وغير واعية، لكن الذي يضبط هذه الانعكاسات هي أخلاقيات مسؤولية الطبيب بإضافة أن الدواء مستنبط من البيئة كمنبع أساسي له فيكون مصدر ثقل عليها نتيجة استهلاكه بكثرة حتى دون الحاجة إليه.

لتظل "مراقبة اللجنة الأخلاقية بمثابة مسؤولية عن إعادة تقييم المستمر بانتظام التقدم في التطبيق العملي للبحث والإطّلاع على المخاطر المتعرض لها الموضوع، حيث يجوز إصدار الرأي الايجابي إلا إذا اقتنعت اللجنة، كون الأساس المنطقي للجان الأخلاقية لا يقتصر بالإشراف على التجريب البشري، وصياغة مبادئ توجيهية نحو الممارسات الطبية بل مساعدة الطبيب عند ما يجد صعوبة في علاج المريض"[2]، واصفا **يوناس** اللجان الأخلاقية أنّها تمثل السلطة داخل مهنة الطب بمراجعة العمل وفق ما يحفظ حياة المريض بأقل تكلفة من الأدوية والتقنية المستمدة عن البيئة، فإن مسؤولية الباحث الأكاديمي تتفق مع مسؤولية الطبيب من حيث نقائص الإتيقية و تدخل اللجان في

[1] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,p52.

[2] Jacqueline dalgo depoorter, **lutilité des comités d'éthique** , Op.cit,p551.

بعض الحالات لتحقيق ما يتفق مع مصالحها، لذلك **يوناس** شدد على مسؤولية الطبيب من منطلق أنها مهنة سامية تعتمد على ضميره الخلقي مثل الباحث الأكاديمي.

"لارتباط مسؤولية الطبيب بالاحتمالات الإصابة ومدى رعايتها التي تجعل التكنولوجيا الجديدة محتملة بإعادة تعريف المسؤولية حسب قوة التقنية، وتتطلب في الواقع امتدادا لنوع أخلاقي جديد بوضع مسؤولية من نوع جديد، مدعما **يوناس** الطب الذي يهتم بأخلاقياته في مقابل تأكيده أن تطوير التكنولوجيا الجديد هو إهانة لكرامتنا لأنها تجردنا من إنسانيتنا، فواجب الطبيب أن يكون كرجل بمسؤوليته وهنا يكمن دوره وفق **يوناس**"[1] لأنه أصبح اليوم ينظر إلى ما توصلت إليه التكنولوجيا من الاستنساخ والهندسة الوراثية على أنها قوة تفوق قدرات الإنسان، بتدخلها في الكينونة البشرية المبتعدة عن كونها مسيرة بقوة إلاهية لتتلاعب بكل ما له علاقة بالإنسان، وهنا أصبح يعيش فراغا روحيا جرده عن هويته الأصلية ما فرض تدخل الفعل الاتيقي مع الاستفادة بمسؤولية رجل الدولة وإسقاطها على مسؤولية الطبيب.

"نتج عنها سؤال حول أخلاقيات الطب بين الممكن تحقيق هذه الرغبات وسؤال اصطناعية الأخلاق، الملزمة بإشكالية معنى خدمات الاختبارات التربوية التي تشترك في تحديد تعريف القانون العام والخاص، بمظاهر الواجب في الحالة الصحية القانونية والأخلاقية المبينة بفعل الحقوق والشروط"[2] التي بإمكانها أن تحقق نجاحا في ظل صعوبات مسؤولية الطب المعاصر، لكن نجاحها يعتمد على مدى ممارستها بشكل عالمي حتى نتخطى واقعنا المتأزم بيئيا.

---

[1] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit, p98.

[2] Hans jonas, **évolution et liberté**,trad,sabine,cornille et philippe ivernel,rivage pache petite bibliothéque,France,2011,p160.

"لما أثاره التقدم في مجال العلم والطب خاصة التقدم في الإنجاب بالمساعدة الطبية التي نتج عنها مشاكل جديدة، طرحها العلاج الجيني قبل الولادة والتدخل في وقت متأخر في مجال الحياة والموت والتدخلات على الجسم ودماغ البشر، كلها تدخل في إطار حقوق الإنسان وهي تعددات فقط كمثال يمكن أن تكون شاملة نظرا لتزايد وتيرة اكتشاف العلماء ثم، الدعوة إلى العالمية بنهج أخلاقيات علم الأحياء"[1] الموجه للإنسان المعاصر لأنه الصانع للبيئة البيولوجيا، والأهم بالنسبة **ليوناس** أصبح موضوعا قابلا للتغيير وفق ما تأمر به التكنولوجيا في تشكيل الإنسان بالتجريب عليه بشكل مطلق، لكن نتائج التجربة يمكن أن تكون خاطئة ليتجسد الخطر الذي لم يتنبأ له.

"فيفرض ضرورة سيادة القانون وقراراته لضمان الحقوق الخاصة للأفراد في كل حالات تستدعي ما وراء القانون، لأنها جزء من العلاقة بين القانون والأخلاق"[2] نتيجة الخوف على المستقبل والبيئة فرض ضرورة تدخل فلسفة المسؤولية، في السياق الطبي بتغليب الطابع المعنوي على المجال المجرد لأن الإنسان متميز عن باقي الخلق بجانبه العقلي والروحي لكي نتجاوز ما هو راهن بحكم أنها قضايا دخيلة علينا.

"كتحديد النسل يعتبر سياسة ليست حقا من الأمراض لكنها ممن له مصائب خاصة وعامة تنتج بطريقة أو بالأخرى من قبل المسؤولين عن سوء الحظ الفني، الذي يمكن تجنبه خارج أو داخل المهنة فالقانون العام يترك منه شيئا لتقدير الطبيب، والحاجة إلى حضور ضميره لتلبية الرغبات الخاصة والعامة ولها آثار خارج المجال الطبي فيجب حضور مسؤوليات أكثر عمومية"[3] ضد تحديد نوع النسل، بصفته حتمية غير صحية

---

[1] Jacqueline dalgo depoorter :**lutilité des comités d'éthique**, Op.cit,p566.

[2]Hans jonas: **évolution et liberté**, Op.cit,p162.

[3] Hans jonas: **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,p52.

يفرضها المرض بل كماليات سببت المشاكل لاسيما في تغيير المنظومة البيئية المتبوعة بإجراءات التكنولوجيا ووعودها الكاذبة، حتى أصبحت مهنة الطب والطبيب من مهنة تحافظ على الحياة إلى مهنة تقتل الحياة والبيئة بشكل سريع، بدأ بتغيير الطبيعة الإنسانية ومهنة الطب بتغليب جانبها السلبي بدلا من النفعي لتجاوز حدود المرض الذي كان يفرض حضور العلاج، فتحول الأمر بتجاوز الإنسان المرض حتى أصبح يغير من ملامح خلقه الأولى حسب ميولاته الخاصة.

"تجسدت في مهنة الجراحة التجميلية لجلب السعادة كونها مشروع بشكل واضح لا يجعلها قضية أخلاقية، فالطبيب لا يتحمل المسؤولية هنا لأن هناك مطالبات أكثر أهمية ليبقى الغرض من الطب وواجبه الحفاظ على الحياة، أما الطبيب دائما في خدمة الحياة فمثلا الإجهاض ممارسة وتكون تدبيرا طبيا عندما تكون حياة الأم في خطر، وهنا تكمن مسؤولية الطبيب التي أصبحت أكثر تعقيدا بسبب ظهور الحضارة التكنولوجيا"[1] المنسوبة للطبيب، كما أكد **يوناس** على المسؤولية المحددة في الحفاظ على حياة المريض وليس في الجراحات التجميلية كونها ترف مهني، لأن المريض هو المسؤول الوحيد في هذه القضية باتخاذه القرار في ممارسة عملية التجميل دون الحاجة لذلك، في مقابل المسؤولية التي تقع على عاتق الطبيب مثل الإجهاض الذي تدعيه الحاجة وفي بعض الحالات الأخرى تمارسه المرأة الحامل دون الحاجة أيضا، هنا يتحمل الطبيب مسؤولية حياة الجنين لذا يشترط **يوناس** تقنين حدود الطبيب حسب نوع الممارسة سواء من طرفه أو من قبل المريض.

"تبقى الدولة الوحيدة المسؤولة في النهاية عن القرارات في أن يقدر أو لا يقدر للقيام بأي فعل عن طريق التفويض وفقا لطبيعة الأشياء، لأنه ليس هو الوحيد المعني بالأمر

[1] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p99.

فهناك جهات أخرى مثل بيع الحيوانات المنوية للأمهات الحاضنات، لتكون الدولة متورطة بشكلٍ ما في الموضوع لطرح قضية الهوية القانونية التي تصطدم مع الدولة من خلال التدخل الصناعي، مما أدى إلى تلامس الحس الأخلاقي وقاضي الدولة وصي على الأخلاق"[1] كشرط ضروري للدولة، لإقرار الموافقة على مثل هذه الممارسات في العلم الحيوي كسلطة وحيدة مفوضة لردع الإنجازات غير الأخلاقية التي أدخلت الإنسان في قضية الكرامة والهوية، المستقبل والبيئة المستنزف لخيراتها لصالح الإنجازات الطبية فمسؤولية **يوناس** تشمل الدولة في حالة تمادي الطبيب.

"لتخطي مشاكل الواقع لكن ليس باستخدام القانون القديم المتسبب في صراع الآونة الأخيرة بين الرغبة والقيم، بل يجب استخدام القانون المثالي للإنشاء القانون الأخلاقي لتحكم في تدفق الرغبات الغالبة في الوقت الراهن، فيقول **يوناس** يجب تجنب تمويل المشروع المريح غير الأخلاقي، وهنا لا يمكن للدولة التهرب من مسؤولية ما يحدث بتقديم مساعدات جديدة مثل مشاكل الإنجاب بالتعاون بين الطب والتقنية ضمن حلقة الحق والقانون والأخلاق"[2]، كخطوة هامة تتجسد في مهام مسؤولية رجل الدولة الواقفة ضد الرغبات القاتلة وضد سلطة المعرفة، جاعلة من الإنسان مصدر التجارب الطبية مباشرة فمسؤولية رجل الدولة اليوم تتجنب قوانينها الكلاسيكية، مثل ما أكد عليها **يوناس** حتى يستطيع التحكم في زمام الأمور الواقعية والتأسيس لسلطة القانون الإتيقية وفقا لتغيرات الظرف الزماني والمكاني، فهي تأخذ موقفا وسطيا بين العلم والإنسان والبيئة كشرط لا يمكن تفاديه وهنا تلعب الحكمة الفلسفية المعاصرة دورها.

---

[1] Hans jonas, **évolution et liberté**, Op.cit,p171.

[2] Ibid,p172.

"المحافظة على عفوية الحياة بمقاصد العلم الخيرية للإنسان بغرض استراتيجية البحوث وليس قضية الطبيب، بامتصاص طريقة التكنولوجيا الحديثة المساهمة في تحويل البيئة لصالح الإنسان بقبول نظام البيئة الذي أثبت منذ فترة طويلة، ونحن نحاول تكييفها فوجدنا أنفسنا في نهاية الحياة ومن بين هذين الجانبين (...) اختيار مسؤولية الإنسان ونزاهة المسؤولية عن الترتيب البيولوجي كونها حقائق معقدة بعدم اليقين في حفاظنا عن معنى الوجود الإنساني"[1]، نتيجة فهمنا للبيئة على النحو الخاطئ وأيضا فهمنا لإنجازات العلم أنها مصدر السعادة وراحة أبرزها لإنجاز الطبي، كلها منطلقات غير مؤسسة على منطق الأخلاقيات والمستقبل فالإنسان اختار مسؤولية الحياة الكلاسيكية المشجع للمنهج التجريبي والاستغلالي للبيئة، حتى انتقل إلى الاستغلال البشري في عدة مظاهر أهمها الاستنساخ.

فيصبح "عبء الطبيب أثقل وقراراته المتخذة بشروط وممارسته المقترنة لطبيعة العمل التي بدأت تقتل المعايير، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار بالنسبة له لعلاج وشفاء بمسؤولية اتجاه الحياة، ووفقا **ليوناس** نحن أمامنا واجبات يجب أن تزيد من التعقيد في المجال الأخلاقي الطبي لأن الطبيب هو المسؤول اتجاه المجتمع"[2] بواجبه النابع من ضميره الشخصي، بشكل حر وبحبه لمهنته دون أية خلفيات مثل إثبات ذاته أو اكتساب الشهرة أو الربح المادي على حساب المريض والبيئة والمستقبل.

جعل **يوناس** "يرفض تطبيق التكنولوجيا الحيوية على الإنسان فينطلق من المنطلق الأول يقول فيه أن هذه الأبحاث تعمل ضد الطبيعة الإنسانية والمنطلق الثاني يشدد على أهمية النتائج المترتبة عليها ضد البيئة، فالتطور الصناعي القائم على التلاعب بالجينات

[1] Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité,humaine**, Op.cit,pp60-61.

[2] Eric pommier,**Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p100.

يعمل ضد البيئة حيث أنه يمكن ظهور الأشكال التي لم تسمح البيئة بوجودها من أن تظهر إلى الوجود (...) وأيضا التطورات الهائلة في المجالات التي تؤدي إلى خطر إلغاء الموت الذي كان حلم البشرية بواسطة تقدم في هندسة الخلايا"[1]، فجلها تغيرات التكنولوجيا الطبية المعاصرة هدفها تأجيل الموت الذي فعلا نجحت فيه بتلاعب في الخلايا، لكن ما نتج عنه هو أعظم من الزيادة السكانية والاستنزاف المفرط للبيئة وسلب حق فئة الشباب القادمة مستقبلا التي لم يبق لها أية حقوق داخل البيئة بشكلها الطبيعي فالمسؤولية يجب أن تكون جماعية وبممارسة عالمية.

بالنسبة **ليوناس** "ليس للاستخدام في حد ذاته ولكن إساءة الاستخدام فلا يمكن أن يتسبب بالرفض المطلق للهندسة الوراثية بل يتخذ **يوناس** موقف وسطيا مقدما تصورا معياريا لما ينبغي أن تكون عليه الهندسة الوراثية، ومحددا وظيفتها في إصلاح العيوب وليس إعاقة الخلق لأن الهرمونات يمكن أن تستخدم لمنع نمو الإعاقة عند الطفل، وهذا شيء مرغوب فيه لكن الهرمون ذاته يمكن أن يستخدم ببطش"[2]، يبقى الحل في حضور الفعل الاتيقي كشرط في المجالات الدقيقة منها ميدان الطب كي لا تتغير مهمة العلم بصفة عامة، لأنه جاء ليسر حياة الإنسان لذا **يوناس** يؤكد على الرجوع إلى المبدأ الأول الإيجابي للعلم وأول من يتبنى هذا الموقف الطبيب بالدرجة الأولى، فوظيفته المعالجة وليس تشكيل كائن حسب رغباته الخارجة عن إرادته حتى نستفيد بشكل صحيح من العلم الحيوي في تطبيق المسؤولية الاتيقية الموجه نحو التفكير في أخلاقيات البيئة والإنسان مستقبلا.

---

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة ،(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)،المرجع السابق ،ص ص124-125

[2] نفسه ،ص127

"لتلبية نجاح الدواء من قبل الإنسانية والأجيال القادمة في استهلاكه الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الاستفادة من موارد طاقة الأرض المحتملة أن تجف فهي تقترب من الخطر الحرج، فالطبيب هو قنبلة عليه الحذر من سلبيات التدابير لأن لديه مسؤولية منع كارثة محتملة للبشرية، و**يوناس** يقوم بتحديد مهام الطب من ارتفاع التكنولوجيا فطالب الطبيب حصوله على بينة من تعدد المسؤوليات المساعدة على إبقاء الدواء بوعي إتيقي"[1] فإذا استمر توجه الطبيب على نفس الوتيرة الإتيقية، عندها تسلم البيئة والإنسان المستقبلي لأنه استطاع بوعيه إدراك نتائج هذه الممارسات التكنولوجيا النابعة من البيئة، لذلك يجب أن تطبق هذه الأفكار في كل المجالات بتبني مسؤوليات متعددة إتيقيا داخل كل مهنة علمية.

ممارسات الطبيب غير مسؤولة	
إتجاه المريض	**إتجاه البيئة**
– **استعمال التقنية** – **استعمال الدواء** – **التجريب على البشر**	– **استنزاف طاقة البيئة** – **تغيير الطبيعة الأولى** – **سلب التلقائية والعفوية من البيئة**
نتيجة يوناس	
المسؤولية الجديدة +ادراج الميدان الاتيقي +سلطة الدولة +ضمير الطبيب	

يوضح الجدول التالي مدى مساهمة الطبيب إما في حماية البيئة أو تدميرها.

[1] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p101.

ملخص مضمون المسؤولية عند **يوناس** نجده أعطاها سمة نوعية ومختلفة بنماذجها الأبوية والسياسية، المتبوعة بمسؤولية الباحث في ميدان الدراسات العلمية الصالحة إتيقيا المنعكسة بالنفع البيئي كشرط يستحيل الاستغناء عنه، متبوعة بمسؤولية الطبيب اتجاه المريض كعنصر أساسي لاستمرار الحياة الصالحة لكل زمان ومكان بحضور الضمير والنزاهة العلمية للباحث والطبيب، كي نصل لتحقيق هدف الحافظ على الواقع البيئي المتبقي كثروة سوف توَرث لاحقا، ما أعطى المسؤولية هذه القوة هو العودة إلى مبحث الميتافيزيقيا الجديدة ومبدأ الخوف في مقابل الأمل بنظرة فلسفية معاصرة تُدمجُ فيها الممارسات العلمية مع الفلسفية لفائدة أخلاقيات البيئة.

الفصل الثالث:

تأسيس الوعي البيئي

عند يوناس

المبحث الأول:

أساس أخلاقيات البيئة في منظور يوناس

أخذت أخلاقيات البيئة حيزا كبيرا في فكر **يوناس** رغم الانتقادات الموجهة إليه، لأن هناك حقيقة يجب الاعتراف بها داخل كل الفلسفات والتوجهات العلمية السابقة وحتى اللاحقة، لأنها لم تستطع تفعيل طرق التعامل مع الوضع البيئي الراهن فكان جل اهتمام **يوناس** هو أسبقية البيئة على ذات الإنسان، ولنوضح أكثر أكد على الجانب الوجداني للذات التي عليها تحمل المسؤولية الموجه لتأسيس أخلاقيات بيئية، من منطلق الخوف والقلق على المستقبل بالرجوع إلى الأساس الميتافيزيقي لتطبيق الواجب البعيد عن واجب **كانط** داخل أخلاق البيئة معاصرة.

كون الطموح الأول "هو كشف الخصائص الرئيسية للتفكير البيئي بحيث تم تطويرها في ايطار تولي السلطة من الانعكاس المؤلم لفترة مابين الحربين في نهاية سبعين عاما ولانتشار التقنيات الحديثة على وجه التحديد مثل إتقان للطاقة الذرية، مثبتا **يوناس** أنه انتماء ليس فقط داخل الطبيعة في الأساس بل هو يمثل –بنوءة الموت– على حد التعبير المروع والكارثي، لكن قبل كل شيء يبقى الإنسان جوهر البيئة"[1] فيجب استغلاله وفق مصلحة الأجيال القادمة التي تضم أحفادنا وبيئتنا بتجنب الخطر الحاضر، فكل ما تعانيه البيئة من صنع الإنسان الذي أعماه حب السيطرة على البيئة وعلى أخيه الإنسان في حد ذاته بما خلفته الحربان العالميتان اللتان انتقدهما **يوناس** بشدة لأنه عايشهما، فلا ينبغي تكرار الخطأ الذي وقع فيه أجدادنا وقمنا بتفعيله نحن أكثر بتطوير ما أصبح قاتلا وهي حقيقة وليس مجرد تعبير أو تشاؤم.

"يستدعي الخطر الشديد للأسلحة النووية وتشجيع العمليات المتعددة التعبيرات التي لا يمكن انكارها، لأن الدمار الكارثي يتعلق بنطاق عالمي من المشاكل التي يتم فحصها

[1] Hicham stéphane afeissa:**qu'est–ce que l'écologie?,** Op.cit,p15.

بشكل تحدٍ للبشرية جمعاء داخل كل علم البيئة"[1]، بإعادة إحياء الضمير البشري النابع من الخوف والقلق الذين تغرسهما فينا الميتافيزيقا لتصبح ضرورة ملحة في نظر **يوناس**، لكن بمنهجية جديدة مغايرة لما ألفناه من أجل حماية مصالحنا الحاضرة والمستقبلية وفق نسق إتيقي يساوي بين العصور،فالمهم الخروج بنتيجة نفعية يستفيد منها الجميع في رأي **يوناس** من منطلق تغيير ما كان متعودا عليه بما يواكب تغيرات العصر ضمن الفلسفة التطبيقية كأمل للنجاة والاستمرار.

[1] Hicham stéphane afeissa:**qu'est-ce que l'écologie?,** Op.cit,p16.

1/الخوف والأمل من أجل المستقبل :

نجد أن "مبدأ الخوف جزء من المسؤولية يجب أن يكون داخل مجتمع أخلاقي بنداءات معينة من التفكير السليم، لأنه أصبح لدينا سمعة سيئة من خلال الثقة في أعمال ليست مطابقة بالرجوع نحو الأسفل، إلا أن تقدم التقنية أصبح خطيرا للغاية لا يجب أخذ موقف عداء اتجاهه بل ردع التقنية المشوهة لسمعة التقنية بتأنيب لها"[1]، ما يجب فعلا رفضه كحقيقة بإمكانها أن تكون حلا سريعا في مبدأ الخوف بتداوله داخل مجتمعات عالمية كي ننجح في تأسيس مستقبل بيئي، لأن الأزمة البيئية انتشارها قد فاق كل التطورات والتوقعات فيجب على الإنسان المعاصر أن يعيش هذه الحقيقة على أنها حتمية لا يمكن معالجتها إذا استمر الوضع على هذا الحال.

ليأتي "الخوف والأمل والمسؤولية كشرط لأي عمل وبعض الأشياء نفترض أنه من الممكن البرهان على القيام بذلك، أيضا الرجل يحتاجه في تحديد المصير وقد يكون أكثر من أمل لكن ما هو بالفعل أكثر نجاحا وأكثر نشرا لآثاره في تدفق لا يمكن التنبؤ حقا ما سيكون مرغوبا فيه في أي حال من ثقة الفعل، فلا يمكن أن نعمل بمبدأ الأمل في وقت لاحق ما لم نتصرف به الآن"[2]، كون الخوف لم يعد يصنف ضعفا بالمفهوم السائد بل الخوف من جانبه الايجابي المعبر عن الأمل، الحياة، النجاح، الاستمرار، فيجب أن يؤخذ كمنهج في ممارسة مسؤولية رجال الدولة، العلماء، الباحثين، المجتمع بصفة عامة كي يوجه أفعال الناس وفق الفعل الإتيقي لأنه يمنع التمرد على الأشياء، بحيث يفكر الإنسان أولا في نتائج أفعاله بالخوف من بحثه في حالة إذا لم يوفق فيه لذا عليه دراسة كل الاحتمالات قبل نشره.

---

[1] Eric pommier,**Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p49.

[2] Hans jonas, **Le principe responsabilité**,Op.cit,p420.

يقول **يوناس:** "أن الإنسانية على المحك وعلينا أن نعطي حقا لأولوية نبوءة الشؤم والمسؤولية الرئيسية يجب أن تؤدي إلى الامتناع الجذري من أي تطور للعلوم والتكنولوجيا الأمر الذي عرّض مبدأ المسؤولية إلى الخطر، فوجدنا **هوبز** نبه أيضا للخوف من الموت واستغرق على عاتقه احتكار الخوف وتسليمه في الوقت نفسه لرجالا تخشى الموت الوحشي"[1]، كون الإنسان استطاع فعلا أن يصل إلى الموت الوحشي بالتطور التقني على حد تعبير نبوءة الشؤم أي التنبؤ السيئ نحو المستقبل البيئي كحافز كبير لإعادة التفكير في الممارسات التكنولوجية، العلمية غير أخلاقية، لأن الخوف هو المبدأ الذي أرجعه **يوناس** من منظور جديد بعيد عن تصور **هوبز** السلبي المقترن بالمسؤولية الجديدة داخل نظام سياسي واجتماعي، يطبقه رجل الدولة للحفاظ على الحاضر والقادم بأخلاقيات جديدة تطبيقية موجهة نحو مبدأ الخوف الذي يعيشه الإنسان المعاصر.

لأن" الخوف لا يشير إلى الشكوك أو لأثر جانبي بل يجب أن يتبناه المسؤولون كأمل، مؤكدا **يوناس** تحديد المسؤولية كجزء من المسؤوليات المتعددة لكنها كلها تدعو إلى الخوف لغرض المساءلة، وهذا الخوف يتحول بدوره إلى واجب العمل والرعاية والاعتراف بالمسؤولية واجبا اتجاه الآخر"[2] لكن المقصود بالمسؤولية الجديدة عند **يوناس** تقديمها حلولا لها عدة آفاق مستقبلية اتجاه الحي والجامد ضد ما هو غير عقلاني من تصرفات البشرية فهي مختلفة لأن تفكيرها بالبيئة أولا ثم الإنسان، فعلى كل مسؤول أو رجل عادي الرجوع إليها بالبحث في ذاته عن القلق والخوف المرتبط بالمستقبل المجهول من المفروض أن يكون نفعيا وصحيا.

---

[1] Hans jonas: **Le principe responsabilité**, Op.cit,p421.

[2] Idem.

"يودُ من فعل الخوف سؤال عن مبدأ المسؤولية الخلقية لأن لها استجابة غامضة قريبة من المستقبل، فهي تعادل في طريقها الخيال الأكثر وضوحا وحساسية إذ كان لابد من كشف عن الخوف لفائدته الخلقية، **فكانط** كان يحتاج إلى توضيح الصعوبة المهددة للنوع الجديد، لذلك يتوجب نكران الذات اليوم من خلال الخوف لتوضيحه طريق الخير والشر الذي أصبح حقيقة بسبب الكارثة البيئية، فيكون الخوف أول التزام لأخلاقيات المسؤولية"[1] من خلال الشعور به بفعل إتيقي نابع من جانبه العاطفي كميزة تجعله فعلا صادقا في نظر **يوناس**، في حالة اقترانه بالمسؤولية المرتبطة بالخوف المتفق والفعل الخلقي وأيضا لاستطاعة كل فرد ممارسته، لأنه ملكة موجودة عند جميع الكائنات العاقلة حتى نتفادى الأفعال غير الخلقية عن طريقه وعندها تتجسد المسؤولية الجديدة.

تكون "بالقلق حول الجحيم من السلطة الدينية التي كانت تسود في الدولة لأنها تخاف من الكنيسة، لكن من وجهة نظر أخرى نعيد الخوف غير المحدود لكل ما يهدد البشرية والبيئة بالخوف باعتباره الطريقة الوحيدة لحماية مصالح الأجيال القادمة، حيث يقول **يوناس:** يجب اللجوء للخوف كي يكون الوسيلة الوحيدة المتاحة لسلطة السياسية لإدارة المستقبل والتخلي عن الديمقراطية العقلانية الجدلية"[2]، والمخلفة وراءها ما يكفي من الخسائر البشرية والبيئية لابتعادها عن أخلاقيات البيئة والإنسانية المستقبلية، ما جعل **يوناس** يستنبط فكرة الخوف من واقع القلق الذي يعيشه الإنسان المعاصر رغم قدرات العلم العجيبة في نظره، فمثلما استطاع أن يخلق لنفسه فضاء واسعا من المعرفة أيضا عليه خلق قدرة التخلي عنه لأن ضرره المستقبلي أكثر من منافعه الحاضرة ، لعدم التنبؤ بهذه النتيجة التي يجب تكييفها والاستفادة منها على النحو الإيجابي في مبدأ الأمل.

---

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p423.

[2] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p50.

من طرف الإنسانية كبشرية قادرة على المسؤولية بالحافظ عليها لكن **يوناس** "يدعو إلى الحذر من كيفية إدارة الإنسانية لما هو تكنولوجي استدلالا من الخوف لاحتوائه على أقل الوظائف التكنولوجيا، لهذا وجدت الأخلاق لتكشف وجود ظاهرة تحتاج أن تظهر على وجه الدقة استدلالا بالخوف، يكون له دور بعد إجراءات تعديلات من آلام الموت بتعليق على الأحكام المسبقة"[1] المرتبطة بالعلم الكلاسيكي وانعكاساته التكنولوجية، لكن كي نتجاوزه يجب إثارة مبدأ الخوف والأمل لأنه حالة شعورية واعية نستدركه كي لا يتكرر الخطأ مستقبلا في رأي **يوناس** من زاوية التخوف من التقدم اللامحدود.

نتيجة لما "توصلت إليه الاختراعات الالكترونية للتخمة مع غياب ايجابيات الدين وحمايتنا من الانفلات والإغراء بانتهاك مصالح الأجيال المستقبلية لتلبية رغباتنا على حساب الآخر فلم نترك لهم حتى الأمل، لذلك يجب الخوف من الازدهار كحقيقة لنهاية تدمير الإنسانية بتقلبات الزمن (...) بهدف المستقبل الذي مرجعه مسؤولية الرجل"[2] نظرا لأهميتها الكبيرة المتجددة وفق **يوناس**، لأنها نابعة عن تجاربنا الخاصة مثل الشعور بالخوف اتجاه أي شيء يحبه الإنسان محاولا جاهدا الحفاظ عليه، وما أدراك إن كان هذا الحب يتمثل في الحياة التي مصدرها البيئة والإنسان المستقبلي عندها يسعى جاهدا للحفاظ عليهما في حالة الشعور بفنائهما بمبدأ الخوف.

"البعيد عن التفاؤل التكنولوجي وممارسته العمياء لأن لديه البعد الخيالي حاملا في طياته تهديدات ملموسة، والخوف وحده يمكنه تثبيت هيجان إغراءات التكنولوجية بالسيطرة عليها نتيجة الخوف من التحول الذي أنشأته البشرية، لكن حب الحياة يفرض

[1] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p44.

[2] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,pp423-424.

الخوف على البيئة"[1] بنفي الثقة الزائدة في العلم لأن الأمر غير منطقي لا أساس له من الصحة، لأنه مثلما وقع العلم في أخطاء عديدة كلفت حياة الكثير من البشر في حاضرنا فإنه دون نقاش سوف يقدم أخطارا أكثرا في المستقبل ثمنها الكون والبشرية بكاملها وليس فئة معينة أو مكانا محددا ما يثير مخاوف الإنسان اليوم وقلقه .

فقام "مبدأ الخوف بتوسيع طيف العقل لمحاربة التقنية بتركيزه على الخسائر مثل الطاقة النووية في مقابل النظام البيئي والنظم الايكولوجية بصفتها خط وراثي لاشك فيه من منظور عقلاني، فتوجه **يوناس** نحو التطور الذي سيكون له النظر في المشاكل العلمية المهددة للبيئة والبشر ولا يمكنه تحقيق هذه التنمية إلا بمواجهة الخوف للكشف عن واجبات جديدة وضعت لتشكيل قوة سياسية"[2]جماعية، فالمطلوب الخوف من نتائج تكنولوجيا المستنزفة لخيرات البيئية، بطرح سؤال ماذا سوف نترك لأولادنا في المستقبل؟ فأي إرث مريض يجدون أنفسهم فيه؟ إذن يجب إحياء ما مات من القيم والعقائد الأخلاقية بالرجوع إلى حكمة العقل الصحيحة المؤسسة على قواعد اتيقية جديدة تتوافق والواقع المعيش بأزماته.

ليبقى "دائما الوعي بالخوف الحل الوحيد وفقا لتزايد درجة الحرية في العمل خاصة فيما هو عضوي ويتم تمثيله بالجانبين من الترابط والتصور، لذلك الخوف موضوعا ثابتا للدراسة داخل الفهم والعمل أي العقل والإرادة ضد حرية التقدم من منطلق الخوف مرتبط بالرجل والبيئة"[3]، مثل دراسة **يوناس** المقيدة لحرية المعرفة لتتحول إلى مطالب سياسية ضمن مسؤولية الواجب والضمير الخلقي، لأنه يحيى روح الخوف في الإنسان بقتل تمرده

[1] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p51.

[2] Idem.

[3] Hans jonas, **évolution et liberté**, Op.cit,p28.

الذي حضر لتلبية الغرائز ولإشباع رغباته بالحرية التي تشجعها بعض الدول الكبرى المساندة للقوة التكنولوجية فما يهمها اللحظة فقط، التي أصبح ثمنها البيئة والمستقبل فعلينا الخوف من أفعالنا المماثلة بإعادة تنشيط العقل لتلبية راحة الضمير الطبي الأكاديمي، السياسي.

يكون "بالاتحاد بين مبدأ الخوف والمسؤولية كي نستطيع الحفاظ على الإنسانية من المستقبل المتبوع بالملاحظة المسبقة للأجيال القادمة، وهنا الخوف يلعب دورا ايجابيا بتخويف من الحياة الكريمة، ولابد من الاعتراف بأن **يوناس** لم يتبن أفكارًا عقيمة ولا أنانية، بل يمثل التفكير المنقاد بتصور واجبات جديدة للإنسان من أجل الحفاظ على إنسانية الغد"[1]، متجاوزين المجهول بالابتعاد عن الضرر والرجوع إلى منطق العقل الشامل لمبادئ الفلسفة التطبيقية المعاصرة لاهتمامها بالقضايا العلمية الراهنة متجاوزة للفكر الماضي المهتمة بمبدأ الخوف الذي يستدعي حضور قضايا فلسفية مثل الواجب الجديد اتجاه ما هو ضار للحياة فهو مطلب يضمن حق ما هو موجود على سطح الأرض.

"عند غياب قدرة التنبؤ الدقيقة بتأثير التكنولوجيا على البيئة والمستقبل أن نعطي الأولوية لنبوءة الخوف في مقابل نبوءة النعيم (...)وما يقصده **يوناس** من الخوف أن نضع في اعتبارنا الخوف من الكوارث الطبيعية التي تحدث بسبب الانتهاك التكنولوجي للبيئة، ويجب أن يحتل أسبقية الخوف مكانة كبيرة في تفكيرنا بدلا من نبوآت النعيم"[2] كحل نحافظ به على تراثنا وهويتنا البشرية، ضد أي تدهور يسود حياتنا الحاضرة والمستقبلية بممارسة لما هو مثالي والابتعاد عن التعالي البشري حتى نستطيع حماية أنفسنا والآخرين

---

[1] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p45.

[2] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة (أخلاق المسؤوليةهانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص ص238-239.

من التحولات العلمية بغية الوصول إلى أهداف سامية بعيدة عن الأنانية ونبوآت النعيم الكاذبة، على أساس أن العلم لا يخلف آثارا ضارة بل يحقق أحلاما موعودة دون مخلفات بعيدة عن التنبؤات الحقيقية.

فوضح **يوناس** أننا يجب أن "نوفر لهذا الخوف مكانا في تفكيرنا وألَّا يكون خوفا من النوع المرضي الذي يفرض ذاته علينا بطريقة اجبارية عند مواجهة موضوعاته، لكننا نحتاج بالأحرى إلى نوع روحي من الخوف المنتج من عملنا نحن وليس مفروضا علينا لأنه يمثل تصورا أخلاقيا، لتصبح فكرة الخوف من الشر الذي ربما يحدث في المستقبل بسبب دور العلم والتكنولوجيا"[1] نتيجة ابتعاده عن واقعه الوجداني متجاهلا تماما سمات فطرته الأولى منذ البداية، ولمعالجة ذلك علينا إعادة التفكير فيما ابتعدنا عنه مشجعين الأعمال الأخلاقية بشكلها الجديد (إتقيا) والمسؤولية خوفا من أنفسنا أولا، ويبقى التعريف الجديد للخوف أنه شعور دائم الحضور والمشجع للعلم والعمل الموجه نحو الطريق الصحيح، للاستفادة من العقل والبيئة مساهمة في تفعيلها مسؤولية رجل الدولة المؤيدة للعمل الميتافيزيقي مع المبدأ الخوف الاتيقي.

نفهم إذن "هدف **يوناس** من مبدأ الخوف بتأسيس لمستقبل سياسي مبني على مبادئ أخلاقية يمكن أن تكون بمثابة بوصلة لتوجيه القرارات العامة في مسارات سياسية بحثة ومتقدمة، لاهتمامه بالوعي العام والحاجة إلى القوانين لأن الصلة بين الحكومة وشعبها تدعو للأخلاقيات في الديمقراطية وتطبيقات السياسة"[2]، وفضل نجاحها متوقف على مدى استقبالنا لمبدأ الخوف لأنه بإمكاننا الوصول به إلى أبعد المبادئ الإتيقية، فكلما حضر

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص240.

[2] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p55.

الخوف يحضر مبدأ الحفاظ على الحياة بدرجة قوة الخوف على المستقبل، بهذا يعطيه **يوناس** جمالا معنويا فأخرجه من حيز التفكير الكلاسيكي إلى العالمية المنفتحة نحو الأمل والاستقرار البيئي والبشري في سياقه السياسي والميتافيزيقي .

2/الميتافيزيقا ومستقبل البشرية :

نجد مستقبل البشرية "أول واجب على السلوك الجماعي البشري في سن الحضارة لأن مستقبل البيئة شرط مسبق بالمسؤولية الميتافيزيقية، فالإنسان ليس خطيرا على ذاته فقط بل على المحيط الحيوي بأكمله كون البيئة قطعة أثرية دمرها الإنسان إلا أنها تستحق الحياة، بهذه الطريقة وقعت محدودية الحياة في معاقبة خلق الطبيعة وسلمت الآن في أيدينا ويحق حمايتها لفائدة مصالحنا"[1]، بالعودة للتفكير القديم للميتافيزيقا المهتمة بالبيئة وبالإنسان خاصة ميتافيزيقا أرسطو المفارق بفكره عن أفلاطون وسقراط المهتمين بالمثل العليا البعيدة عن التطبيقات الواقعية، فنقدهم كان صارما للعالم الواقعي المحسوس بعكس أرسطو الذي لم يعترف إلا بحقيقة الطبيعة وأكد على ضرورة الحفاظ عليها وصنفها ضمن أهم مبحث تدرسه فلسفة الميتافيزيقا.

حيث كانت "توقعات ميتافيزيقية للأخلاق الفلسفية منذ بروز مجال البحوث البيئية بشكل ملحوظ تميل للتركيز على الاعتبارات المادية في أعمال التنمية المستمدة من الطبيعية، إذ يقول العديد من الأخلاقيين :البيئة الآن تخضع لشرط ضروري هو حدوث ثورة ميتافيزيقية بطريقة تفكيرنا من خلال علاقة الرجل بالطبيعة، ففي القرن العشرين جعلت من الممكن لا للميتافيزيقا"[2] التي قضت عليها تجربة المخبر وتطبيقات العلم الملموسة، النابعة من العصر الحديث الذي فصلنا عن أهم مبحث فلسفي ينمي روح البشرية بصفة أخلاقية، فضرورة الميتافيزيقيا ينبغي إدراكها وممارستها من جديد لأنها تقدم حلا للأزمة البيئية لاهتمامها بالإنسان والبيئة داخل المستقبل بصفة إتيقية معاصرة.

---

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p263.

[2] Hicham stéphane afeissa, **qu'est-ce que l'écologie?** Op.cit,p111.

نظرا للحاجة إلى "المبدأ الميتافيزيقا نفهم به حقوق الإنسان المستقبلي ولا يمكن الاستغناء عنها على الرغم من المخاطر الانطولوجيا لأن الايمان الديني يقدم أجوبة، وهنا بالفعل تكون الفلسفة مكلفة بالنجاح على سبيل المثال يمكن للمرء أن يستنتج أن الله خلق الوجود والإنسان في صورته الكاملة والنظام كله موجود بالإيمان بأسس أخلاقية، لكن في حد ذاته غير متوفر لفقدان الميتافيزيقا مصداقيتها"[1] بسبب انفصال الإنسان المعاصر عن العنصر الديني الذي تدرسه الميتافيزيقيا، وبتنازله اليوم أكثر عنها جعل نفسه المسؤول الوحيد في ضبط البيئة والسيطرة عليها متجاوزا سيطرة القوة الخفية في تسيير ما بدأت به فقاطعها الإنسان بالأنانية غير العاقلة، التي دمرت ولم تصلح كما أكدت نبوآت النعيم **فيوناس** من بين الذين اتخذوا موقفا نقديا ضد جملة التغيرات الجذرية بإقامته مقارنة بين العصور الماضية الناجحة في العيش رغم قسوة البيئة عليها، لكنها استطاعت تفهمها بمساعدة مبحث الميتافيزيقا لقوة حضوره في عقول البشرية السابقة عكس التحكم فيها من طرف الإنسان المنفصل عن الميتافيزيقا، فكان ثمن الانفصال الدمار البيئي ومستقبل الأجيال القادمة نتيجة انقطاعها عن الماضي بمعارفه الفلسفية.

"أبرزها الميتافيزيقا المنتشرة التي ورثت نموذجا لعلوم القرن السابع عشر ثورة في تقدم الوقت الحاضر، فلا يزال من المستحيل معرفة ما قد يستغرق ربطها في مكانها فنبهت للهُوية منفصلة إذا استمر البشر على أنهم الذرية المدللة من الخلق لابتعادهم عن الكرامة الميتافيزيقا النبيلة المطالبة بحماية البيئة"[2]، عكس مطالب العصر الحديث واصفا البيئة أنها غير حية ولم يفكر فيها بل ملك للإنسان مبتعدين عن القيم، كسمة للإنسان برفضهم لمبحث الميتافيزيقا الموجه لسلوك البشر رغم قوة تجريده إلا أنه استطاع أن يفيد بدلا من أن يدمر وهذا ما شهده التاريخ البشري.

---

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p98.

[2] Hicham stéphane afeissa,**qu'est-ce que l'écologie?** Op.cit,p112.

لأن "فكرة الطبيعة شغلت موقفا مهما في الميتافيزيقا القديمة وبخاصة ميتافيزيقا أرسطو، وتمت رؤيتها داخل الإطار الميتافيزيقي أنها تحمل غايات خاصة تسعى لتحقيقها أما العصر الحديث فقد جردت الطبيعة من أية غاية، كما تم رفض الميتافيزيقا في الفكر الوضعي باعتبارها لغوا لا نجد له مدلولا واقعيا (...) لكن **يوناس** يرى إحياء الميتافيزيقا لأنها تطرح أسئلة بوجود الأشياء وجوهر الإنسان ومستقبله، فالميتافيزيقا توضح وجود الإنسان"[1] بمنهجية بعيدة عن الأحكام المسبقة القديمة والمرفوضة من قبل **يوناس**، فالمهم عنده ليس الميتافيزيقا في جوهرها القديم بل الميتافيزيقا الجديدة لتقدميها حلولا وفق التطور التكنولوجي، مناقشة مبدأ الخوف من المستقبل والخوف من نتائج أفعالنا العلمية وانعكاساتها على البيئة موضحة أهمية الغاية من الوجود.

"واضعة في حسابها مكانا لأهمية الكائنات الأخرى وقيمتها بتحرير الأخلاق من قيود مركزية النزعة الإنسانية الضيقة، مؤثرا حضور الميتافيزيقا على الأخلاق في عصر التقنية فغرض ميتافيزيقا **يوناس** السعادة التي تحققها الحكمة عند أرسطو لأنها ضرورية لا نستطيع تصرف بدونها، ويجب أن تملأ الجرأة في الرجوع إليها"[2] فكان نفيها نتيجة جهلنا لها لعدم التجريب عليها ولاعترافها بقوى غير محسوسة بعيدة عن واقعنا، مبررا **يوناس** العقل لا يمكننا ملاحظته والتجريب عليه، فكيف استطعنا أن نؤمن بقوته غير المرئية في مقابل حضوره القوي المعتاد عليه الإنسان؟ فهو معترف به وبعلومه التجريبية وفي مقابل ذلك لم يعترف بالميتافيزيقا النابعة من قوة تجريد العقل.

فتطلب منا بحثا عنها حيث الفيلسوف **كانط** قبل أن يعترف بإمكانية الميتافيزيقا العقلانية والاعتراف بما هو عقلاني قال بايجابيات العلم، لكنه عرف لهم أنه يجب العودة

1 وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق،ص243.
2 نفسه، ص244.

إلى النهائي لأول مرة وقال" أعترف بالمزيد من الأسئلة الميتافيزيقية، بل يجب ترك الأخلاق الوحشية التقليدية بممارسات التكنولوجيا الحديثة"[1]، لكن ما يشغلنا اليوم ليس إثبات قوة الميتافيزيقا القديمة بل الغاية منها توضيح الحلول للحفاظ على الحاضر والمستقبل بتذكيرها لأهمية الوجود وما ينبغي أن يوجد في الواقع، فمادام الإنسان له ملكة العقل والحواس معا فبإمكانه التفكير بهما دون تغليب أحدهما عن الآخر لفهم قيمة الكون فأساس التجربة العقل المستندة عليه أيضا الميتافيزيقا.

لكنه "يجب أن يكون لدينا مفاهيم ميتافيزيقية للحصول على نظرية صحيحة كي تحدث ثورة من أجل الآخر، فهي تطرح هل يعني أولئك الذين هم في التهمة من الحالات البيئية أحرار في ممارسات العامة؟ فمن الضروري تشكيل حجج أخلاقية أيًا كان مجال تطبيقها"[2] داخل الفعل الأخلاقي لتجاوز الحلول الآنية العاجزة عن التفكير بالعنصر البيئي المستقبلي، المهتمة به الميتافيزيقا الجديدة لأنها تعطي للموجودات قيمتها الخاصة وقوتها اليوم مرتبطة بمدى اهتمامها بالبيئة، فيرى **يوناس** فيها الحل الأمثل لتجاوز الأزمة المعاصرة بجميع مجالاتها سواء كانت أخلاقية، علمية، إيكولوجية.

ما أدى "لضرورة إحياء الميتافيزيقا كأمر ملح لأننا نحتاج إلى ميتافيزيقا جديدة ليست مؤسسة على مركزية الذات الانسانية، بل التي تساعدنا في أن نفكر في الطبيعة كشيء مما يعتبر الإنسان جزءا منها وليس مغتربا عنها، فهي نقلة كيفية في الوعي المعاصر بالأزمة البيئية (...) من خلال تحمل المسؤولية والالتزام بها اتجاه الوجود الذي يحمل

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p99.

[2] Hicham stéphane afeissa, **qu'est-ce que l'écologie**? Op.cit,p113.

قيمة بداخله"[1] وفق **يوناس** مبدأ المسؤولية لم يكن مجرد كلام لإثبات فكرة ذاتية بأي ثمن مثل السابق، بل أكد ضرورة حضور المسؤولية الجديدة النابعة من الخوف والميتافيزيقا للحفاظ على البيئة حيث يشترط حضورهما معا أو تغليب أحدهما على الآخر، حتى نتمكن من الاستمرار والعيش بسعادة وبأقل الخسائر وبإتيقا جديدة تعبر عن قيمة كل الأشياء (البيئة، الإنسان).

حيث يقول **يوناس** لتأسيس أخلاق المستقبل:"أقر وأعترف أولا أنني أومن بالميتافيزيقا أي الوجود الذي يبرز ذاته لا يؤكد فقط ما هو كائن ولكن ما هو مفروض علينا أداؤه اتجاهه، فالأخلاق شرط أنطولوجي مبرزٌ في عدة مستويات لأنه يحدد أولا وجود الإنسان وبعد ذلك في الوجود بصفة عامة، فالميتافيزيقا أساس لأخلاق المسؤولية سواء بوجود محكمة دنيوية أو عدم وجودها، فالأمر يتعلق بالمسؤولية أمام إلحاح الضمير"[2] الإنساني، ما اشترطه أيضا في مسؤولية الباحث والطبيب لكي يكتمل نجاح مبدأ المسؤولية ثم أضاف إليها إحياء ميتافيزيقا جديدة رافضة للتطور التكنولوجي غير البناء ما دام أنه يخرب دون أن يصلح، ولأنها أيضا تقوم بتنبيه الإنسان المعاصر نحو المستقبل عن طريق إعادة إحياء الضمير اتجاه البيئة الصماء بطريقة إتيقية.

"فيجب الاستعداد لتلبية الميتافيزيقية من أجل تأسيس أخلاقيات المستقبل لأننا بحاجة إليها كي نكون قادرين على المسؤولية يعني بالفعل نكون تحت قيادة الواجب، لكن القدرة على المسؤولية الأخلاقية كقوة وجودية للإنسان ولتغيير العمل"[3] الميتافيزيقي مؤسس

1 وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص245

2 زهية العايب: أخلاق البيئة والمسؤولية عند هانس جوناس، الفلسفة الأخلاقية، المرجع السابق، ص465.

3 Hans jonas, **pour une éthique du futur**, Op.cit,p82.

على الواجب وأخلاقيات المستقبل المجردة عن العلم التكنولوجي لتفادي الاغتراب الموجود بين البيئة والبشر، فلا نستطيع العيش دون البيئة الأم لأنها إرث يجب الحفاظ عليه بأي مبدأ يحقق لنا هذه الغاية والميتافيزيقا أحد المبادئ والمطالب الفلسفة البيئية.

بما أنها "مذهب في الوجود حيث يشكل الإنسان جزء منه، وبذلك يرفض **يوناس** فكرة بأنه لا توجد حقيقة ميتافيزيقية بل يرى أنه حتى لو أصيبت الميتافيزيقا بالنكبة إلا أنها من الضروري تجاوز ذلك، فهي الوحيدة القادرة على تعليم الإنسان ولا تزوده بالمعرفة الفينومولوجية ولكنها أنطولوجية، والحاجة إلى الميتافيزيقا هي التي تقي الإنسان وتحميه من التقنية لتجنب وضع نهاية للحياة"[1]، ففعلا استطاع **يوناس** إعادة إحيائها جاعلا التوجهات الأخرى المدافعة على البيئة تدعو إلى ضرورة الرجوع للمبدأ الميتافيزيقي الذي يدرس مستقبل الوجود وليس ظاهرة فقط، فأصبحت موضوعا لنقاش العلماء والباحثين داخل حيز المعرفة التكنولوجية بالفعل الإتيقي.

1 زهية العايب: أخلاق البيئة والمسؤولية عند هانس جوناس، الفلسفة الأخلاقية، المرجع السابق، ص466.

3/إسقاطات الميتافيزيقا داخل الايكولوجيا العميقة :

تبقى "الميتافيزيقا لها دور في الإيكولوجيا العميقة خصوصا بعد اعترافنا بالأزمة الإيكولوجيا المعاصرة نتيجة تغيير الواقع الضروري مع تفادي منهج السطحية المهتمة بإزالة التلوث واستنفاد الموارد غير المتجددة، فالخطر البيئي لا ينبغي الاستهانة به ولا المبالغة فيه بل المطلوب الحماية المناسبة للإيكولوجيا الطبيعية، مع ذكر أخلاقيات الطبيعة"[1]، لأن العالم الانساني يعيش حالة القلق والخوف من المستقبل فأقام **يوناس** موضوع أخلاقيات البيئة بطرح صحيح، لأن الحركات الإيكولوجيا الجديدة كان مرجعها فكره الأخلاقي بتأكيدهم على موضوع الميتافيزيقا والمسؤولية داخل الإيكولوجيا العميقة.

من خلال "الإصرار على العلم البيئي لفهم الأزمة أولا لا يكفي التنديد كما فعل مطالبوا أخلاق البيئة لأن هناك قيود شكلت في الأخلاق تم استبعادها، فيجب معالجة الانتقادات المشككة في شرعية قيود الفلسفة البيئية، بإعطاء قيمة للعالم الطبيعي قبل البشر انطلاقا من المبحث الميتافيزيقي مع حقيقة تمثيل الفصل بين البشر والطبيعة"[2] فكان على الفلسفة التدخل في انعكاسات التكنولوجيا بجدية ميتافيزيقيا، ما أعطى لفلسفة **يوناس** جمالا فكريا بفتحه مجالا واسعا للنقاش أمام الفلسفة البيئية التي لا يقتصر موضوعها على التلوث مثلا، بل عليها معالجة صلب الموضوع الاتيقي الموجه للإيكولوجيا بتفعيل مبادئ فلسفة **يوناس** وتبنيها بشكل حر هادف للمستقبل.

"على أرض الواقع بأخلاق تسأل عن قضايا البيئة بالميتافيزيقا وفقا للاقتراح المقدم من قبل الانطولوجيا المؤسسة للإيكولوجيا العميقة (...) والأزمة البيئية موجه للأنظمة

---

[1] Hicham stéphane afeissa, **qu'est-ce que l'écologie?** ,Op.cit,p62.

[2] Ibid ,p63.

الأخلاقية، لذلك يجب تعديل شروط الحياة الأخلاقية وفقا للعمل الميتافيزيقي القادر على تغيير النظام، لأن هناك قضية بيئية في نظر منظري الإيكولوجيا العميقة"[1] بمساعدة الميتافيزيقا في توضيح الأزمة الإيكولوجيا، كونها أزمة المبادئ الأخلاقية الكلاسيكية تحديدا، فالإيكولوجيا العميقة ترفض الفكر الكلاسيكي وهنا نجدها تتفق مع **يوناس** برفضه لها وبإدراج الحل داخل أخلاقيات المستقبل المنقاد من قبل الميتافيزيقا والقلق على ما هو قادم فالخير والشر من فعل التكنولوجيا البشرية لا غير.

نتج عنها عدم الثقة في أراء الفلاسفة حسب **أرني نايس** ARNE NAESS فيما يتعلق "بإقامة معاهدة السلام بين الإنسان والبيئة، إلا أننا في أمس الحاجة إلى الفلسفة بعامة وإلى الفلسفة الميتافيزيقية بخاصة لأن الممارسات العلمية هي سبب كل المشكلات البيئية" [2]، نظرا للفهم السيئ لأهمية الفلسفة داخل العلم التكنولوجي، بسبب اهتمامها بمباحث الأكسيولوجية والوجودية في البحث عن العلل الأولى التي كان الإنسان متقيدا بها ومستقرا في حياته البسيطة، وبتجاوزه الفلسفة فإنه تجاوز لنفسه ولذاته بانتحاره غير المباشر وهذه المرحلة لم يتوصل إليها الإنسان سابقا نتيجة تبنيه للمذهب الميتافيزيقي.

" تسبب عنه الخصائص العلائقية المنبثقة من موضوع الإيكولوجيا العميقة موسعة عن أي نوع من أحكام القيمة فهي حقيقة بمعني أن القيم ليست مستقلة عن الكائن، بل هناك تدميرٌ وانتهاك ضد نفسه فتدمير الطبيعة له تأثير فوري وما يجب القيام به تمزيق نسيج التجربة ضد الأشياء، التي تقضي على النوع والصفات ويجب تحقيق الارتباط حماية البيئة في تنوع مكوناتها"[3]، اعتبار التنوع شرط للبيئة الذي قضى عليه الإنسان سعى إلى نشر وحدة النوع خصوصا النباتية لتلبية متطلباته الاقتصادية، دون انتباه لحجم

---

[1] Hicham stéphane afeissa, **qu'est-ce que l'écologie?** ,Op.cit,pp 63-64 .

2 وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص243.

[3] Hicham stéphane afeissa ,**qu'est-ce que l'écologie?** , Op.cit,p66.

الكارثة التي تبناها الإنسان، فالميتافيزيقا هنا تؤكد على ضرورة الحفاظ على التنوع الإيكولوجي لأنها صنع الخالق ليس الإنسان وهي أحد معالم الحركة الإيكولوجيا العميقة.

"نسميها اليوم تحقيق البشر لذاتهم خاصة ما يكون داخل البيئة بتوسيع التجارب الميدانية في علاقات الذات، لجلب الطبيعة إلى أعلى درجات تطورها وإعطائها الحياة بشكل أكثر اكتمالا لجعلها قادرة"[1]على مواصلة مشوار الحياة، فجل الحركات البيئية المعاصرة أهمها الحركة الإيكولوجيا العميقة تتفق مع فلسفة **يوناس** بمطالبة حقوق الإيكولوجيا في جوهرها الخالص، أي الرجوع إلى الحياة الأولى التي فيها الوفاق بين البشر والبيئة على نمط جديد من الممارسة الأخلاقية والميتافيزيقية قدمتها الفلسفة التطبيقية في شقها البيوتيقي، المقترنة بالمسؤولية الجديدة ومؤكدا عليها **يوناس** غير النافية للعلم بل انتقدت التطور السريع الذي خلفه العلم وللوسيلة المستند عليها.

فأجاب **هبرماس** "بأن الفلسفة هي التي تتناول وتهتم وصاحبة الرؤية في هذا المجال إنما بمنهجها وتساؤلاتها يمكنها أن تضع الطبيعة والبيئة موضع تساؤل، لإيجاد حلول فننتقل من الفلسفة النظرية إلى الفلسفة التطبيقية، لأن زمن الفلسفة التأملية التي تغوص في قضايا الميتافيزيقية قد ولى (...) بأنها صاحبة رؤية أكيدة" [2] بالنسبة لموقف **هابرماس** التواصلي، نجده متأثر بفكر **يوناس** الأخلاقي البيئي مثل الحركة الإيكولوجية العميقة نتيجة جملة التجديدات وإسقاطات فلسفية كان محركها الأول لتوجه **يوناس** البيئي بسبب قوة فهمه لضرورة الوجود، لأن الإنسان في أمس الحاجة إليه وفق الفلسفة الميتافيزيقية في أخلاقياته ومسؤولياته وواجبه، لإيقاف انعكاسات التقدم التكنولوجي الذي لابد من تجاوزه بكل الطرائق أهمها الفلسفة المعاصرة التي تقدم له ضوابط مستقبلية.

---

[1] Hicham stéphane afeissa, **qu'est-ce que l'écologie?**,p67.

2 عبد الغني بوالسكك: الفلسفة البيئية وأخلاقياتها، الأخلاقيات التطبيقية، المرجع السابق، ص ص 179-180.

المبحث الثاني:

إتيقا الممارسات تكنولوجية اتجاه البيئة

1/ الواجب بين كانط ويوناس :

إن جميع قواعد واجب **كانط** لم تهتم بتعامل الإنسان اتجاه البيئة أو المستقبل، بل كان تركيزها على الأفعال البشرية بشكل قانوني مدني، أكثر من الأخلاقي اتجاه العلم اعتباره قاعدة استفاد منها الإنسان نفسه لا غير، وهي جوهر عيوب واجب **كانط** لعدم تفعيله أكثر على حدود واسعة واقتصر بالحدود الضيقة المحصورة.

" فتقوم الأخلاق عند **كانط** على ركيزة أساسية هي أن الإنسان غاية في حد ذاته لا يجب معاملته على أنه وسيلة ويجب أن يكون فعل الإنسان مبدأ لقانون عام، ولما كان الإنسان عند **كانط** غاية في حد ذاته فكان من المسموح له أن يتصرف بحرية مع الموجودات الأخرى غير الإنسانية لتحقيق مصالحه، فمن المتاح له أن يسخر كل ما في الطبيعة لخدمته فجعل **كانط** قيمة المعرفة مرتبطة بجعل الإنسان قيمة في حد ذاته"[1] اعتبارا أن واجب **كانط** موضوع مهم في العصر الحديث، لما له من تأثيرات جانبية على فكرنا المعاصر ولعدم تجاوزه لأنه لا يخدم مستجدات الواقع المتغيرة جذريا عن ما سبقه فلسنا بحاجة إليه، كون مركز اهتمامه دائما الإنسان اتجاه الإنسان والحاضر فقط لم تكن له أبعاد مستقبلية.

"تتقيد بفكرة الإنسان على وصفه المخلوق الوحيد الذي يمتلك حرية الإرادة والوحيد الذي يضع قوانين، بالتالي فهو أسمى من كل شيء آخر في الطبيعة يخضع لقوانين الكائن العاقل وحده، وهو الذي يمتلك المقدرة على السلوك بحسب تصور القوانين أي بحسب مبادئ، أو بعبارة أخرى هو الكائن الذي يمتلك الإرادة لذلك **يوناس** يرى أن الأخلاق **الكانطية** تتأس على مركزية الذات الإنسانية، وتتجاهل الموضوعات غير

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص141.

الإنسانية"[1] تهتم بالجانب المعرفي الإنساني فقط، فجميع العلوم كانت تسعى لتقديم حلول آنية خاصة به دون التركيز على المادة المستمدة منها المعرفة فالحكم يرجع إليه وحده لا غير، باعتباره القوة العاقلة رغم تأكيد **كانط** على ضرورة حضور القوانين بأنواعها الأخلاقية والمقننة، إلا أنها لم تؤكد كيفية تعامل الإنسان مع البيئة أي لم تناقش سوى القضايا البشرية في عصره، البعيدة عن واقعنا التكنولوجي، والناتجة عن المنهج التجريبي الخاص بالإنسان الذي لا يملك حق تدمير بيئة الأجيال المستقبلية، فلم يبق لها ما تستفيد منه، إذ ليس بإمكاننا أن نضحي بحق آخر في الحياة لأن جل البشرية الحاضرة استفادت من خيرات البيئة، فيجب ضبط واجبنا اتجاه ما تبقى داخل المحيط الإيكولوجي كشرط ينفّذ وليس مجرد كلام.

"لأنها لم تضع في حسابها فكرة المستقبل البعيد للجنس البشري واضعا **يوناس** في مقابل الأمر المطلق **الكانطي** تصورا جديدا، يطالب بوضع محاذير على العمل الإنساني تطالب الإنسان بأن يضع في اعتباره إمكانيات الحياة على الأرض وكذلك حقوق الأجيال المقبلة، وما يوجهه **يوناس** من نقد إلى الأخلاق الكلاسيكية قائم على فكرة عدم صلاحيتها الآن، في ظل هذه التحديات التي فرضها التقدم التكنولوجي على الإنسان"[2] نتيجة تغير الظرف الاجتماعي والمكاني، فلا توجد علاقة تفاعل بين واجب **كانط** والواجب التقني لأن التطور العصري يختلف عن التطور الكلاسيكي المؤسس فيه واجب **كانط** نتيجة ظرفه الزماني والمكاني والعوامل داخلية وخارجية التي لا تتفق مع راهننا المعاصر المتميز بأزمات من نوع آخر يصعب تجاوزها.

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص142 .
[2] نفسه: ص143.

"كلها تحولات في الفعل الإنساني تتناول الواقع الإنساني بذاته فإن الأمر القطعي **الكانطي** لا يستطيع أن يدل على الأمر المتكيف مع حضارتنا التقنية، فهو بدون شرط وبدون تعلق بمادة الفعل ولا بهدف أو بنتيجة، إنما يتعلق بصورته وبعلاقته بمطلب التعميم كلي **(...)** ويستعيض **يوناس** هذا الأمر القطعي بأمر جديد يتضمن تمام الإنسان وتمام الحياة"[1] عندما أكد **كانط** على الإنسان أن يفعل اتجاه أخيه الإنسان دون مقابل وبشكل مطلق حر **فيوناس** استبدلها اتجاه البيئة ضد التقنية،ربما لو كان **كانط** قد عايش هذه الظروف لكان اتخذ نفس منحى **يوناس،** لكن الممارسات العلمية الحاضرة لازالت متقيدة به لا تحاول العمل بأسس جديدة تساعد في بلورة الواجب الجديد.

"من خلال وضع الحتمية العامة على سلوك الخاص وهذا الأخير لا يكون هو البعد السببية بوصفها ضرورة حتمية عند **كانط،** كونه معيار اللحظة دون تطبيقاته المستقبلية العالمية بل يجب الاهتمام بتقرير المصير بما يتفق مع بقاء النشاط البشري مستقبلا والقضية ليست مجرد فرضية بل خضوعها لمقتضيات جديدة"[2] يطرحها الواجب الجديد لاهتمامه بنتائج العلم التكنولوجي ومدى تأثيرها مستقبلا على البيئة، لكن لا يمكننا تجاوز واجب **كانط** داخل الواقع دون التركيز على المجال الإتيقي الجديد، الذي يهتم بالجانب التطبيقي لأفعال البشر العلمية الموجه نحو المستقبل لكي نغير المفهوم من الواجب الآني إلى الواجب المستقبلي الموجه للتفكير نحو مستقبل البيئة المجهول.

قائلا **يوناس:** "الإنسانية الشاملة هي التي أصبحت معيارا وليست مرجعا فإنني أضطلع بالإنسانية القادمة التي لن تقدم لي بالبداهة أية محنة، وهذه اللاتبادلية في الأمر **يوناس** تشكل عنصرا مميزا ما دام واجبي ليس البتة بالصورة المقلوبة بالواجب الآخر

[1] جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص ص 81-82.

[2] Hans jonas , **Le principe responsabilité**, Op.cit,p41.

والمثال الوحيد الذي يذكرنا بهذه اللاتبادلية (...) هو مثال الالتزام اتجاه الأطفال المولودين فأنا مدين لهم بكل شيء دون أن ننتظر منهم أي شيء"[1] لينحصر واجب **يوناس** في حدود هذا المثال حاضرا ومستقبلا للبيئة والإنسانية، بمعنى أن تطبيقات واجب **كانط** تمارس على نحو مغاير لتمنيات الفعل الخلقي الواسع والبعيد المدى ارتبط بالواجب الجديد.

لكن "يبقى مبدأ المسؤولية شعور لا يثير فينا إشكالية الواجب أو أخلاق احترام قانون **كانط** فريدة من نوعها، يصبح مصدرها له تأثير غير هادف من العلاقات العامة بمبدأ عالمي لكن حسب نموذج الاختيار البعيد عن تقرير المصير وضرورة الحتمية التي قال بها **كانط** فكان لها صدى، لكنه فكر يفتقر للنظام المتقيد بالذات من قبل الاتفاق مع الذات إن صح تعبير"[2] **يوناس**، لأن نموذج المسؤولية الجديدة مهتم بالجماعة أكثر من الفرد، بينما واجب **كانط** يهتم بالفرد ونظيره الآخر دون التركيز على الجماعة لما لها صدى كبير في تغيير حياة الإنسان، فتأثيرها أكثر فعالية على سلوك الفرد والنتائج المترتبة عنها بشكل كبير إما سلبا أو إيجابا نحو ما هو قادم لأن ممارسة تفكير الجماعية تترك دائما أثر.

بمحاولة "فهم القانون الأخلاقي بأنه نهايته الخاصة التي تؤدي إلى تضارب في حقيقة الحدس الأخلاقي **عند كانط** لحضور أكثر من منطق نظام، وهذا الفراغ الخاص يؤدي إلى ضرورة بحث عن معايير لإمكانيات عالمية دون تناقض، لأن **كانط** نفسه استبدلها من مجرد شكلية معداتها إلزامية بصناعتها المبدأ القاطع لتحقيق أغراض خاصة إذ يجب تغيير هذا الفراغ"[3] الأخلاقي إلى الفعل الإتيقي، داخل الأبحاث العلمية المنافية

---

[1] جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص ص 82 -83.

[2] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p176.

[3] Ibid,p177.

لمبحث القيم الذي تجاهله واجب **كانط** لقوة تجرده عن الفعل التكنولوجي، لكن إنجاح الفعل الإتيقي للواجب الجديد داخل العلم مرتبط بمدى نجاح الفكرة على صداه البعيد، أي لا ينبغي أن ينحصر الواجب في حدود العقل كما تبناها **كانط** ونفاه **يوناس** مؤكدا على جانبه التطبيقي المادي ليجمع بين العقل وتطبيقاته العلمية المفيدة لصالح البيئة.

"داخل الأعمال السلطوية لواجب **كانط** المعتاد الذي لم يعد القيادة المثالية للإنسان في القيام بالفعل أو عدمه، لأن **كانط** قال لديك حتى تستطيع واليوم علينا أن نقول ينبغي لأنك تفعل،"لأنك يمكن" السلطة الخاصة بفعل العمل، والسلطة عند **كانط** إخضاع ميل الواجب وليس السببية كقوة داخلية وهي موضوع شك كبير يصبح الإكراه فيها ضروريا ضد سلطة **كانط**"[1]، لابتعادها عن الجانب الوجداني للواجب لم يدرجها فيه بل اهتم بالمجرد القانوني لكن **يوناس** عكسه تبنى المفاهيم الدينية، الإتيقية وحالات شعورية مرتبطة بالضمير، وهنا كان ذكيا بموقفه الفلسفي أكثر من **كانط** بسبب الواقع البيئي مؤكدا أنك واع بالفعل فإنك مسؤول عنه، إذن مثلما حضر الضمير داخل المسؤولية كشرط يؤكد على ضرورته في الواجب فمدام الإنسان يتعامل بضميره وواجبه داخل المجتمع وبمستقبله البيئي والإنساني يمكنه عندها النجاح، لكن للأسف مجتمعاتنا الحاضرة لم تتوصل لفهم مبدأ المسؤولية الوجدانية بشكل عالمي فلا يمكنها العيش بوفاق مع البيئة إذا لم تتفق فيما بينها لممارستها بشكل كبير.

لأن" الغرض من قيمة الواجب الجديد تحقيق مشروع بمظاهره الأخلاقية المقترحة في مبدأ مسؤولية الواحدة، أولا هو ردع الثنائية بالنظر إلى الوجود عن طريق تقييم الذات والموضوع، ووفق **يوناس** ليس مرسوما على وجود حقيقة منطقية في الواقع بل يجب تحمل وحدة العناية المركزية، فإنه من المستحيل التأسيس لحقيقة وجودية في مجال

[1]Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p178.

أخلاق المجهول إلا بالتخلي عن واجب **كانط**"[1] بشكل قطعي، كونه لا يتحمل المسؤولية بحدودها البيئية والكونية بصفة عامة باعتباره واجبا قاصرا علينا رفضه وتجاوزه لاختلافه جذريا عن التفاعلات الراهنة، إلا أن العقول الحاضرة لازالت تعمل بمثل هذه المبادئ التي نجاحها في حدود ضيقة من واجباتنا المسؤولة لكن على نطاق المفتوح غير قادرة على تغيير الواقع السيئ الناتج عن سيطرة الآلة في شتى مجالاتها، فواجب **كانط** لا يخدم مسؤولية رجل الدولة في تقنين الفعل التكنولوجي والتحول الجيني فما أدراك لو استمر داخل المستقبل بيئي أكثر تعقيدا؟.

فوجدنا **يوناس** يؤكد "عقائديا أن العلم الحديث يجب التشكيك فيه وينظر لطبيعة طراز جاهز، لكنه يفضل تفسيرا للظواهر من أسباب الكفاءة وليس من الأسباب النهائية وهذا الاهتمام من العلوم وجهها **يوناس** نفسه بالفعل في ظاهرة الحياة كجزء أساسي الأنطولوجي لأخلاق فاصلة بين الذاتية ومجال الموضوع، هو فصل في مجالات الحياة بسبب الملاحظات الساذجة لأن الإنسان جعل حياته لقمة العيش فقط"[2] ، فكيف نتوقع منه أن يقدم الأفضل للمحيط الإيكولوجي مستقبلا ؟لأن قدراته محدودة ومقيدة بالعلم المجرد المسيطر عليه بدءا من العصر الحديث إلى يومنا، هنا **يوناس** يرجع السبب إلى عدم التفكير في اعادة تكييف واجب **كانط** التي وجدت الأمم والإيديولوجيا ضالتها فيه لأنه يخدم مصالحهم المادية والمعنوية، لكن واجب **يوناس** يتصل بالإرادة الإيجابية وليس برغبة التملك الأنانية فكلما كانت الإرادة حاضرة للقيام بالواجب كانت المسؤولية الجديدة موجودة في تدعيمه بغية الخروج من دائرة الخوف والقلق المتأزم.

[1] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p21.

[2] Ibid,p22.

أعلنه **يوناس** مؤكدا "ضرورة إنهاء المركزية البشرية متحدثا في نهاية المطاف عن حتمية المسؤولية بالتزام اتجاه البيئة لأنها وطننا الدنيوي (...) فالإنسان قد بلغ ذروته ليصبح الكائن الأول من الواجب بدلا من القول أنه الكائن الحقيقي للواجب"[1]، لأنه لا يوجد غيره يتحمل نموذج الواجب الجديد اتجاه الوجود المستقبلي فالقول بالواجب يحولنا إلى القول بالمسؤولية الإنسانية المعاصرة، تحديدا المتطورة والتي جدت نفسها مضطرة للبحث عن أخلاقيات جديدة بواجب تستفيد منه مسؤولية **يوناس**، بضمير حي وإرادة مستوحاة من الفعل الطبي، الأكاديمي، السياسي وحتى الاجتماعي لصالح الرقي البيئي.

"يتطلب مفهومها جديدا بامتياز المرجح لتحفيز العمل الأخلاقي باكتشاف البؤر نفسها، ولكن لا يجب أن نحكم مباشرة على البديل من الواجب لأن الحياة هي قيمة يجب أن تدرك الحقيقة الموجودة، فلا يجب للرجال أن تحد من إرادتها للعيش عن استخدام الحياة الفنية مع التكنولوجيا وإنه ليس من الضروري القيام بذلك، والحياة حقا تفرض واجبات لكن بالحد من عمل نشاطات التكنولوجيا"[2] ضد البيئة، التي لخصها **يوناس** في كل فعل إتيقي مسؤول عن واجبه بتجاوز العنصرية والتفرقة البشرية من جملة الإديولوجيات العالمية لكي تتحد بصفة إتيقية لخدمة البيئة والإنسانية في حدودها المستقبلية الصحية والمنظمة.

[1] Hicham stéphane afeissa,**qu'est-ce que l'écologie?** Op.cit,pp45-46.

[2] Eric pommier, **Hans jonas, Le principe responsabilité**, Op.cit,p26.

الواجب	
كانط	**يوناس**
*** العصر الحديث الكلاسيكي.**	*** العصر المعاصر التكنولوجي.**
*** تطبيق المنهج التجريبي.**	*** الحد من المنهج التجريبي.**
*** المسؤولية الكلاسيكية.**	*** المسؤولية الجديدة.**
*** الاهتمام بالحاضر فقط.**	*** الاهتمام بالحاضر والمستقبل.**
*** الأخلاق الكلاسيكية.**	*** يوناس أخلاقيات التطبيقية.**
*** مركزية الذات الإنسانية.**	*** البيئة أولا والبشرية ثانيا.**

يبين الجدول قصور واجب **كانط** اتجاه البيئة البعيد عن مبحث أخلاقيات البيئة.

2/إديولوجيات الرأسمالية والاشتراكية داخل البيئة:

يتخذ **يوناس** مواقف نقدية من التصوارت السياسية والاقتصادية التي ساهمت في إحداث هذه الأزمة "مؤكدا إخفاق النظم السياسية والاقتصادية في التعامل مع الأزمة البيئية لأنها لم تضع في اعتبارها النتائج المترتبة، وبتطبيق سياستها على المدى البعيد مطالبا **يوناس** بتغيير السياسات العامة لأنها لم تعد تتعامل مع الموضوعات شاملة تتنبأ بالأمور على المدى البعيد، فالطبيعة متغيرة بالفعل الإنساني"[1] تبعا لتعامله مع البيئة فبقدر تعامله معها بمبادئ أخلاقية فإنها تغيير إيجابا مثل ما كان سائدا في العصور الأولى والوسطى، حتى تغير مبدأ احترام البيئة مسيطرين عليها في العصر الحديث والمعاصر بمستقبل مجهول، نتيجة أفعال الكائن البشري بتأثيره في المجال الاقتصادي السياسي بمنهجية خاصة لا تتفق مع ما ينبغي أن يكون.

يشترط إذن **يوناس** "ضرورة أن تكون الإيدولوجيات في ظل الوعي الأول الإيكولوجي بما هو تجلٍ لإدراك الفلسفي فرديا ونظريا، بل يتحول إلى عمل جماعي من خلال القيم الإيكولوجيا أي على الوعي الإيكولوجي أن يتحول إلى حركة نضالية لتحقيق قيمة الخاصة، لذلك يحتاج الوعي الإيكولوجي إلى حامل اجتماعي (...) ومن جهة أخرى تبدو الايدولوجيا ضرورية للوعي"[2] كي يتحقق الأمن داخل البيئة بنمطية تفكير الإتيقية وبالممارسات السياسية،الاقتصادية لما لها من تأثيرات على المجتمعات العالمية، **فيوناس** بيَن ضرورة الاهتمام بالميادين الفعالة لسرعة تطبيقها للتكنولوجيا بحجة اهتمامهم بالبيئة لأنها أكثر تأثيرا على الإنسان، في مقابلها **يوناس** أسس مبدأ مسؤولية رجل الدولة برفض

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص149.

[2] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص142.

الإيديولوجيات الحاضرة مدركا حجم التأثير السلبي على المستقبل، كسلطة تراقبهم مسؤولية رجل الدولة للحد من تجاوزاتهم الأنانية والمادية أكثر بمبدأ مسؤولية **يوناس**.

"بربط الصلة الوثيقة بين مجالات السياسة العامة إلى مجال القانون فيصف أيضا القانون بالقصور لأنه لم يضع في اعتباره لا مستقبل الجنس البشري ولا حقوق الأجيال المقبلة، فمفهوم الحق في القانون –كما أرسى دعائمه **كانط** – ينسب إلى الإنسان العاقل الراشد فقط والموجودات عبر الإنسانية مثل الحيوان بل الطبيعة بأسرها لا تنتمي إلى فئة أصحاب الحقوق، فهذا الوضع يجب تغييره حسب خطورة الموقف"[1] المستقبلي حتى نحمي الإنسان القادم من أزمة الموت البشري كحقيقة حتمية ينبغي الخروج منها بتدخل السلطة القانونية لإرجاع الحق الأول للبيئة، فمثلما طالب الإنسان بحقوقه داخل الدولة التي سعت لتلبيتها له فعليها اليوم أن تأخذ موقف دفاع عن مبدأ حق البيئة الصماء من أجل الاستمرار على نحو صحيح، فالبيئة انتهكت جميع حقوقها من قبل سياسات الإيديولوجية واليوم تطالب البيئة بإعادة إحيائها بطريقة غير مباشرة بجملة العوامل الإيكولوجيا الجديدة.

"يعني حضور صورة أخرى تكون لدى الذات الإيديولوجيات لكنها تظل محكومة بمنطق الايديولوجيات المبنية على الانحيازية والمنفعة بالتالي (...) فالإديولوجيات ايكولوجيا تتطلب انحيازا لمصلحة البشر كنوع حي ولمصلحة الأرض ككوكب صالح للحياة"[2]، وأهم الايديولوجيات الخطيرة على محيطنا نجد النظام الليبرالي الرأسمالي الفردي يقابله النظام الشيوعي الاشتراكي الجماعي، لكن المهم في الموضوع مدى تأثير الايديولوجيات داخل البيئة، فهل ساهمت بالمطالبة بحقوق البيئة أم السيطرة عليها؟.

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص150.
[2] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص ص143–144.

أ/ يوناس والرأسمالية :

تصنف الرأسمالية كأكبر قوة علمية واقتصادية بإمكانها التأثير على العالم نتيجة تطورها التكنولوجي الذي يشمل جميع الميادين البشرية، لذلك كان لها أثر ضار في الحياة والبيئة بدل المنفعة المادية التي تسعى لي تحقيقها دون تراجع عنها.

"نجد الوعي الإيكولوجي لم يبدأ من الحكومات الليبرالية بل نبع من الشعوب، لكن الليبرالية تواجه مفارقة في علاقتها بالمسألة البيئية فمع أنها تسمح بالقضايا البيئية إلا أنها لا تتيح الفرصة لإنجاز وتحقيق السياسات البيئية والحفاظ عليها، وتبريرها لذلك أنها تعتنق العمل العام من أجل حماية البيئة وذلك عائد إلى التأثير في السياسة العامة، ترتبط بالأغلبيات الحاكمة في ظل الليبرالية"[1] لأن همها الوحيد فكرة مركزية الذات البشرية المشجعة للنظام الطبقي، مطالبة بعدم تدخل الدولة في شؤون الأفراد الاقتصادية والعلمية مّما أفرز أفكار متطرفة عن الجانب الإتيقي والديني داخل المجتمع الرأسمالي، ما أدى إلى التدمير السريع للبيئة فلا توجد أية قيود من شأنها تهذيب سلوكاتهم اتجاه المحيط الخارجي فجل اهتمامهم بدولة الرفاهية في مقابل خراب المستقبل البيئي.

يترتب في النتائج الخطيرة على نظام الرأسمالي من ناحيتين :"الطبيعة والبيئة واستمرار النظام الرأسمالي بشكله الحالي يؤدي إلى موت العالم، وخطورة هذا النظام تكمن في بنيته القائمة عن المناقشة (...)فكل رأسمالي يبحث باستمرار عن زيادة الفوائد حتى لا يفقد مكانه، وفي ظل هذا النظام تلتهم الأبعاد الاقتصادية الطبيعة وتخلق العديد من المشكلات الإيكولوجيا"[2] المغيرة لحقيقة البيئة، فنهب النظام الرأسمالي كان يشكل الجشع البشري المجرد من أية جوانب روحية وإتيقية حتى وجد نفسه داخل مجتمع يعيش حالة

[1] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص146.

[2] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص ص150-151.

فراغٍ، واغتراب موجود بين الإنسان والبيئة لأن الطبقة الحاكمة الرأسمالية لم تركز على ما سوف تتركه للبيئة حتى لو وجدت الأقلية داخل هذا المجتمع قد اهتمت بأخلاقيات البيئة إلا أنها تبقى على نطاق ضيق لا تلقى الدعم من قبل نفس أعضاء المجتمع الكبرى.

"داخل المسيرة التكنولوجيا ومسيرة الرأسمالية المعاصرة لتكمن وحدة الهدف في أن هدف التكنولوجيا المعلن هو السيطرة على الطبيعة، بوصفها مجالات لا يحقق فيها الإنسان السلطة والسيطرة على الإنسان بوصفه جزء من الطبيعة، مع إنشاء مجتمعات رأسمالية تتماشى فيها التكنولوجيا مع الرأسمالية المتوحشة، بالسيطرة المتجهة إلى ذاته"[1] كلها حقائق يدركها المجتمع الرأسمالي المعاصر لكنه لم يتراجع عن سلوكه غير الأخلاقي اتجاه البيئة، فالأرباح المادية قد أعمت عيون الرأسمالية اتجاه الآخر مركزة على التكنولوجيا المستمدة من البيئة، إضافة أنه لا يمكن معرفة الشخص الفاعل داخل هذا المجتمع كي يتم ضبطه بمسؤولية رجل الدولة وفق **يوناس**، لأن كل فرد داخل الدولة الرأسمالية له أعماله وطموحاته الخاصة على حساب المستقبل.

"نتيجة إفراط النظام الرأسمالي في الإنتاج والاستهلاك ولتأثيره المدمر ليس فقط على الطبيعة ولكن على الكوكب بأسره، فالنظام الرأسمالي وأهدافه وآليات عمله داخل المجتمعات بحكم أنها العدو الخفي الذي يهدد كل من الإنسان والكوكب مستخدمة ثروات المستقبل لإشباع الاحتياجات الحالية، فالحكومات الرأسمالية لا تفكر في المستقبل"[2] والخاسر الأكبر من هذا النظام هو الجيل المقبل غير مفكر فيه، وكل ما يشغل تفكيرها تحقيق أكبر قدر من الأفكار كي تستفيد منها نافية كل المبادئ الواقفة عائقٌ أمام منافعها الحاضرة، وإذا استمرت بتوجهاتها فإن موتها وموت العالم لا مفر منه مساهمة فيه بدرجة

[1] محمد عابد الجابري: أزمة أسس(السيطرة من أجل السيطرة) www.aljabriabed.net/07/12/2016.19:09

[2] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص152.

كبيرة، رغم إدراكها لعيوبها ونقائصها التي فاقت كل الأفكار والأنظمة الماضية مبتعدة عن تحمل مسؤولية أفعالها الاجتماعية السياسية، الاقتصادية التي رفضها **يوناس** بعدما عايش ما نتج عنها.

"فنطلق من أن الغرب الرأسمالي قد وعد بالنعيم ليصبح أكثر تشككا مع توزيع الإنتاج في اعتبار المزيد من الاغتراب اتجاه البيئة داخل المجتمع الاصطناعي، أي التجريد من الإنسانية من منظور الليبرالي والسلطة المطلقة بالإيمان بالتقنية فقط"[1] المبنية على التنافس، داخل أصحاب رؤوس الأموال والعلماء والباحثين في جانبها المعرفي والسلطة القانونية من قبل الساسة، فكل منها يكمل الآخر داخل المجتمع الليبرالي المبني على التراكم وكثرة الإنتاج الناتجة عنه الأزمات بيئية، لأن محور تفكيرهم الربح بدمجهم المذهب البراغماتي في حياتهم العملية والخاصة لينتقل إلى المجال العلمي الهادم للأخلاقيات ومبدأ الكرامة.

أثبت إذن معين رومية "أن المشكلة التي تواجه الليبرالية هي الأزمة البيئية بكونها تلحق الأذى ليس بالبشر فحسب (...) لأن الليبرالية لا تقر بالآخر غير البشري ولا تعترف بحقوقه فهو في الأصل ليس في منظورها، إذن الليبرالية يمكنها أن تواجه التحدي الذي تمثله الأزمة البيئية والسبب في ذلك يكمل في أن الإيكولوجيا تستلزم تدخل الدولة الذي تسوغه فكرة الخير المشترك، وبالتالي يتناقض هذا مع حيادية الدولة في الليبرالية بل أصبحت الليبرالية متوحشة يصعب في إطارها توقع الاهتمام بالوعي الإيكولوجي"[2]، ما دفع **يوناس** للتدخل بمنطق العقل الإتيقي المسؤول اتجاه المجتمعات المضرة بالبيئة والمستقبل أبرزها الليبرالية، ولكن لنتجاوز مخلفاتها المؤلمة عليها التفكير بمبدأ مسؤولية

---

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p294.

[2] معين رومية : من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص ص148-149.

يوناس كنموذج صالح الذي أستقبل بالرفض من قبل القوى العظمى لليبرالية، فلم يلق الترحيب الفكري إلا من الفئة الأقلية غير المالكة للنفوذ داخل الدولة التي لم تحترم المحيط المتجانس في خلقه، ومازالت تتمادى في التغيير بمختلف مظاهره البيولوجيا والاقتصادية دون الحاجة إليه.

ينحاز **يوناس** "إلى كل هذه التحفظات عن تعامل النظام الرأسمالي مع الطبيعة ولا يقف الأمر عند **يوناس** في حدود ما يمثله ذلك من اغتراب أو استغلال بل يمتد إلى أن يحمل في طياته خطر الموت،وفي الحقيقة يقدم **يوناس** نقده للرأسمالية عند فكرة استغلالها للطبيعة فهو لم يتطرق لنقد أو لتأييد الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، حيث يتعرض في كتابه مبدأ المسؤولية لفكرة الرأسمالية بوصفها وريثة للنموذج **البيكوني** فقط"[1]. لنفهم أن فلسفة **بيكون** حاضرة في الفكر الرأسمالي والاشتراكي على حد سواء وهي أقوى آثار العصر الحديث ساحبا الواقع والمستقبل إلى الهاوية، فجلُّ ما ينبغي تقديمه لنفسه كان لابد أن ينحصر في الضروريات دون اللجوء للكماليات القاتلة، فما يعانيه الواقع البيئي من تلوث المحيط الجوي والتلوث الجيني للإنسان لا يستدركه رجل الدولة الرأسمالية الباحثة عن الرفاهية دون انقطاع بشكل يومي، فأي القيم يتجه إليها الإنسان في السياقه الليبرالي؟ إذ لا توجد إلى حد اللحظة ضوابط تغير مسؤوليات هذا النظام وهنا فعلا يكمل خوف وقلق **يوناس** منها.

"كون الرأسمالية المعاصرة بنظامها الحالي عاجزة عن أن تقدم حلولا لهذه المشكلات وذلك لأن بنيتها الأساسية هي الوفرة والاستهلاك، فهل يمكن للاشتراكية بنظامها الاقتصادي الموجه أن تتفادى الأخطاء التي وقعت فيها الرأسمالية ؟وهل تختلف الرأسمالية

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص154.

عن الاشتراكية في نظرتها إلى الطبيعة ؟وأيضا هل تختلف معها في موقفها من التقدم التكنولوجي؟"[1] كلها أسئلة طرحها **يوناس** في كتابه مبدأ المسؤولية الذي وجدنا تركيزه فيه أكثر على مسؤولية رجل الدولة المرتبطة بالضمير والفعل الإتيقي بمباحثه الفلسفية الجديدة من بينها البيوتيقا لتهذيب مثل هذه النماذج المدعمة للعلم غير الأخلاقي والمتشبعة بالأفكار الرأسمالية التي تولد عنها النظام الاشتراكي ليقع العلم بعد ذلك في مقارنة بينهما والخاسر الأكبر هو البيئة قبل كل شيء، فبالنسبة **ليوناس** تبنّى موقف الحياد منهما مدعما البيئة للحفاظ عليها داخل هذه الايديولوجيات (الرأسمالية/الاشتراكية).

ب/ يوناس والإشتراكية :

نجد "أن الوعي الإيكولوجي لم ينشأ في البلدان الشيوعية بسبب النظام الشمولي الذي كان سائدا فيها إلا أن التخريب البيئي كان على أشده في هذه البلدان، ويعود ذلك أن هذه البلدان حاولت أن تقيم مجتمعات اشتراكية متطورة وكان تدمير البيئة هو عاقبة الاستراتيجيات التي اتبعها لهذا الغرض، باستثمار مصادر الطاقة بهدف الاكتفاء الذاتي في مجال الطاقة والتقليد المبكر للمنتجات والاستهلاك البتروكيميائي الذي لدى المجتمعات الرأسمالية الأكثر تطور"[2]، فجلها خصائص مرتبطة بالنظام الاشتراكي غير المختلف عن النظام الرأسمالي في نهبه للبيئة لأنها مجرد آلة جامدة يجد الإنسان فيها غاياته، لإشباع رغبة السيطرة عليها وعلى كل ما يقع تحت يده فلا يهمه ما سوف يحدث مستقبلا، مؤكدا النظام الاشتراكي على هذا الحلم مثل الرأسمالية فجوهر الاشتراكية الذات البشرية بشكل جماعي لخدمتهم الخاصة.

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص163.

[2] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص150.

حيث "كان النمو الاشتراكي بأيٍ شكل من منظور الإنتاج الغذائي وفكرة الحد الطبيعي لصناعة الإنسانية وهذا بصراحة نفاق باسم المذهب الرسمي همه هيمنة الإيديولوجية، وهو جانب بشع لا يمكن حجب قضية التكنولوجيا ضد البيئة فيه أو تحديد درجة التقنية داخل المجتمع في الوقت الذي لا يمكن تحديد اللحظة الرجعية"[1]، التي فيها تكون التكنولوجية تلعب دورها داخل الفكر الاشتراكي المشجع للتطور كي يحقق أهدافه داخل المجتمع وخارجه بنطاق عالمي، مطالبا بالملكية الجماعية جاعلا كل الأفراد لهم حق في البيئة وحرية التصرف لكل بحث علمي.

"تكون فيه الماركسية حتمية شرط جماعي تعسفي لأن تكوينها على وجه التحديد تكوين جماعي مثل الرأسمالية من الناحية التقنية، والذي يجمع بينهم وجهة نظر محورية حول الإنسان والوسطية الأكثر تطرفا اتجاه البيئة ليتجسد إنتاج اليوتوبيا في الماركسية الداخلية، الذي يكمل في إغراء المدنية الفاضلة فهي الروح الأعمق للماركسية"[2] تساهم في الاغتراب البيئي، لأن الماركسي فكره اجتماعي ليس فرديًا له تأثير كبير في تفعيل أفكارهم المنافية للنظام البيئي للخروج من سلطة قيود الاحتياجات الخاصة بالقضاء على نظام الطبقية، كلها مُثُلٌ عليا غير أخلاقية للاشتراكية تحاول إثبات وجودها المتنافس مع الرأسمالية في جميع الأنشطة البشرية بيوتوبيا **ماركس**.

"التي لم تختلف عن الرأسمالية في نظرتها إلى الطبيعة فهي أيضا مادة مطروحة للاستغلال وموضوع للقهر والسيطرة بغرض تحقيق احتياجات معيشية **(...)** ويقدم **يوناس** نقدا للشيوعية مشابها تماما للنقد الذي قدمه للرأسمالية، فيرى أن الشيوعية هي الوريث الحقيقي لفلسفة **بيكون** في السيطرة على الطبيعة وكأنه أراد بذلك أن يطابق بين الشيوعية

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p295.

[2] Ibid,p296.

والرأسمالية في رؤيتهما للطبيعة مع اختلاف أهداف كل منهما"[1]، رغم ذلك اتفقوا على مبدأ الاستغلال، لكن **يوناس** بنقده للاشتراكية وجد نفسه ينقد **البيكونية** المتجسدة في الماركسية إذن فجذورها أيضا تعود للعصر الحديث مع **بيكون** مجردا البيئة من جوانبها الروحية والأخلاقية، لأنها في نظره غير حية في الفكر الماركسي المتشبع بمخلفات الكلاسيكية التي لم تسلم منها الأنظمة السياسية والاقتصادية معا.

"بتجسيدها للانبعاثات المفرطة للتكنولوجيا العلمية التي يمكن تعلمها من البرامج **البيكونية** أي استخدام السيطرة المباشرة على الطبيعة، وهنا مصير الإنسان لا يخلو من نوع الشك منذ البداية بعدم القدرة على التنبؤ بمعدلات نجاح الحقيقية (...) وهي الكارثة العالمية الراهنة بل علينا معرفة الخطر الذي لم ينشأ بعد"[2]، فقط لتحقيق النوعية في حياة الرفاهية، المختلفة عن الحقب التاريخية الماضية عن طريق الاكتشافات والأبحاث الجديدة المرتبطة بكل عمل تكنولوجي متفوق على النظام الرأسمالي، الذي كان أحد أهم محاور الاشتراكية فنجاحها يكمن هنا في نظرهم متجاهلين أهمية اتيقا البيئة لا بشكل فردي أو جماعي.

"داخل النظريات الاشتراكية لصالح البشر والمادة خاصة لانتفاع وكفة الطبيعة بذلك عن أن تكون أهلا للاعتراف بها كقوة في حد ذاتها، وبدت المعارف النظرية عن قوانينها المستقلة مجرد حيلة مرسومة لإخضاع الطبيعة لمتطلبات البشر والتي كان شغلها الشاغل هو الحلم بتوفير الاحتياجات المادية للإنسان (...) فالطبيعة هي المستودع يستمد منه الإنسان مواد بناء بيت المستقبل"[3] لم يهيئ ولم ينظر له في اشتراكية، وهو الجانب الذي

---

[1] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص ص164-165.

[2] Hans jonas,**Le principe responsabilité**, Op.cit,pp365-366.

[3] وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة(أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا)، المرجع السابق، ص ص 165-166.

رفضه **يوناس** في الشيوعية بصفة عامة لعدم اهتمامهم تماما بالبيئة، فهمهم الوحيد الربح والتنافس مع الليبرالية الذي لا يقتصر على الضروريات بل يتجاوز الحدود البعيدة عن حماية الوجود البيئي.

"بل ينظر الاشتراكيون إلى الإيكولوجيا على أنها إيديولوجيات تقشف أو محاولة لضمان راحة الطبقات الوسطى أو العليا، خصوصا أن أغلب أنصار البيئة هم من الطبقة الوسطى (...) فالاشتراكية الإيديولوجيا تدعم النمو بلا حدود أي النزعة الإنتاجية، فكيف يمكنها تحقيق المطلب الإيكولوجي؟"[1] رغم انتقادها للرأسمالية أنها لا تهتم بالمساواة داخل المجتمع، لكن الاشتراكية قد وقعت في خطأ الرأسمالية التي لم تساوِ بين الإنسان والبيئة إذن لم تتفق مع مبادئها وهناك خاصية أخرى بين المذهبين اهتمامهم باقتصاد المصانع والأسلحة المتطورة، كلها عوامل تسببت فيها الرأسمالية أولا وأكملتها الاشتراكية ثانيا وكان ثمنها موت البيئة ومستقبل الأجيال اللاحقة، وهذا أشد ما رفضه **يوناس** في الماركسية بتدعيمها للتكنولوجيا بمناهجها التجريبية دون الاهتمام بالبيئة وفي نفس الوقت تدعي المساواة.

فوجدنا **ماركس** قال "بضرورة تطوير ثروات الطبيعة البشرية، وهذا التطور يمكن أن لا يحدث إلا في أوقات الفراغ وليس مجرد هواية لكن من أجل الهيمنة"[2]، كلها حجج تزيدنا ثقة في تدعيم موقفنا الرافض للفكر الشيوعي وعلاقته بأخلاقيات البيئة الذي لم يلحق بها إلا لأذى العالمي، فلم ينحصر فكر **ماركس** على حدود نطاق مجتمعه الخاص بل كان له أثار على المجتمعات العالمية حاضرا ومستقبلا، وبهذا شجع فكرة السلب والاغتراب البيئي الذي نعيشه وسرقة حق المجتمعات القادمة فهو فكر **يوتوبي** خطير ضد الفكر البيئي.

---

[1] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص 152-153

[2] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,p268.

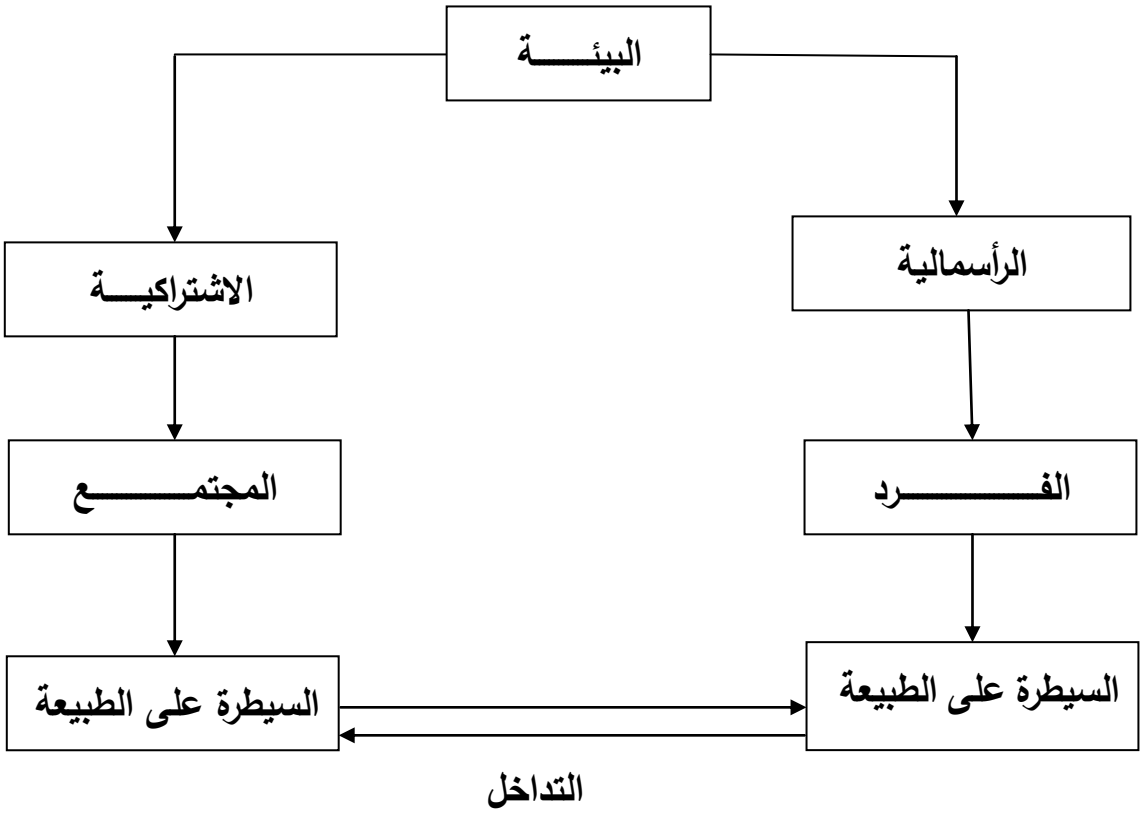

الشكل 11 البيئة والسيطرة الايديولوجية

يوضح المخطط سلبيات التفكير الإيديولوجي اتجاه الإنسان والبيئة حاضرا ومستقبلا، لأن مبادئها هادمة للبيئة غير نافعة، وهمها الوحيد المنافسة غير أخلاقية لإثبات سياستهم فلا يوجد فرق بينهما، من حيث عدم التفكير في البيئة رغم المستجدات الحاضرة للأزمة الايكولوجية لكنهم يواصلون السلب حقوقها.

المبحث الثالث :

نحو أخلاقيات بيئية جديدة مستقبلية

1/ فلسفة يوناس والوعي البيئي:

"يصنف الوعي البيئي من أهم مطالب الفلسفة المعاصرة بالمقارنة مع تاريخ الأفكار والإيديولوجيات "تعتبر الحركة البيئية كحركة فكرية نضالية حديثة بعض الشيء لأن الحركات البيئية في العالم لم تنظم نفسها كحركات مستقلة، إلا في نهاية السبعينات وخصوصا في المناطق التي تطورت فيها الصناعات الكبيرة والخطيرة والتي حصلت فيها التجارب النووية (...) وقد تزامن ذلك مع بدء ظهور الدراسات والأبحاث التي تتحدث عن فقدان التوازن الإيكولوجي على مستويين المناطقي والعالمي"[1]، ما جعل **يوناس** يتخوف منه في فلسفته البيئية فكان لأفكاره إسقاطات ايجابية نتيجة لتبنيها وتجسيدها على أرض الواقع ولو نسبيا لكنه أثبت مدى القلق الكبير الذي يعيشه العالم الصناعي، فأعطاه صفة ايجابية وأساسية لمساعدة الإنسان على الاستمرار لكن لم يحصل هذا إلا بتبني بعض الحركات الايكولوجية الجديدة لمثل هذه الأفكار الفلسفية العصرية لأن جوهر اهتمامها البيئة والمستقبل، وأهمها الحركة النسوية والحركة الإيكولوجية العميقة.

فتبقى "مسألة البيئة هي مسألة الجميع ولا يجوز لنا أن نحمل هذه الجهة أو تلك المسؤولية الكاملة ذلك لأنها مسألة معقدة ومتعددة الجوانب يرتبط بعضها بالتربية عامة والتربية البيئية على وجه الخصوص، فالإنسان اليوم يتحمل أكثر من أي وقت مضى مسؤولية إنسانية أساسية وحيوية ليتطلع إلى مستقبل أفضل بيئيا، وهذا لا يتحقق إلا برفع التحدي والعمل بجدية على رفع الوعي البيئي ولا يتم إلا بالرجوع إلى الإنسان وإنسانيته"[2] حيث ناقشها المذهب الميتافيزيقي، باحثا في وجدان الإنسانية وضميرها وأخلاقها لتنظيم

---

[1] حبيب معلوف: مدخل إلى الفلسفة البيئية، المرجع السابق، ص ص38- 39.

[2] يوسف عنصر: حماية البيئة مسؤولية من؟، بيئة المجتمع، مخبر علم الإجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 109.

سلوكاتها كأسس فلسفية بالدرجة الأولى أكد عليها **يوناس** بشكل مفصل في مؤلفه مبدأ المسؤولية، حتى تكون البداية صحيحة بأفكار منطقية يستفيد منها الحاضر والمستقبل فموضوع أخلاقيات البيئة محوره العيش داخل حياة كريمة.

"كأساس عند الإيكولوجيا الاجتماعية لأن فكرة السيطرة على العالم الطبيعي انبعثت أوليا مع السيطرة الاجتماعية للإنسان على الإنسان من خلال النظم التراتبية والطبقات الاجتماعية، فالسجلات التاريخية والأنثروبولوجية تبين أن مثل هذه السيطرة كانت باعثا على نشوء فكرة السيطرة على النطاق الحيوي من حيث نشوء فكرة السيطرة على الطبيعة تاريخيا"[1]، مبررة فكرة التذبذبات الكرونولوجيا الحافلة بالصراعات البشرية أي الإنسان ضد الإنسان حتى تطور الأمر وأصبح صراع الإنسان ضد محيطه، وهذه الكارثة العظمى التي نبه لها دائما **يوناس**، محاولا التأثير بموضوع أخلاقيات البيئة داخل المجتمعات كي نحقق تكافل الأمم المختلفة بطبقاتها العلمية (العلوم الإنسانية والمعارف التكنولوجية) حتى نغير الواقع الإيكولوجي نحو أحسن وليس العكس.

"كون جوانب التغيرات البيئة الكثيرة لا تقل خطورة عن سابقاتها لأنّه يجب فهم أن حماية البيئة، هي بالدرجة الأولى من صميم التنمية التي تعني الاستثمار دون الإسراف لمكونات البيئة التي يجب أن تكون موردا متجددا بحيث تنفع جيلنا دون إلحاق الضرر بالأجيال القادمة، فهي كلها مشكلات مثيرة لقلق الإنسان وهواجسه بحيث أن نوعية الحياة الراهنة والمستقبلية تعتبر مسؤولية الجميع"[2]، مثل تبني مبدأ مسؤولية **يوناس** الجديد الذي كان منطلق نجاح جلّ الحركات الإيكولوجيا، سواء الاجتماعية، سياسية أو الاقتصادية مجسدا فكرا ثوريا بيئيا لأن العالم بحاجة إلى قائد ايكولوجي ينبه للنقص البيئي، بطرح

[1] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص50.

[2] يوسف عنصر: حماية البيئة مسؤولية من؟، بيئة المجتمع، المرجع السابق، ص05.

كيفية علاج المرض الذي تعاني منه البيئة نتيجة مخلفات الفعل البشري حيث لم يسبق لأي فيلسوف تحديدا قبل **يوناس**، أن أثار جملة هذه الأفكار البناءة لخدمة البيئة الراهنة والإنسان المستقبلي مركزا على حمايتها من الآثار السلبية للتكنولوجيا بمستوياتها المختلفة على العالم.

"فيختزل **يوناس** المسألة كلها في مخاطر الفعل التقني الإنساني الذي يكرس تأثيرا مع التطور النوعي للتكنولوجيا المعاصرة سواء على بيئته أو على الأحياء المجاورة له حتى على بيئته البيولوجية والفزيولوجية، لهذا لم يعد للأخلاق **الكانطية** القائمة على الواجب من أهمية ولا فعالية في حماية الحياة والمحافظة على الجنس البشري في وجه المخاطر الفعلية المحدقة به (...) وعلى هذا الأساس يؤكد **يوناس** أن الأخلاق الجديدة هي التي تراعي صالح الفرد وسعادته حاضرا ومستقبلا"[1]، لأنه من المستحيل أن يخرج الإنسان عن كينونته الملازمة له بصفته الكائن العاقل ولن يستطيع الاستمرار في الحياة إذا ظل يتمادى بأفعاله المتطرفة ضد نفسه أولا، متبنيا أفكارا لا تواكب التطور السلبي الحاصل داخل البيئة وهو ما استفز **يوناس** كثيرا، ليعيد فهم الفعل الإنساني بمنطق معاصر حتى يستطيع الخروج بجملة من الحلول مؤكدا على ضرورة تجاوز الفكر الأخلاقي الكلاسيكي لعدم فائدته وللرقي بأفعالنا، فلا يمكننا تجاهل الثورة العلمية والفلسفية التي أثارها **يوناس** في إطار أخلاقيات البيئة تحت عنوان المسؤولية الجديدة بنماذجها الأبوية والسياسية.

"اعتبارا أن أفعال الإنسان وممارساته للآن قد شكلت إرهاقا متناميا للطبيعة والبيئة بل أصبحت تهدد حتى على ما هو إنساني (...) حيث ينبغي أن يكون الإنسان بتقدمه

[1] رشيد دحدوح: مفهوم الطبيعة في الفكر الايكولوجي المعاصر 20:49. 17/08/2016 www.aljabriabed.net

التكنولوجي وتدخله السافر في البيئة مسؤولا مسؤولية حقيقية وليست مسؤولية صورية عن أفعاله الحاضرة في البيئة الطبيعية، والمسؤولية إزاء المستقبل لم تعد قضية اختيار بل صارت في رأي **يوناس** قدرا مفروضا علينا أن نتحمله في نظير أفعالنا، التي أصبحت ذات تأثير واسع وبعيد المدى"[1] وفق موقف **يوناس**، الذي ليس مجرد أفكار آنية تخدم ذاتية الفيلسوف أو جهة علمية معينة بل غايته الوحيدة مساعدة الإنسان المستقبلي والبيئة بإعادة هيكلة العلاقات الجديدة للبيئة، فلن يتم ذلك إذا توقف الأمر عند **يوناس** وحده لأن الأمل في الحياة يكون جماعي بتبني، أفكار صحيحة مثل فلسفة البيئة عند **يوناس** وفعلا هذا ما تبنته الحركات وحتى العلماء الذين اهتموا بالبيئة لاحقا وإن كان على نطاق ضيق لكن لا يزال هناك أمل في الاستمرار، إذا تعاملنا مع الواقع الإيكولوجي بالتقيد الجديد بالمسؤولية ومنطق العقل.

كي تتسق هذه الرؤية **ليوناس** مع رؤى فلاسفة آخرين لعل أهمهم **جون رولز** JOHN RAWLS JOHN RAWLS "حيث يدعونا إلى إقامة عدالة بين الأجيال ومن ثم إلى تبني مدخّرات عادلة لهم، والمقصود بهذه المدخّرات ادخّار بعض المصادر الطبيعية التي تستفيد منها الأجيال القادمة فمن حق الناس إنتاج المزيد من الخيرات لتحسين ظروف حياتهم، فلا ينبغي أن ينقص هذا الحق من حق الآخرين في تحسين ظروف حياتهم"[2] قاصدا بهم أجيال المستقبل، فمن اللاعدل حسب **رولز** استنزاف حقهم في الحياة داخل البيئة ومن الإنصاف والعدالة أن نتحمل نحن الأجيال الحالية مسؤوليتنا اتجاه مستقبلهم، فنجد مقاربات كبيرة بين ما توجه إليه **رولز ويوناس**، فتأثر **رولز** واضحٌ

[1] مصطفى النشار: مدخل إلى الفلسفة البيئية والمذاهب الايكولوجيا المعاصرة، دار المصرية اللبنانية، ط3، القاهرة، 2016 ص ص106-107.

[2] نفسه، ص 109.

بموضوع أخلاقيات البيئة حيث لا يختلف مع **يوناس** في أسسه إلا من ناحية المصطلحات الفلسفية، لكن المهم بالنسبة **لرولز** هو الحفاظ على الثروات المتبقية داخل البيئة لصالح أجيالنا من البشر التي لها حق فيها باعتبارها لها كرامة وهوية وأهداف اتجاه حياتهم، إذن استطاع **رولز** بالطرح الفلسفي **ليوناس** أن يصل إلى مرحلة متقدمة ومهمة في التفكير بما هو قادم من المستقبل ليكون موضوع القلق على أخطار البيئة القاسم المشترك بينهم.

نتيجة "الخوف الإنسان الغريزي على بقائه هو الذي يمكنه من تفاديها فالشعور بالخوف من مخاطر التقنية هو الذي يجعل الإنسان يشعر بالمسؤولية اتجاه مصير الأجيال المقبلة والنوع البشري بصفة عامة، واستجابة لذلك ظهر في أواخر السبعينات مبدأ الحيطة والحذر (...) في تأكيد غياب مخاطر حقيقية في اللحظة الراهنة في مجالات معينة لا يمنع من اتخاذ اجراءات وقائية من الخطر ما قد يحدث تأثيرات كارثية"[1] نكون مسؤولون بشكل إتيقي عنها، لأننا سببا في تحديد المصير المستقبلي، لينحصر واجبنا ومسؤوليتنا بتكوين رؤية فلسفية معاصرة تحافظ على الثروة البيئية للبشرية اللاحقة متدخلا **رولز** برأيه: من غير المنصف أن يوضع مستقبلهم على المحك في انعدام الحقوق البسيطة والضرورية، من شأنها أن تجعل البشرية المستقبلية تتعلم مبدأ الحفاظ على البيئة كإرث لاغنى عنه، ليكون **رولز** من أهم الفلاسفة الذين يدعمون موقف أخلاقيات البيئة عند **يوناس**.

أما "**ليوبولد** Aldo leopold فوقف ضد الوضع السائد منتقدا البيئة الراهنة والمطلوب ليس أقل من تغيير في الأخلاق والمواقف، القيم، بل يؤكد إن الرجال لا

[1] رشيد دحدوح: مفهوم الطبيعة في الفكر الايكولوجي المعاصر49: 17/08/2016.20 / www.aljabriabed.net

يشعرون بتوزيع الأخلاقيات في إساءة معاملة الأرض ولا يظهر هذا الموقف في أعين الرجال على وجه التحديد، بإيجاد وسيلة للتدخل في البيئة بأي فعل أخلاقي"[1] مبرهنا **ليوبولد** موقفه الإيجابي في موضوع أخلاقيات البيئة، وإن اختلف عن **يوناس** لاهتمامه بالجانب السياسي أكثر من الأخلاق لكن ما يهمنا أنه طالب بتقنين سلوكات البشر المؤذية للبيئة، ليبقى رجل الدولة له دور كبير في الحفاظ عليها أم في تدميرها حسب رأيه المناصر للبيئة ورقيها،كأساس سعى **يوناس** لنشره وإن كانت مواقفه تختلف معه و تتجاوزه فالمهم حماية البيئة واستمرارها وهذه نقطة تتفق عليها كل التوجهات والآراء المعاصرة سواء كان **يوناس** أو **ليوبولد**.

"باستنتاج أخلاقيات جديدة بيئية وأضاف أخلاق البيئة المسؤولة المحددة لعلاقة الإنسان بالأرض، الحيوان، النبات، لكن لا يعني أن الأخلاق التي كانت سائدة لا يهمها علاقة الإنسان اتجاه البيئة بل الإنسان كان حرا بتصرفاته، لا يخضع لتوجيه العلم الأخلاقي فهناك حاجة لأخلاقيات بيئية جديدة في الفلسفة والعلوم"[2] التي طرحها **ليوبولد** بفكره القريب من جانبه المادي الملموس أكثر من الأخلاقي، لكنه يجد نفسه يطالب بأخلاقيات جديدة تقيد حرية العلماء ورجال السياسية في ممارساتهم المطلقة وغير الأخلاقية ليشترك مع **يوناس** في فكره البيئي، رغم اختلاف الظروف التي عايشها كل منهما إلا أن نمطية تفكير **ليوبولد** تؤسس لأخلاقيات البيئة وإن لم يصرح بذلك في مؤلفاته بشكل مفصل مثل **يوناس**.

"المهتم بأخلاقيات البيئة لأنها تعد طريقا جديدا يساعد على مواجهة التحديات الجديدة المرتبطة بالتطور السريع والمتزايد للتكنولوجيا، التي تؤثر سلبا على الإنسان

[1]Richard Sylvan Routley,**besoin d'une nouvelle éthique,Ethique del'environnement**, Op.cit,P32.

[2] Ibid,p31.

والتنوع البيولوجي والبيئة وكوكب الأرض بأسره، فهذه التجربة مع مؤسسي الأخلاقيات البيئية أعطت انطلاقة للتأسيس لقيم جديدة في التعامل مع البيئة، من منطلق المحافظة على الإنسان مع نشر لفكرة المقدس ساعد على أخلقة البيئة"[1]، أي ساهم في إثراء الفكر الإتيقي للبشرية بالرجوع إلى وجدانية كل إنسان لأنها جوهر تميزه عن الجميع، ما يثبت "كلما ابتعد الإنسان عن مقدساته الدينية كلما تجرد عن خلقه وطبيعته العاقلة ويصبح أكثر جشعا من قبل"، حيث تسيطر عليه فكرة الأنانية والنفس الشهوانية الباحثة عن اللذة بأنواعها، وهذه المشكلة أيضا أثارها **يوناس** في فلسفته المعاصرة لتكون لاحقا جوهر الوعي البيئي والفكر الإيكولوجي الذي يحاول الحفاظ على البيئة.

فيقول **ليوبولد:** "(يكون الشيء صائبا عندما يميل للحفاظ على تكامل واستقرار وجمال المجتمع الحيوي ويكون باطلا عندما يميل بالاتجاه الآخر)،متصورا **ليوبولد** أخلاق الأرض على أنها المرحلة القادمة مع التطور الأخلاقي البشري، ويعطي للتوعية الإيكولوجية دورا كبيرا في خلق التعاطف والإحساس ومشاعر الإخلاص لكوكب الأرض"[2] نابعة من الجانب النفسي المليئ بالعواطف والمشاعر في نظر **ليوبولد،** لأنه مدى حب الإنسان لنفسه يحب بيئته ويحافظ على ثروتها الحاضرة لفائدة أبنائنا مستقبلا بطرح سؤال:كيف للإنسان أن يؤذي ابنه أو أخاه أو حتى حفيده؟ فهم من أجيال المستقبل، وهنا **ليوبولد** تجاوز **يوناس** في الجانب العاطفي المؤسس لإتيقا المحبة الجديدة اتجاه الحي والجامد في مقابل **يوناس** أكد على الإتيقا مؤسسة بمبدأ المسؤولية الجديدة.

"مع تقييم وإعادة شاملة في وضع أسس سليمة التي كانت سببها الحاجة إلى أخلاقيات جديدة، فمن الواضح أن مختلف الأخلاقيات المصممة ليست من النوع ينفذ

[1] عبد الغني بوالسكك: الفلسفة البيئية وأخلاقياتها، أخلاقيات التطبيقية، المرجع السابق، ص175

[2] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص 34

بالكامل المعيار الأخلاقي، بل هي النظم الأخلاقية بمبادئها مختلفة عن بعضها البعض من وجهة إمكانية تمديد أو تعديل وتطوير"[1]، لأننا لم نجد قاعدة ثابتة تؤسس للأخلاقيات الجديدة كما ألفنا في الأخلاق الكلاسيكية، حيث كل فيلسوف له أفكار يسعى بها للرقي بأفعال البشرية مقترنة بالتكنولوجيا ضد البيئة قبل الإنسان، وهنا اختلاف جديد داخل الفلسفة المعاصرة أي جمع الأخلاقيات في حيز البيئة لمستقبل الإنسانية في انتظار تقديم مساهمات أخرى من طرف الفلاسفة والعلماء وكل أطراف المجتمعات العالمية، لغاية سامية هي الحفاظ على محيطنا البيئي بمحاربة مظاهر التفرقة الحاصلة بين الإنسان ومحيطه.

نجد على "الصعيد الإيكولوجي أنّ الاغتراب المفهومي كان نتيجة ليس للانفصال عن الطبيعة بل عن الوهم بإمكانية الإنفصال، والاغتراب بين الإنسان والطبيعة هو من قبيل الخلل في العلاقات وبالتالي فإن الإحساس بالعزلة أو الاغتراب التقني والمجتمع التقني لا يتيحان إمكانية إقامة علاقة سليمة، على صعيد المجتمع مع البيئة الطبيعية لأن ما يسيطر في المجتمع هو البيئة المصطنعة بينما لا ينحصر الاهتمام بالبيئة الطبيعية"[2] المبتعد عنها الإنسان المعاصر، بل ومشجعا على الهوة لتلبية رغبة السيطرة على البيئة والتحكم فيها وفق ما يشاء، لكنها سرعان ما انقلبت عليه هذه المساهمات وأصبح يطالب بالسيطرة على حريته العلمية التي أكدتها الحركات الإيكولوجيا بمحاربة جملة السموم لا أساس لها من الفعل الاتيقي بل تساهم في إعدام الكون بصفة عامة، ولتجاوز هذه الصعوبات التي تبناها **يوناس** علينا توفير أرضية فكرية تواصل ما بدأ به **يوناس** لمساعدة البيئة وهذا المهم.

---

[1] Richard Sylvan Routley ,**besoin d'une nouvelle éthique,Ethique del'environnement** Op.cit,p33.

[2] معين رومية: من البيئة إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص 124.

"هناك مصطلح **الإيكولوجيا النسوية** الذي يعد مظلة تغطي تنوعا من المواقف، فثمة ترابطات دالة على الهيمنات غير المبررة على النساء وعلى غير البشر من الحيوانات والنباتات والطبيعة، وفهم الترابطات بين النساء والطبيعة شأن مهم بالنسبة إلى كل من **الإيكولوجيا النسوية** والمذهب البيئي والفلسفة البيئية **(...)** واستبدال بنيات الهيمنة غير المبررة وإحلال بنيات وممارسات عادلة حقا محلها"[1]، لتساهم هذه الحركة جديدة أيضا في بناء أخلاقيات بيئية تعرف **بالإيكولوجيا النسوية** مدافعة عن حقوقها أولا كأنثى مهمشة بالدرجة الثانية داخل المجتمعات، ما أوحى إليها لاحقا في الدفاع عن البيئة وما تعانيه من منطلق أنها مظلومة مثل المرأة وهنا تعقد مقارنة من وجهة تشابه بين مشاكل البيئة والمرأة بمراعاة مطالب كلا الطرفين، لكنها حركة فتية تحاول النهوض بمستقبل عادل للاستمرار فمثلما المرأة شرط في الحياة مثلا للتكاثر والحفاظ على العنصر البشري وتربية الأطفال الذين هم لاحقا الجيل القادم، أيضا البيئة ومكوناتها شرط للبقاء لأنها تمثل الفضاء الحي الوحيد.

فتقوم **الإيكولوجيا النسوية** على أساس "إهمال هذا الإنصات للطبيعة والاستجابة لها هو ما سبب ويسبب الكثير من الكوارث العلمية **(...)** والخلاصة أن **النسوية والأنثوية** تدعونا باستمرار إلى الإنصات العميق للطبيعة لأن هذا يدفع العلم إلى مراجعة توصيفاته العميقة، فالإنصات إلى الطبيعة يعني عند **النسويين** بالضرورة مراجعة أسس التنمية الذكورية المبنية على افتراضات زائفة"[2]، ترفضها **الحركة النسوية** من وجهات فكر مختلفة وفي نفس لم تتقيد بفلسفة **يوناس** أو **ليوبولد** أو **راولز** بل جسدت مواقف فلسفية ذاتية خاصة بها باعتبارها ترفض كل موقف ذكوري، فنجدها تطالب بالإنصات لمعاناة البيئة من قبل العلم وآثاره مثلما طالبت بالإنصات للمرأة لأنها كانت محرومة ومسلوبة من أبسط

[1] مصطفى النشار: مدخل إلى الفلسفة البيئية، المرجع السابق، ص ص116 -117.

[2] نفسه: ص ص120-121 .

الحقوق لتكون هناك علاقة وثيقة بينهما، فكما استطاع العالَم إدراك نقائص المرأة عليه فهم ضرورة الخطر البيئي الذي نعيش داخله نتيجة الفعل التكنولوجي، لتصنف هذه المبررات ضمن إحدى أهم مبادئ وسبل **الحركة النسوية**.

لأن "التربية البيئية هي تعليم القيم والمفاهيم المرتبطة بالبيئة وإكساب الأفراد المهارات السلوكية الصحيحة في التعامل مع البيئة (...) لإبقاء الجنس البشري وتحسين نوعية الحياة يتطلب من كل فرد أن يكون متفهما ،لعلاقة الإنسان بالبيئة وداعيا لها وأن يكتسب قيم واتجاهات المحافظة على البيئة والعادات الاجتماعية، وأن يعمل فرديا وضمن الجماعات للتغلب على المشكلات البيئية ومنع ظهورها"[1] لتهديدها للأمن الايكولوجي، ولا يمكن تحقيق مجموعة هذه الأهداف دون سند إتيقي ووعي بيئي ضد التعصب البشري وفهمه الخاطئ، الذي جعل كوكبنا يائسا وعاجزا عن المواصلة إلا في حالة التكافل الاتيقي السياسي والاجتماعي بحركاته وفلسفاته، عندها يبقى الأمل كمعجزة داخل المحيطنا فمثلما حقق العلم تحديات بإمكانه أن يحقق نتائج مماثلة ترجع بالفائدة على مستقبلنا، لكن المهم أن أخلاقيات البيئية تكون ذات قيمة فكرية مجسدة بجانبها التطبيقي.

"ضمن أخلاقيات بيئية جديدة لأن الوقت قد حان لكي نسلم بمثل هذه الأخلاقيات البيئية حيث علينا التوجه بموضوعية وليس أن تكون موضوع شك، خصوصا وأننا نحاول التغيير في ضوء فترة زمنية قصيرة نسبيا وهو جوهر الأخلاقيات الجديدة"[2] المحددة للاختلاف الجوهري السائد، قبل حدوث التغيرات البيئية على المدى القصير والمفتوح لأن في اعتقاد العلم لا يزال هناك متسع من الوقت كي نتطاول أكثر في رغباتنا، بالنظر إلى

---

[1] يوسف عنصر: حماية البيئة مسؤولية من؟، البيئة والمجتمع، المرجع السابق، ص ص 97-98 .

[2] Christopher D.Stone,**le pluralisme moral et développement de l'éthique environnementale,éthique de l'environnement**, Op.cit,p285.

البيئة أنها لا زالت تملك طاقات وخيرات لا يمكنها الانقطاع جاعلا العلم بعيدا عن طرحه لواقعي حيث كان يأخذ بلا تعويض أو تفكير.

"دون جهد مبتذل من زبدة الأخلاقيات البيئة لكن المشكلة التي تواجهها تحديد المؤسسات تعمل على تطوير الأخلاقيات البيئية ضمن مجال أوسع للفلسفة الأخلاقية والأخلاق التطبيقية، يعني أنه علينا أن ننظر إلى البيئة وعقلنة أخلاق الأخلاق لمعالجة خصائص محددة للطبيعة نتج عنها سؤال: ما هي المبادئ الأخلاقية الثابتة للبيئة ؟"[1] باحثين عن ثبات أو نسبية الأخلاقيات البيئة تبعا لتغير الظرف الزماني المعاصر في كل لحظة ويوم ما يصعّب التحكم فيها، فلا يمكننا الجزم أن الأخلاقيات البيئة ثابتة على مبادئ مطلقة وإن كان الموضوع في حد ذاته واحدًا (البيئة) لكن أحكامه متغيرة لا تعتمد على النوع الواحد بل على التعدد، لذلك مطالب الفلسفة التطبيقية الحاضرة تركز على الجانب الإتيقي الجديد لاتفاقه والجوهر الإنساني (الضمير والواجب والمسؤولية) المختلف تماما عن الموقف السياسي والباحث بالتحليل الفلسفي، لمراجعة تحولات الحياة وربطها بالراهن البيئي.

"ببساطة النظرة الأخلاقية الغربية المهيمنة لا تنسجم مع ما يُدْعى الآن بالأخلاقيات البيئة، وأنصار هذا التيار يرون أن المشكلات الكوكبية الخاصة بالبيئة بمعزل عن القيم والتوجهات الأخلاقيات لا تجدي نفعا، وهذه المشكلات تتطلب نظرة جديدة إلى البيئة"[2] مثل النظرة فلسفية **ليوناس** كنموذج للفلسفات اللاحقة والحركات المدافعة عن البيئة ضد المغالطات التي تطمئن دائما العالَم أن البيئة بخير، وهذه الحركات والفلسفات تحاول أن

---

[1] Christopher D.Stone ,**le pluralisme moral et développement de l'éthique environnementale,éthique de l'environnement**, Op.cit,p286.

[2] مصطفى النشار: مدخل إلى فلسفة البيئة، المرجع السابق، ص 67.

تكون عائقا أمام تطور العلم التكنولوجي، لكن بالتعاون الإتيقي نحقق أهداف الأخلاقيات البيئية لتجاوز قيود وعقدة التكنولوجيا والعنصرية مثلما أمر **يوناس**.

"لتصنف الأخلاقيات إلى مستوى المؤسسات الاجتماعية حول العالَم لأن التكنولوجيا يحتمل أن تكون لانهائية لأنسنة البيئة في جميع المجالات والمصطلح الأقرب إلى الطبيعة المريضة، بالابتعاد عن مبدأ اللذة فيما يتعلق أساسا بمبدأ نظرية الأشكال السابقة من السيطرة على البيئة (...) ويجب على التكنولوجيا أن تقمع من الناحية السياسية لاستعادة الحقوق الأصلية، كشرط الأول للحرية في أفضل ظروفها"[1] طارحين موضوعا جديدا ايكولوجيا في سياق أخلاقيات البيئة، هي الحرية دون آثارها الجانبية يدفع ثمنها الإنسان مولعٌ بتطبيق وتجسيد الحرية كجزء مهم في حياته حتى يشعر بالرضى لكن التفكير المعاصر يفرض تجاوزها أو تقييدها في العلم والبيئة، فالآمر والناهي في هذه القضية رجل الدولة ومسؤوليته أي لا يمكن بلوغ الغايات السامية على حد تعبير **يوناس** بدونه لأنه السلطة العليا على كل المجتمعات ليس كاستبداد بل من أجل حماية كل الأطراف (البيئة والإنسان والمستقبل) من حرية البحث العلمي المفرطة.

"فيجب الرجوع إلى **ليوبولد** في اتساع مجال البحث الأخلاقي الايكولوجي ليشمل الأرض، وأكد على أن أخلاق الأرض تغير دور الإنسان العاقل من مستعمر لمجتمع الأرض إلى عضو عادي ومواطن فيه لأنه يريد تغيير منظومة التفكير الإنساني إزاء الأرض، لكن حركات الحفاظ على البيئة بدت بطيئة ولا يزال التقدم في رأيه "[2] قائما رغم المحاولات التي سبقه فيها **يوناس**، التي لم تلق الترحيب كما ذكرنا ذلك من قبل الإديولوجيات المتطورة تكنولوجيا في أوروبا، ما يبرر قلق **ليوبولد** في أمريكا المستنبط من

[1] Hans jonas, **Le principe responsabilité**, Op.cit,pp316-317.

[2] مصطفى النشار: مدخل إلى فلسفة البيئة، المرجع السابق، ص 67.

موقف **يوناس** لتحقيق الهدوء النفسي بالرجوع إلى الأصل الأول الذي خلقنا منه وهو البيئة الأم المركزين عليها الفلاسفة لتحسين العلاقات البيئية مع الإنسانية.

قائلا **ليوبولد:** "أن هذا ليس علم أخلاقيات مما يعني أنه لا يوجد سوى دعوة أو حماسة، وهنا تظهر المشكلة الأولى وتظل الحقيقة أن البشر فقط هم القادرون على تغيير الواقع بعد كل شيء لأنهم يمثلون الإنسانية، لكن لنصل إلى هذا الشرط يجب اللجوء إلى الوعي الإنساني بتخلص من التناقض الموجود بالسعي إلى الأخلاقيات البيئية لتكون أخلاق كبرى"[1] بعد ما تطور الموضوع الإيكولوجي، تبقى أخلاقيات البيئة الحل الأمثل في تبسيطها لأنها ليست موضوعا ذاتيا بل مرتبطة بالعالَم الخارجي، أي يجب السعي من أجل إدراج المفاهيم السائدة لكن بتنشيطها وتجديدها مثلما قدم **يوناس** في فلسفته، مجسدا عديد المفاهيم الفلسفية المعتادة عليها لكنه استطاع بلورتها من جديد بالتغيير الجذري لها لصالح البيئة والمستقبل، فأصبحت فلسفته محل نقاش باقي الحركات الإيكولوجيا الحاضرة.

"دعمها المبدأ الأساسي للإيكولوجيا العميقة هو الاعتقاد بأن البيئة المعيشية ككل ينبغي احترام حقوق كل من فيها للعيش والازدهار بصرف النظر عن الفوائد النفعية للاستخدام البشري، وهي تعتبر نفسها عميقة لأنها بعمق أكثر في الواقع الفعلي للعلاقة الإنسانية مع العالم الطبيعي والتوصل إلى استنتاجات فلسفية، كحركة يشارك فيها **أرني نايس**"[2] كونه من فلاسفة الحركة الإيكولوجيا العميقة الباحثة في الحلول الإيكولوجيا لمساعدة البيئة محملة اللوم للإنسان، الذي ليس له حق الملك والتدمير في الكون لا بشكل مطلق ونسبي فلو كان الأمر على هذا النحو سابقا لما وجد باقي الخلق من حيوان

---

[1] Richard Sylvan Routley, **besoin d'une nouvelle éthique ,éthique de l'environnement**,Op.cit,p31.

[2] مصطفى النشار: مدخل إلى فلسفة البيئة، المرجع السابق، ص89 .

ونبات وجماد، ما يبين عمق هذه الحركة الفلسفية بدافع وترك الأثر الإيجابي للبيئة حيث طالبت بالتكافل السياسي والاجتماعي، لتحقيق الأهداف المماثلة لتوجه **يوناس** و**نايس** في سعي إلى رفاهية البيئية وإرجاع قيمتها في عمق تصحيح التصرفات الإنسان بالمسؤولية الجديدة.

"بصفتها واجب أخلاقي يشمل مستقبل الإنسان كله على وجه الأرض فيجب تبني مثل هذه المسؤولية وربطها بالمعرفة وهي شقان: موضوعية وذاتية، ومعرفة أخلاقيات المستقبل والحاضر التي في نفس الوقت هي موضوع للعلم المستقبلي الذي يحتاج لمنهج علمي، من أجل الحفاظ عليه فيكون بالتنظيم الذاتي من السلطة المطلقة التي نمتلكها"[1] كون الموضوع ببساطة شخصيا بالدرجة الأولى في رأي الحركة **الإيكولوجية العميقة** المساهمة في تدعيم مبدأ المسؤولية العميقة لفائدة نجاحها الفلسفي البيئي، عندها تكون قد ساعدت الواقع وما يتطلبه من الممارسات الخارجية أي الموضوعية مع الآخر (الحيوان والجماد) بالعودة إلى الذات الواعية للإنسان بمنظور الحركة **الإيكولوجية العميقة** لتلتقي مع فلسفة مسؤولية **يوناس** بتفكيرها المنهجي.

"نتيجة التزامات أخلاقية كبيرة تكون في سياق المألوف من الأخلاق الشخصية لكننا نواجه فيها معضلات، إلا أنه يمكننا أن نتصور النظرية الأخلاقية التي تتطلب احترام الحياة في الحفاظ على طبيعتنا وسلامتها لمعرفة الأفضل لها،ولن يتم ذلك لو لم نفكر في مشروع الأخلاقيات (...) بتجاوز النظريات الأخلاقية الماضية ومعرفة كيفية تأسيس المعنى الحقيقي لشرعية التفكير الأخلاقي"[2] المطالب بالأخلاقيات **الإيكولوجية العميقة** المشجعة لفكر **يوناس**، مقدما للواجب الجديد من أجل توجيه التفكير المستقبلي داخل

---

[1] Hans jonas, **pour une éthique du futur**, Op.cit,p76.

[2] Christopher D.Stone, **le pluralisme moral et développement de l'éthique environnementale,éthique de l'environnement**, Op.cit,pp289-290.

البيئة سواء كانت المطالبة بالأخلاقيات الجديدة من قبل الحركة **الإيكولوجية العميقة** أو غيرها، فكلها منطلقات فلسفية ترجع إلى **يوناس** بالخوف والقلق من التكنولوجيا ومخلفات الثورة الصناعية، والحل يكون في تبنى مثل هذه المبادئ الإتيقية والعمل على تطويرها أكثر مثل الحركة **الإيكولوجية العميقة** والمذاهب الفلسفية المعاصرة الأخرى.

"بالتوقع أن البقاء على قيد الحياة مطلب كل البشر للعيش في الأمان والأمل بضبط الحرية الخارجية للبشرية (...) وبالمسؤولية الواحدة التي يكون لديها مهمة عليا في منع الحرية والتأكيد على القيود المستقبلية لصالح أنفسنا وذريتنا، من خلال الإيمان بالمسؤولية"[1] التي تتطلب الإيمان بقدرة التغيير الإتيقي الذي يخدمنا أمام الآخر البشري والبيئي، بمباحث البيوتيقا كأساس للأخلاقيات البيئية المتميزة بالمسؤولية وبالوازع الديني الميتافيزيقي عند **يوناس** والعدالة **رولز** ومناقشة **هبرماس**، وكذلك موقف الحركة الإيكولوجية **النسوية والعميقة** حتى نرتقي بأفعالنا وبمستقبل الأرض، جلها فلسفات معاصرة استمدت مواقفها من المحرك الأول للفكر البيئي **يوناس** وإن اختلفت المصطلحات لكن لها نفس الهدف البيئي والإتيقي، بنماذج المسؤولية للحفاظ على حق البيئة التي تتمتع بقوة جمالها وخيراتها فيجب أن يستفيد منها كل ما هو قادم لاحقا على النحو الصحيح صحيا وإتيقيا ضد العلم غير نافع للمستقبل.

[1] Hans jonas, **pour une éthique du futur**, Op.cit,pp124-125.

2/جماليات البيئة:

"لابد من أن يعبر عن المسؤولية الأخلاقية اتجاه الأجيال المستقبلية في التشريعات وأيًا ما كان نوع المسؤولية، فالأهم بالنسبة لموضوعنا هو ضرورة الحفاظ على البيئة الطبيعية والتصرف على أساس أننا وغيرنا من الكائنات الطبيعية مجرد مواطنين (...) من أجل العيش سعداء فيها، ذلك هو التحدي الذي يعبر عن حقيقة المسؤولية الأخلاقية التي ينبغي أن نتحملها إزاء حقوق الأجيال التالية سواء من البشر أو من الكائنات غير البشرية"[1]، بصفتها تجسد السعادة البشرية المبتعدة عن سعادة العلم والتكنولوجيا من ناحية الممارسة التطبيقية للجانب النفسي والإبداعي، ليصبح نموذج السعادة الحقيقية بعيدا عن التطورات والتحولات الحاصلة في العالم، مؤكدين أنه بإمكان الإنسان تحقيق أكبر قدر من لذة السعادة التي انقلبت إلى تعاسة بيئية وإنسانية مستقبلية بهذا يحل الجانب النفسي أحد أهم الأسباب الرئيسية المدعمة لمواقف الحركات الإيكولوجية المعاصرة موجهة مفهوم السعادة داخل البيئة، أي بالحفاظ عليها وبالتعامل معها بصفة أخلاقية تليق بالعنصر البشري، لأنه يستحيل تحقيق الراحة النفسية كونها المنافية للقلق والخوف المتسببة فيه التكنولوجيا وهنا يفتح مجال آخر داخل مبدأ المسؤولية وهو السعادة النفسية المستنبطة من البيئة، فكلما حضرت المسؤولية وجدت السعادة في إطار بيئي منظم.

من أجل الإحساس بالجمال "لأن جماليات الفيلسوف المنظر والشاعر **جورج سانتيانا** GEGRGE SANTAYANA الذي يميز المشهد الطبيعي بتتبعه المناظر الطبيعية أنها توحي دائما على التنوع بما يكفي، ما يسمح بتحقيق أقصى قدر من الحرية في اختيار تطوير وتعزيز عناصر توحي بالقوة وتثير أنواع العواطف غير الواضحة

[1] مصطفى النشار: مدخل إلى الفلسفة البيئة، المرجع السابق، ص ص111 –112.

فلا يمكن للمرء أن يتمتع بالمناظر الطبيعية في اختلاط أو في فترة وجيزة"[1]، لأن ما تتمتع به البيئة من أسرار وخيرات طبيعية لا يحسن التأمل فيه، أو اكتشافها بسهولة وبسرعة فهي الإطار السحري الواسع المتجدد لتنوع ما تمتلكه سواء تعلق الأمر بثرواتها أو صفاتها الجمالية منبهر بها العقل البشري، فكل ما توصل إليه من رقي وتطور منبعه دائما البيئة التي أوحت إليه بالإلهام المعرفي بغرض بلوغ السعادة النفسية وليس العلمية قبل أن يتفطن لاستنزاف خيراتها الحاصلة اليوم، وبالطرح المقدم نجد أن البيئة تدرس من جانب آخر لم يسبق ذكره على غرار الطرح الفلسفي والسياسي أو طرح العلماء، بل هناك تدخل المجال الفني وممارسوه الذين يحاولون إعادة إحياء البيئة في النفس البشرية كي ندرك حجم الخطأ المرتكب اتجاهها.

"لدرجة أن المشهد الطبيعي أصبح غير معروف ليكون موضع تقدير لأنه متنوع جدا بقوى موحية غنية بالعواطف تتيح حرية كبيرة في الاختيار والتطوير والتوحيد، فإن المشكلة هي معرفة كيفية تحديدها وتنظيمها حتى تكون موضع تقدير من الناحية الجمالية كي نتمكن من معرفة العمل الفني وخصائصه الجمالية، لأنه من الضروري تعلم كيفية تقييم الأعمال الفنية للفت إنتباه"[2] المجتمعات العالمية بصفة عامة دون استثناء، كي نتمكن من نشر وتوصيل رسالة فنية هادفة للحفاظ على البيئة وإن اختلف مجال النقاش وموضوع أخلاقياتها، إلا أن الواقع الفني فرض نفسه على مجال إتيقا الممارسات البيئية فعندما نعرف حياة أحد علماء العالم أو مكتشفي أسرار الإنسان والكون يكون دائما

---

[1] Allen Carlson, **l'apprécation esthétique de l'environnement naturel, esthétique de l'environnement (appréciation,connaimance et devior),**trad,hicham stéphane afeissa,librairie philosophique,vrin,paris,2015,p55.

[2] Ibid,p56.

بالرجوع إلى دراسة العوامل المساعدة لإلهامهم وظروفهم، منها الاجتماعية والبيئية بإضافة أن الحاجة دائما تبرر الوسيلة، وتدفع الإنسان للبحث عن الحلول المناسبة وأكبرها هي البيئة الطبيعية التي توحي إليه بالنقاط الرئيسية لكل عمل معرفي أو فلسفي أو فني.

يبقى علينا "معرفة كيف يمكننا تحقيق ذلك فيما يتعلق بالتقدير الجمالي للبيئة؟ لأن الطبيعة ليست شيئا من صنع أيدينا بل هي بيئتنا الطبيعية أي عالمنا الطبيعي وتحيط بنا وتجتمع معنا كما قال **جورج سانتيانا**، بالاختلاط في تنوعها الثري وهنا تكمن قوتها وتحفيزها ولكن يجب فهم ما هي حدودها وتقدير الأعمال المناسبة لها"[1] حسب **جورج سانتيانا**، مناقشا أخلاقيات البيئة بطرحه الجمالي الفني بالمقارنة مع **يوناس** يكون قد تجاوزه بموقف جديدٍ من نوع آخر للحفاظ على مستقبل البيئة القريب إلى المجال النفسي والروحي للإنسان، فهو يؤكد على أهميتها من الناحية الجمالية كي يخرج الإنسان من مشاكله فلا يوجد مكان غير محيطنا الطبيعي، لتحقيق أي غرض فني أو علمي بأنواعه لذا علينا التمسك بالبيئة والتعامل معها بإنسانية خالصة يمثلها الفن كرسالة قيمية.

نفهم "بها فكرة الجمال الطبيعي كتقدير جمالي للأعمال لأن العديد من نماذج التقييم على أساس الفن كثيرا ما قبلت كأساس شرعي لتحديد ما ينبغي أن يكون من الناحية الجمالية في البيئة الطبيعية بين مختلف النماذج، منها نموذج الكائن الذي يمتلك صفات جمالية حسية ومجردة وكلها وحدة جمالية في حد ذاتها فجماليات البيئة لها رصيد كبير ونعمة خاصة، فمن الواضح أن التقدير الجمالي للأشياء الطبيعية يمكن أن يكون وفقا لنموذج الكائن الحي فقط"[2]، والمقصود به الإنسان فلا يوجد غيره ليدرك عظمة الجمال

---

[1] Allen Carlson,**l'apprécation esthétique de l'environnement naturel Esthétique de l'environnement appréciation,connaimance et devior**, Op.cit,p58.

[2] Ibid,p59.

البيئي، لأنه من غير المقبول إفساده كونه لوحة فنية متعالية عن ما توصل إليه البشر من معرفة ورقي تكنولوجي حضاري القاصر عن صنع نفس هذه البيئة، إلا في حالة الحفاظ عليها والتفكير فيها بجدية من خلال طرح القضايا البيئية المعاصرة بتوجهاتها المختلفة، منها الفلسفية بطرح مسؤولية **يوناس** السياسة التي يمثلها رجل الدولة وسلطة القانون أو الحركات الإيكولوجيا الجديدة لنصل إلى المطالب الفنية في الأخير كشرط مستقبلي.

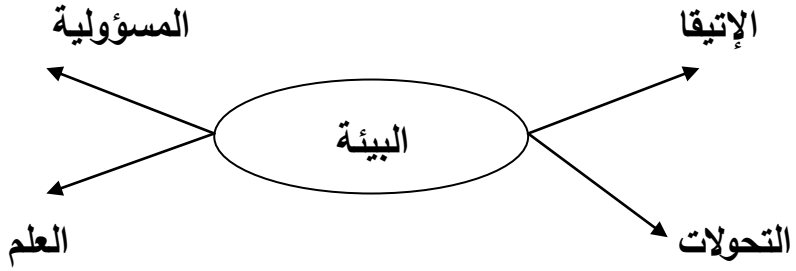

الشكل12 آليات البيئة مستقبلا

يوضح المخطط ملخص موضوع أخلاقيات البيئة مستقبلا عند **يوناس،** والحركات المؤيدة لنفس الموقف الفلسفي لأخلاقيات البيئة، لأن التفكير في تقرير المصير بمثابة حل لتأسيس أخلاقيات بيئية جديدة متفقة مع الحاضر والمستقبل،وإن كانت الإشكالية نسبية اليوم فبإمكانه أن يصبح العمل الفني الإيكولوجي أمرًا حتميًا ومطلقًا في المستقبل لأن له غاية الاستمرار وحماية الحياة ليتفق الموقف الفلسفي مع الفني فيما يعرف اليوم بفلسفة الفن أو الجمال بهدف صنع أخلاقيات البيئة المستقبلية.

خاتمـــــــــة

لقد تولدت لدينا قناعه علمية تتعلق بفهم الواقع البيئي بمختلف جوانبه، بما هو مادي مرتبط بالعلم أو نفسي وجداني مرتبط بالإنسان، وبواقعه الإتيقي الذي ركز عليه **يوناس** في فلسفته المعاصرة، فقمنا بدراستها تحت إشكالية أخلاقيات البيئة "**هانس يوناس**" أنموذجا، بشرح أهمية الموضوع لارتباطه فعلا بالمتغيرات المعاصرة الحاصلة في العالَم نتيجة رغبة حب التملك الإنساني الموجهة ضد البيئة، منذ بوادر بدايات العصر الحديث المتنوع بالصراعات العلمية الهادفة للرقي بالذات البشرية لا غير، والضارة بواقعنا الحاضر والقاتلة لمستقبلنا، فوجدنا أن هذه المظاهر دفعت بالفلاسفة لمناقشة الراهن الصعب بانتقال موضوع البيئة من العلم إلى الفلسفة ، من التفكير التجريبي العلمي إلى التفكير المجّرد المطابق لمستجدات العصر التكنولوجي.

فتوصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي :

1/ انتقال موضوع البيئة إلى البحث الفلسفي المعاصر ضمن الفلسفة التطبيقية التي عرفت مقاصد أخلاقيات البيئة، أي أنها تبحث عن النتائج الإيجابية الموجهة نحو المستقبل من خلال ضبط مجموعة من المعايير الإتيقية، التي يجب على الإنسان اليوم الامتثال لها دون أية قيود أو شروط، لأنه أصبح مجبر على حماية البيئة أو ما يعرف بالإيكولوجيا وعلاقتها بالمسؤولية.

2/ وقوفنا على نماذج عده كعلاقة الإنسان بأخلاقيات البيئة منذ العهود الأولى في الحضارة الشرقية وصولا إلى عصرنا، وجملة هذه العلاقات وجدنا فيها صور مختلفة من الروابط البشرية اتجاه البيئة بدءا من ما هو أخلاقي إلى ما هو غير أخلاقي، ما جعل

مدافعوا البيئة يطالبوا بالعودة إلى الوفاق الطبيعي الأول، عن طريق مجموعة من العادات والتقاليد، بالإضافة إلى طبيعة التفكير التي كانت تسير وفق وتيرة منطقية مترابطة خالية من فكرة السيطرة والمشاكل التكنولوجية.

3/ فهمنا لأخلاقيات البيئة طرح علينا مجموعة من المشاكل التي يواجهها المحيط الإيكولوجي، بسبب سيطرة فكرة التكنولوجيا على العقل البشري لتشمل كل ما يحيط به من جوانب مادية ونفسية، إذ أصبح الإنسان من محب لبيئته إلى عدو لها بجشعه العلمي نتيجة قوة تجرد فكره من الفعل الإتيقي البيئي، مخلفا بهذا أزمة إيكولوجيا من نوع جديد.

4/ لقد أعطينا بحثنا صيغة فلسفية جديدة تتمثل في الفكر الفلسفي لدى **يوناس** الذي أثبت وجود سمة جديدة للمسؤولية ودمجها بالفعل الإتيقي، لكن بعد تجاوز بعض الأفكار الفلسفية المرتبطة بالفكر الكلاسيكي، التي أضحت لا تتفق مع الواقع المعاصر لكنه في نفس الوقت اهتم بإعادة تجديدها في سياق مؤلفه مبدأ المسؤولية، نظرا لقصور نتائجها على المدى البعيد، لأن حدودها كانت على نطاق ضيق ما جعل **يوناس** يرفضها بشكل مطلق في عصرنا.

5/ لقد قمنا بتفسير مقاصد مسؤولية **يوناس** التي أعطاها نطاقا واسعا، ناقشها في المسؤولية الأبوية ومسؤولية رجل الدولة، حيث وجدنا أن المسؤولية الأبوية عنده تجسد أهم المسؤوليات لاقتباسها من الأسرة كموطن أصلي، كونها نابعة من الإدارة الحرة للأب لتنتقل بعد ذلك إلى رجل الدولة الذي هو أب الشعب، يسعى لحماية مستقبلهم بما فيه حماية محيطهم البيئي كشرط أساسي موجه نحو المستقبل.

6/ لقد وجدنا **يوناس** يدمج في اطار مسؤولية الباحث أثناء البحث في المخبر بأنها مسؤولية يجب أن تكون مقتبسة من ضمير الفرد ومدى شعوره بالقلق اتجاه البيئة ومستقبل الأجيال اللاحقة، بل عليه تجاوز فكرة الاهتمام بالحاضر فقط، وفي نفس السياق توصلنا إلى أنه قام بنفس الإسقاط للمسؤولية اتجاه الطبيب أيضا، لأن مسؤوليته شاملة تحدد مسار الحياة الإنسان والبيئة معا.

7/ لقد استنتجنا أن **يوناس** سعى للانتقال إلى موضوع أخلاقيات البيئة على أنها تماثلات عصر ما وراء الواجب بإتيقا جديدة، وأبرزنا في ذلك مدى أهمية الحفاظ على معيار الهوية البشرية الموجودة داخل البيئة، والمتبوعة بنشاط فلسفي جديد يشمل الواجب والميتافيزقيا ومبدأ الخوف والأمل، لقمع كل الإيديولوجيات خصوصا الاقتصادية كونها عامل أساسي في التعامل مع البيئة بكل فعل غير أخلاقي، لأن لها أثر سلبي على هوية المجتمعات العالمية الحاضرة والمستقبلية .

8/ بهذا الطرح الإتيقي للبيئة عند **يوناس** أنه يسعى لتبني مبدأ المساواة لكل عناصر الكون دون الاستثناء، عن طريق اخضرار عقول البشر اتجاه محيطهم الطبيعي وبهذا الفكر استطعنا القيام بمجموعة من الاسقاطات لبعض الحركات الإيكولوجية المعاصرة، التي وجدنا منها المركزية الكونية مع **جيمس لوفلوك** James lovelock ساعيا لتأسيس أخلاقيات جديدة للبيئة رغم اختلاف الرؤيته الفلسفية مع **يوناس** في كيفية الحفاظ على البيئة، ما جعلنا نثبت أن موضوعنا يتميز بطابعه الشمولي الجديد من خلال أهميته في ساحة الفكرية الفلسفية المعاصرة، التي ناقشها أيضا **جون ميور** john muir

فأثبت أن البيئة موجودة كفطرة داخل النفس الإنسانية، لأنها مخلوقة مع الإنسان لا يمكن نفيها أو تجاوزها.

ـــ أخيرا ، يمكن القول أن موضوع البيئة لم يتوقف عند **يوناس**، فالموضوع مفتوح على كل ما هو جديد ومستقبلي بل على ما هو جمالي ، الشيء الذي يفارق فلسفة **يوناس** ، عن طريق تقديم نظرة جمالية شعورية للبيئة، تطرحها التجربة الذوقية عن طريق إعادة النظر في كل ما كان سابقا قبيح على أنه صفة جمالية، أي أن البيئة ليست ضارة بالإنسان بل تساعده في العيش بداخلها بكل ما تتمتع به، ومن أبرز جمالياتها أيضا الراحة النفسية والإبداع العلمي والجمال الطبيعي الذي تتمتع به، لذلك وجدنا أن التعبير الجمالي للبيئة يمثل نشاط فكري جديد يفتح موضوع البيئة على منطق تفكير جديد واعد وباعث على فهم وتناول جديد لواقعنا الإيكولوجي المتنامي في فيما ينبغي ان تكون عليه جودة الحياة.

ملاحـــق البحـــث

مصطلحـات البحــث

قبائل اللاب السويدية: هم سكان شمال أوربا وهذه المنطقة تشكل جزء من شمال السويد وتعد قومية سامية من بين أكبر مجموعات السكان في أوروبا، وتقوم بالعديد من الأنشطة التقليدية في حياتهم اليومية بما فيها صيد السمك والحيوانات لكن حاليا تمدن الكثير من أفراد القومية ويمتهنون أعمالا ووظائف عصرية .

الأنثروبولوجيا: علم الإنسان أي الدراسة العلمية للإنسان في الماضي والحاضر الذي يرسم ويبني على المعرفة من العلوم الاجتماعية وعلوم الحياة والعلوم الإنسانية، وتنقسم إلى الأنثروبو تعني الإنسان لوجي معناه العلم .

المرحلة التيولوجي: قسمها "كونت" حيث كان الإنسان يفسر كل شيء بالرجوع إلى الأسطورة وإلى القوى الخفية تتحكم في العالم .

المرحلة الوضعية: هي المرحلة العلمية الصحيحة التي بدأ يفسر فيها الإنسان الطبيعة بالرجوع إلى مجموعة من الأسباب الموضوعية، وهي مرحلة تحرر فيها الإنسان من الجهل واعتماد على العلم .

المرحلة الميتولوجية: الميتافيزيقية هي المرحلة ،التي بدأ يفسر فيها الإنسان الطبيعة انطلاقا من مجموعة مبادئ الثابتة والمطلقة من قبل الجوهر والماهية و**الله.**

الأكسيولوجي: هو العلم الذي يدرس علم القيم المثل العليا والقيم المطلقة ومدى ارتباطها بالعلم وخصائص التفكير العلمي، وهو أحد المحاور الأساسية الثلاث للفلسفة والمراد به البحث في طبيعة القيم وأصنافها ومعاييرها.

الرواقية: هو مذهب فلسفي في الحضارة الهلينستية ترى أن الفضيلة هي ضرورة للسعادة وانتشرت لدى العديد في اليونان الرومانية والرواقيون يدعون إلى التناغم مع الطبيعة.

الإستقطابات: فالاستقطاب حالة وجود قطبين متناقضين كما في المغناطيس(شمالي جنوبي)، وهي أسلوب سياسي تتبعه دولة كبيرة لتجذب نحوها مجموعة من الدول الصغيرة.

النيوكلاسيكي: يؤمن بالليبرالية كأساس للتصرفات الاقتصادية وتبلورت في القرن 19م واعتمدت على المنعة الأولى أكبر من المنفعة الثانية، وتستعمل الرياضيات في تحليلاتهم الاقتصادية ومن أهم مفكريها **جون ستوارتمل.**

التلوث: هو إدخال مواد ملوثة إلى البيئة الطبيعية لنظام معين بشكل يلحق الضرر به ويسبب له الاضطراب واختلال التوازن، لكن بمستويات عالية غير مقبولة ويقسم حسب طبيعة المادة الملوثة.

الاحتساب الحراري: هو زيادة درجة الحرارة السطحية المتوسطة في العالم مع زيادة كمية ثاني أكسيد الكربون، الميثان وبعض الغازات الأخرى في الجو وتعرف بالغازات الدفيئة لأنها تساهم في تدفئة الجو ولوحظت هذه الظاهرة في منتصف القرن 20م.

استنساخ: أو الاصطناع هو انتاج مجموعة من الكائنات الحية لها نسخة طبق الأصل من المادة الوراثية التي تحدث في طبيعة، عندما تقوم الكائنات الحية مثل البكتيريا بالتكاثر بدون تزاوج أما في مجال التكنولوجيا الحيوية، فهي عملية المستخدمة لنسخ أجزاء من الحمض النووي.

زرع الأعضاء: هي عبارة عن نقل عضو من جسم إلى آخر أو نقل جزء من جسد المريض إلى الجزء المصاب فيه، ويصبح في المجال الطبي من طرف متخصص الهندسة الوراثية باستناد إلى الخلايا الخاصة بالمريض ويمسى بالطعم الذاتي والطعم المغاير، ويطرح العديد من القضايا الأخلاقية.

التنبؤ: هو عملية لإدلاء بتوقعات لأحداث ينتظر حدوثها في المستقبل، باستخدام متسلسلات زمنية وبيانات بأساليب حكيمة في اتخاذ القرارات .

الموت الرحيم: يعني الموت الجيد **أو** ممارسة إنهاء الحياة على النحو يخفف من الألم والمعاناة، بإجراء تدخل معتمد وعادة ما يعتبر جريمة.

إبستمولوجيا: هي فرع فلسفي أو نظرية المعرفة العلمية، وتعني البحث في إمكان المعرفة ومصادرها ومناهج تنقسم إلى ابستمي المعرفة لوجي العلم.

بيولوجيا: علم من علوم الطبيعة يهتم بدراسة الحياة وأشكالها المختلفة، وتنقسم إلى بيو الحياة لوجيا العلم.

فلوجستون: مادة مفترضة في الاحتراق، وهي نظريات المستبدلة تفرض عنصر مثل النار يسمى فلوجستون.

البرغماتية(الذرائعية): مشتقة من البراغما ومعناه العمل وهو أثر عملي محدد في صدق المعرفة وصحة الاعتقاد ومنافعها، وهي فلسفة ذرائعية.

الإيديولوجيات : تنقسم إلى إيديو فكرة ولوجو علم الخطاب، وهي نسق كلي للأفكار والمعتقدات والاتجاهات العامة في أنماط سلوكية تفسر الأسس الأخلاقية للفعل .

الراديكالية: يقصد بها التوجه الصلب والمتطرف والهادف للتغيير الجذري للواقع السياسي أو التكلم وفقا له، وهي كل مذهب متصلب في موضوع معتقد سياسي.

الكرونولوجيا: تقسيم الزمن إلى فترات وتأريخ الأحداث، وتعيين التواريخ الدقيقة للأحداث وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمني.

الأنطولوجيات:هي الكينونة أو علم الوجود وهو أحد فروع الميتافيزيقا، يبحث في كشف طبيعة الوجود اللامادي مثل المادة والطاقة والزمن والعلة.

العلائقية: معنى علق في لسان العرب علق بالشيء علقا وعلقه نشب فيه، قال جرير إذا علقت مخالبه بالقلب أصاب القلب أو هناك حجابا.

الميتافيزيقا: أو الميتافيزياء أو علم ما وراء الطبيعة والميتا ما ور**اء**، فيزيقا الطبيعة هي أحد فروع الفلسفة التي تهتم بدراسة المبادئ الأولى للوجود.

الإيكوفلسفة: أو الفلسفة الإيكولوجيا وهي فلسفة ترى البشرية بوصفها واحدة مع طبيعة وكجزء لا يتجزأ من صيرورة التطور، التي تمضي بالكون قدما من المادة الجامدة إلى الحياة والوعي .

الدينامية : ومصطلح يشير إلى نظام من السلوكيات والعمليات النفسية، التي تحدث داخل مجموعات اجتماعية.

علم الكونيات: هو دراسة تركيب الكون وتطوره وحركته في علم الفلك والفيزياء الفلكية، بكل ما فيه من مادة وطاقة يعيش بها الإنسان ويتفاعل معها، ويسعى علم الكونيات إلى التنبؤ بطريقة نهائية إلى الكون ومساره من خلال علم المستقبليات الكوني .

الطوباويات:هي كلمة عربية أصلها من طوب، وتعني كل فكرة أو نظرية تسعى إلى المثل الأعلى ولا تتصل بالواقع أو لا يمكن تحقيقها، أما المصطلح من الناحية الاقتصادية وتعني الاشتراكية التي تحلم بمجتمع خالي من الصراع.

بنوءة الموت: أوالشؤم المقصود بها التنبؤ للخطر الموجه نحو البيئة والإنسان والحياة عامة نظرا لابتعاد الإنسان المعاصر عن أخلاقياته وضميره وعقيدتيه وجاء المصطلح من قبل الفيلسوف الأماني **هانس يوناس** ليعبر عن الراهن البيئي الذي عايشه نتيجة التطور العنف التكنولوجي في الحربين العلميتين وبعدهما، وهي حقيقة وليس مجرد تعبير عن التشاؤم كما ترى بعض التوجهات.

بنوءة النعيم: مصطلح معاصر له علاقة بموضوع أخلاقيات البيئة عند **هانس يوناس** وهو عكس نبوءة الشؤم، فهو فرضته الأزمة البيئية التي نبه لها **يوناس** قاصدا به تكذيب وعود العلم الحالمة على أساس أن ليس للعلم آثار ضارة على الإنسان والبيئة مستقبلا، وفي نفس الوقت دعى إلى تبني مبدأ بنوءة النعيم لاستناده على مسؤولية أخلاقيات البيئة المعاصرة.

البتروكيميائي: هي المواد الكيماوية المستخرجة من النفط تنتمي البتروكيماويات أساسا إلى مجموعتين، الاكلين (التي تضم الإثلين والبروبيلين) والمركبات العطرية (التي تضم البنزين ومتزامرات الزيلين)، وتستعمل المواد البتروكيماوية لصناعة العديد من المواد أهمها البلاستيك،مواد التنظيف، زيوت التشحيم).

الكونية:مصطلح يرمز إلى مفاهيم دينية، فلسفية حول الكون (ما ينطبق على كل شيء) إنه مصطلح يقوم باعتماد نظريات حول جميع الناس في كينونتهم في الدين، تعتبر الكونية مبدأ يؤكد انصياع جميع الناس تحت ارادة ورعاية الخالق وتؤكد على أن الكون تحت تصرف الخالق.

علم الأصوات:هو كل لغة لها علم صوتيات معين ورموز صوتية معينة، ويجعل دارس اللغة ينطق أحرف وكلمات خاصة كما ينطقها أهل اللغة.

قنابل الهدروجينية: سلاح ننوي ينتج طاقة نووية عالية، فهي توظف انصهار الهيدروجين استخدمت في عام 1952.

الفينومولوجية: هي مدرسة فلسفة تعتمد على الخبرة الحدسية للظواهرية كنقطة بداية ثم تنطلق من هذه الخبرة لتحليل الظاهرة وأساس معرفتنا بها، غير أنها لا تدعي التوصل لحقيقة مطلقة في الميتافيزيقا بل تراهن على فهم نمط حضور الإنسان في العالم ومؤسس هذه المدرسة هو **هوسرل وسارتر وريكور وميرلوبونتي**.

اليوتوبيا: هي لفظ يوناني بمعنى لا مكان، وأول من استخدم تعبير يوتوبيا هو **توماس مور** صور فيه دولة مثالية يتحقق فيها الخير والسعادة للناس، ولا يوجد فيها أثر للشر ثم أصبحت الكلمة تستخدم لوصف كل عمل أدبي أو فلسفي يتعلق بالمدينة الفاضلة.

أعـــلام البحـــث

يورغن.هبرماس:JURGEN HABERMAS فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر من مواليد 1929 ومازال يعيش بألمانيا، ومن أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له ازيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم اجتماع، وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي بهدف تأسيس لأخلاق تواصلية تقوم على أساس الاعتراف بالآخر والتحاور معه دون ادعاء أي من الطرفين بامتلاك الحقيقة داخل فضاء عمومي مشترك، وقد اتسم مشروعه بنقد النتائج المدمرة التي أفضت إليها صيرورة العقلانية المستمرة لكل أشكال الحياة المعيشة من جهة ومن جهة أخرى يؤكد تمسكه بالمشروع التنويري ووعوده التحررية.

أرني نايس: ARNE NAESS فيلسوف المجري وأول من صاغ مصطلح الإيكولوجيا العميقة في عام 1973، من مهتمين بأخلاقيات البيئة ويرى أن الفلسفة البيئية لابد أن تعترف بالقيم المتضمنة موضوعيا في الطبيعة باستقلال عن الرغبات والمطالب والحاجات الإنسانية، فميز بين حركتين في الإيكولوجيا: الحركة الإيكولوجية الضحلة التي ترتكز على مسائل البيئة المتعلقة بالتلوث وتأثيراته السلبية في الحياة البشرية عموما ويهمها صحة الناس وثرائهم في الدول المتقدمة، أما الحركة الإيكولوجية العميقة تناقش مبادئ بيئية فلسفية وليست إيكولوجية لأن التدخل الإنساني الراهن في العالَم غير البشري مبالغ فيه والوضع يزداد سوءًا بصفة سريعة، لذلك أكد لابد من تغيير السياسات والإديولوجيات تحت مبدأ المسؤولية العميقة.

جورج سانتايانا:GEGRGE SANTAYANA 1863-1952 .فيلسوف أسباني وشاعر وكاتب وروائي أسباني عمل كأستاذ في جامعة هارفارد، وعمل بها أستاذ في الفلسفة اتخذ من المادية الجدلية مذهبا فلسفيا له، أعظم ما ألفه كتاب الاحساس بالجمال، وكتاب

عالم الوجود وهو من فلاسفة القرن العشرين، حيث كان معتزلا للعالم الواقعي يعيش في عالمه الخاص أي العالم المثالي، وعرف نفسه بأنه أمريكي مع أنه كان يملك جوازا أسبانيا صالح وكان مواطنا أسبانيا طوال حياته، في سن الثامنة والأربعين غادر **سانتانايا** منصبه من هارفارد وعاد إلى أوروبا بشكل دائم.

جون رولز:JOHN RAWLS .1921-2002 فيلسوف الأخلاقيات والسياسة من أهم مؤلفاته نظرية العدالة، الإنصاف الليبرالية السياسية، قانون الجماعة البشرية، وكانت الحرب العالمية الثانية أهم وأعمق التجارب في حياته لأنها إعلانا عن عمق أزمة العدالة في الوجدان البشري، وهو ينتمي إلى نظرية العقد الاجتماعي في مقابل نظرية النفع والحدس لأنها تؤسس لنظرية العدالة السياسية فاستخدم منهج الموازنة التأملية ونظرية الإنصاف عنده تجسد حالات التنافس والاختلاف والتنوع والتفاوت يتم وفق تنصف المجتمع فولّدت هذه النظرية ردود فعل واسعة كدراسة جديدة.

ألدو ليوبولد: Aldo leopold 1887-1948 باحث أمريكي في البيئة وفي جذور أخلاقيات المركزية الحيوية أو فلسفة البيئة، يعد أب الحياة البرية كتب عن أخلاق الأرض حيث دعى إلى ضرورة توسيع مجال الأخلاق، ليشمل علاقة الإنسان بالبيئة ويقول بها هذا الشأن:"حتى الآن لا توجد أية أخلاقيات تتناول علاقة الإنسان بالأرض والحيوان والنبات التي تنمو عليها ما تزال علاقة بالأرض اقتصادية بحتة تترتب عليها امتيازات فقط وليس التزمات"، أكد أنه يجب توسيع مجال الأخلاق إلى الكائنات الحية الأخرى من خلال حب والإعجاب بالأرض عن طريق التربية والتعليم الذي أصبح يجنب المفاهيم الإيكولوجية.

هانس يوناس: HANAS JONAS (1903-1993) في مونشكلادث مدينة صناعية كبرى في ألمانيا وهو يهودي كان والده يملك مصنع للنسيج لكن اتجه لي جامعة فريبور وساهم هناك في ندوات هوسرل وهيدغر، فتعلم الفلسفة على يد معلمين بارزين من بينهم هيدغر وتنقسم مسيرته الفلسفية إلى ثلاث مراحل:الأولى وقد تميزت بسيطرة أبحاثه الفلسفية حول الغنوصية والغنوص، فقد اهتم بالغنوص الديني وكان موضوع الاهتمام النظري أما الثانية تميزت بتوجهه بعد الحرب العالمية الثانية إلى الأسئلة الأنطولوجية، وفي المرحلة الأخيرة سيركز على المسألة الأخلاقية، غير على الرغم من تفرد **يوناس** بالنظرية الأخلاقية في الفكر الأخلاقي الراهن، غير أن التراث الفلسفي الذي بدأ من الغنوص سيخترق المقدرات الفلسفية ليحضر في المبدأ الأخلاقي وهو مبدأ المسؤولية، كما أن الانخراط في الانطولوجيا يؤلف مرجعية أخرى لأخلاق تعيد ربط الوجود بالقيمة، هنا يتجلى المبدأ الذي يجعله حلا لتحصيل الإنسانية مسارا نحو المستقبل البعيد عن التكنولوجيا وسرعة العلم المفرطة، لذلك أعاد صياغة مبدأ المسؤولية من جديد متجاوزا طرحها الكلاسيكي، فحصرها في البيئة وأخلاقياتها من خلال مسؤولية الأبوية ورجل الدولة لتجاوز فكرة المركزية البشرية المؤسسة للعنصرية في الحياة بصفة عامة.

جون ميورjohn muir: 1838_1914 كاتب أمريكي مناصر للبيئة يلقب بأبي المنتزهات الوطنية، ولقد ولى البرية اهتمامًا خاصاً في جل مؤلفاته منها منتزهاتنا الوطنية .

جيمس لوفلوك james lovelock :فيلسوف إنجليزي نادى بالمركزية الكونية، وقد عرف بنظرية المسماة "بنظرية قايا"، وهو اسم آلهة الأرض لدى اليونان.

بيبليوغرافيـــا

1/ القرآن الكريم.

2/ قائمة المصادر بالفرنسية:

1 Hans jonas, **l'art médical ét la responsabilité**, humaine, trad ericpommier,les éditions du cerf,paris,2012.

2/Hans jonas, **évolution et liberté**,trad,sabine,cornille et philippe ivernel,rivage pache petite bibliothéque,France,2011.

3/Hans jonas, **Le principe responsabilité** ,UNE éthique pour la civilisation technologique ,trad jeau greisch,flammarion ,France2014.

4/Hans jona, **pour une éthique du futur**,trad,sabine,cornille et philippe iverned,rivage poche,petite bibliothéque,paris,2014 .

3/ قائمة المراجع بالفرنسية:

1. Daniel françois wachter, **repenser la confiance, l'autonomie et la transparence** ,In ;traité de bioéthique.
2. Eric pommier,**Hans jonas,** "**Le principe responsabilité**" presses universitaires de France(puf),paris2012.
3. Hicham stéphane afeissa,**qu'est-ce que l'écologie?**,librairie philosophique,vrin,paris,2009.
4. Hicham stéphane Afeissa,**Ethique de l'environnement** ,librairie philosoohique ,vrin,paris,2007.
5. Hicham stéphane afeissa,**Esthétique de l'environnement (appréciation,connaimance et devior)** ,librairie philosophique ,vrin,paris,2015.

6. Loc ferry,**La nouvel ordre écologique**,(**l'arbre,l'animal et l'homme**),biblio essais,le livre de poche,France2014.

4/قائمة المراجع بالعربية:

1. أحمد عبد الحليم عطية: مقدمة في الأخلاق التطبيقية، كلية الآداب جامعة القاهرة 2012.

2. أحمد مدحت اسلام: الطاقة والتلوث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.

3. أرمسترون: مدخل الى الفلسفة القديمة، تر: سعيد الغانمي، مركز العرب، ط1، 2008.

4. اغارموران: هل نسير إلى الهاوية، تر: عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق، المغرب، 2012.

5. ايان سيمونز: البيئة والإنسان عبر العصور، تر:محمد عثمان، سلسلة عالم المعرفة الكويت.

6. برونوقسلي: ارتقاء الإنسان، تر:موقف سخاشير، سلسة عالم المعرفة، الكويت، 1981 .

7. جاك الول: خدعة التكنولوجيا، تر: فاطمة نصر، دار سطور، 2004.

8. جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر:عادل الهوا، عويدات للنشر والطباعة،ط1 لبنان ،2001.

9. جان فرانسوا دورتبي: فلسفات عصرنا، تر: ابراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف ط1، الجزائر، 2009.

10. جورج قاضي: تهديدات البيئة، عويدات للنشر والطباعة، لبنان، 2008.

11. جيمس تريفيل: لماذا العلم؟، تر: شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، 2010.

12. حبيب معلوف: مدخل إلى الفلسفة البيئية، مركز الثقافي العربي، ط1، المغرب 2002.

13. خديجة زتيلي: الأخلاقيات التطبيقية، دار الأمان، ط1، 2015.

14. ديفيد رزنيك: أخلاقيات العلم، تر: عبد النور عبد المنعم، سلسلة عالم المعرفة الكويت،1990.

15. رشيد الحمد ومحمد سعيد صبراني: البيئة ومشكلتها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت . 1979

16. ريموند وليمز: الكلمات المفاتيح، مجمع الثقافي والأثر المجتمعي، تر:نعيمان عثمان المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2007.

17. زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، دار الكتاب المصرية، ط2، القاهرة.

18. سمير بلكفيف: الفلسفة الأخلاقية (من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء)، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،2013.

19. عامر عبد الزيد الوائلي: النظرية الأخلاقية، ابن نديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2015.

20. عبد العزيز العيادي: إيتقا الموت والسعادة، صامد للنشر والتوزيع، ط1، تونس2011.

21. عطية محمد عطية وآخرون: الإنسان والبيئة، دار حامد للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2012.

22. فتحي دردار: البيئة في مواجهة التلوث، دار الأمل، 2003.

23. فؤاد زكريا: التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، كويت، 1990.

24. مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية (من حقوق الحيوان إلى ايكولوجيا جذرية)، ج2 تر: معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،2006.

25. مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية (من حقوق الحيوان الى الايكولوجيا الجذرية)، ج1 تر:معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،2006.

26. محمد رجب: أرسطو عبقري الفكر اليوناني، نبع الأداب، الثقافة المعاصرة.

27. محمد محمود سليمان: الجغرافيا والبيئة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009.

28. مصطفى النشار: مدخل إلى الفلسفة البيئية والمذاهب الايكولوجيا المعاصرة، دار المصرية اللبنانية، ط3، القاهرة، 2016.

29. مصطفى كيحل: الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، السداسي الأول، 2016.

30. معين رومية: من البيئة الى الفلسفة، معابر للنشر والتوزيع، ط1، لبنان2011.

31. ميتشيوكاكو: رؤى مستقبلية، تر :سعد الدين، عالم المعرفة، الكويت، 1990.

32. وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة (أخلاق المسؤولية هانس يوناس نموذجا) المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2009.

33. وولترس ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مؤسسة الدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 2005.

34. يورغن هبرماس: اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقية، تر :عمر مهيبل، منشورات الاختلاف ط1، الجزائر، 2010.

35. يورغن هبرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية والنسالة الليبرالية، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، ط1، بيروت، 2006.

05/قائمة المعاجم والموسوعات:

1.أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، ج03، منشورات عويدات، ط2، لبنان، 2001.

2.جميل صليب: المعجم الفسلفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978.

3.مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة، القاهرة، 2007.

4.المعجم الوسيط: معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولي.**06**

06/قائمة المقالات بالفرنسية:

1. Annette disselkamp, **hans jonas, trente ans après**, sociologie clersé, université de lille1 :annette.disselkamp@univ-lille.fr.
2. Jacqueline dalgo depoorter, **lutilité des comités d'éthique** rev.trum, dr, h(54/2003).
3. Sylvie ferrari, **éthique environnementale développement durable**: réflexions sur le principe responsabilité de hans jonas ,vol1.n3,2010

07/قائمة المجلات بالعربية:

1. اكرام فهمي حسين: أثر التقدم العلمي على الإنسان والبيئة في العصر الحديث، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ع62، 2009.

09/قائمة المذكرات بالعربية:

1. رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبيعية، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر،2005. 2006

10/ المواقع الإلكترونية:

1. رشيد دحدوح: مفهوم الطبيعة في الفكر الايكولوجي المعاصر 19:38 www.aljabriabed .net.18/08/2016

2. سيبمتد أدمن: الأزمة الايكولوجية،28: ww.rwfar.org/node/20.06/28/2010.14

3. عصام محمد عبد الشافي: البيئة وأخلاقياتها بين الشرائع السماوية والتيارات الفلسفية شبكة العربية العالمية، 05/09/2011 ,www.globalarobnetwork-com/studies .14:38

4. فرتو فراج: البصمة البيئية, 17: www.vwfar-org/mode,31/03/2010,15

5. محمد عابد الجابري: أزمة أسس (السيطرة من أجل السيطرة) www.aljabriabed.net /07/12/2016.19:09

6. مصطفى القلعي: بيوطيقا سلطة التقنية وتنافر القيم www.assuaal.net/ 30: 17. 21/04/2017

7. مولاي المصطفى البرجاوي: الجغرافيا واشكالية البيئة المغربية واقع وأفاق 2016،17:00/08/18 www.ahekah.net

فهارس البحث الأساسية

فهـــرس الأشكـــــال

فهرس الأشكال		
الشكـــل	عنوانـــــــــه	الصفحة
الشكل الأول	من البيئة إلى الفلسفة	13
الشكل الثاني	علاقة البيئة بالإنسان في عصر التكنولوجيا	23
الشكل الثالث	التكامل الأخلاقي في البيئة	34
الشكل الرابع	كرونولوجيا أخلاقيات البيئة(صيرورة التحول من الأخلاق إلى الايتيقا)	47
الشكل الخامس	نجاح التوازن الطبيعي دون تدخل العنصر البشري فيها	54
الشكل السادس	انفصال فلسفة الأخلاق عن العلم	74
الشكل السابع	أخلاقيـــات البيئـــــة	82
الشكل الثامن	نماذج أخلاقيات المستقبل للإنسان والبيئة	86
الشكل التاسع	نمـاذج المسؤوليـــة الجديـدة	95
الشكل العاشر	مسؤولية البيئة المستقبلية	108
الشكل الحادي عشر	البيئة والسيطرة الإيديولوجية	173
الشكل الثاني عشر	آليات البيئة مستقبلا	194

فهـــرس المحتـــوى

فهرس المحتوى

مقدمة.....	أ
الفصل الأول: إتيقا البيئة والإيكولوجيا.....	08
المبحث الأول : مدخل مفاهيمي	10
المبحث الثاني : كرونولوجيا أخلاقيات البيئة.....	26
المبحث الثالث: نتائج التكنولوجيا المعاصرة	48
الفصل الثاني : مستقبل البيئة عند يوناس.....	66
المبحث الأول: التفكير البيئي عند يوناس.....	68
المبحث الثاني : مبدأ المسؤولية عند يوناس.....	87
المبحث الثالث : مسؤولية الطبيب والباحث الأكاديمي.....	109
الفصل الثالث: تأسيس الوعي البيئي.....	133
المبحث الأول:أساس أخلاقيات البيئة في منظور يوناس.....	135
المبحث الثاني : إتيقا الممارسات تكنولوجية اتجاه البيئة.....	154
المبحث الثالث : نحو أخلاقيات بيئية جديدة مستقبلية.....	175
خاتمة.....	195
مصطلحات البحث.....	200
أعلام البحث	208
بيبليوغرافيا.....	212
فهرس الأشكال.....	221
فهرس المحتوى.....	223

ملخص البحث:

تتعلق إشكالية أخلاقيات البيئة **هانس يوناس** أنموذجا ،بالراهن الإيكولوجي الصعب بسبب تفاقم الأزمة البيئية التي تطلبت ايجاد حلول سريعة من أجل الحفاظ عليها، لأن لها حق الاستمرار والحماية كونها الموطن الأصلي للعنصر البشري،لأننا خلقنا منها ونعود إليها فلا يوجد فضاء آخر نعيش بداخله، لذلك يجب التعامل معها بصفة إتيقية تليق بالعنصر البشري في سياق الفلسفة التطبيقية، هذا الراهن الصعب جعل الفلاسفة يبحثون عن أسس تدعم موقف حق الحفاظ على البيئة من أبرزهم **هانس يوناس**، الذي جسد فكره البيئي اتجاه المسؤولية بإعادة صياغة مفهوم المسؤولية ، من الطرح الكلاسيكي المهتم بالإنسان إلى الطرح المعاصر الموجه نحو أخلاقيات البيئة بنماذجها الأبوية والسياسية ، وتجاوز فكرة سيطرة التكنولوجيا على حياة الإنسان، بل علينا التفكير أيضا في واقع الإنسان المستقبلي داخل الفضاء البيئي لأن له حق الحياة بداخلها، لذا كانت فلسفة **يوناس** موجهة نحو البيئة والإنسان المستقبلي بواسطة الفعل الإتيقي.

Lié au problème de l'éthique environnementale modèle Hans Jonas, face à la difficile actuelle écologique en raison de la crise environnementale aggravation qui exigeait des solutions rapides afin de les garder, parce qu'ils ont le droit de poursuivre et la protection étant le foyer d'origine de l'élément humain, parce que nous les avons créés et y revenir, il n'y a pas d'autre espace que nous vivons à l'intérieur, vous devez donc traités dans Atiqih digne de l'élément humain dans le contexte de la philosophie appliquée, il est actuellement difficile de faire des philosophes qui cherchent les bases d'une mesure de soutenir le droit de préserver l'environnement,

notamment Hans Jonas, qui a incarné l'idée de la direction de la responsabilité environnementale de reformuler le concept de la responsabilité, la douleur de soustraction classique Nous devons penser à la réalité future de l'homme dans l'environnement parce qu'il a le droit d'y vivre, donc la philosophie de Jonas a été dirigée vers l'environnement et l'homme futur par l'acte de l'éthique.

The problem of environmental ethics, Hans Jonas, is a case in point, because of the environmental crisis that necessitated finding quick solutions to preserve it because it has the right to continue and protect it as the original home of the human element because we created it and return to it. Dealing with it as an evolutionary fit for the human element In the context of applied philosophy, this is a difficult time to make philosophers looking for foundations to support the right to conservation of the environment, most notably Hans Jonas, whose environmental idea embodied the responsibility of reformulating the concept of responsibility, We have to think about the future reality of man in the environment because he has the right to live within it, so Jonas's philosophy was directed towards the environment and the future man by the act of ethics .